قصير وفي العمل تقصير والناقد بصير
والاجل قريب والسفر بعيد والطاعة هي
الزاد فلابد منهما وما فني فلا تزود لهما فمن
ظفر بهما فقد فاز وسعد ابد الابدين ومن فاته
ذلك فقد خسر مع الخاسرين وهلك مع الهالكين
فصار هذا الخطب اذن والله عضلا
والخطر عظيما ولذلك عز من يقصد هذا الطريق
وقل ثم عز من القاصدين من سلكه ثم عز
من السالكين من يصل الى المقصود ويظفر بالمطلوب
الا اعزة الذين اصطفاهم الله تعالى لمعرفته ومحبته
وسددهم بتوفيقه وعصمته ثم اوصلهم بفضله الى
رضوانه وجنته ونسال الله جل ذكره ان يجعلكم
واياناً من اولئك الفائزين برحمته نعم ولما وجدنا
هذا الطريق بهذه الصفة نظرنا فامعنا النظر
في كيفية قطعها وما يحتاج اليه العابد من
الاهبة والعدة والالة والحيلة من علم وعمل
عسى ان نقطعها بحسن توفيق الله في سلامة

الرجال واختبار ذوي البصاير وهي سبيل السعاد
ومنهاج الجنة قال الله تعالى وانا ربكم فاعبدون
وقال تعالى ان هذا كان لكم جزا وكان
سعيكم مشكورا ثم انا نظرنا فيها وتاملنا طريقها
من مبداها الى مقاصدها التي هي اماني
سالكيها فاذا هي طريق وعر وسبيل صعب
كثيرة العقبات شديدة المشقات بعيد
المسافات عظيمة الافات كثيرة العوايق
والموانع خفية المهالك والمقاطع غزيرة الاعد
والقطاع عزيزة الاشياع والاتباع وهكذ
يجب ان تكون لانها طريق الجنة فيصير
تصديقا لما قاله رسول الله صلى الله
الجنة حفت بالمكاره وان النار حفت بالشهو
وقد قال صلى الله عليه وسلم الا وان الجنة حزن
بربوة الا وان النار سهل بسهوة ثم مع ذلك كله
العبد ضعيف والزمان صعب
الدين متراجع والقوى قليلة والشغل

ولا ينقطع في عقباتها المهلكة فيهلك مع الهالكين
والعياذ بالله فصنفنا في قطع هذا الطريق وسلوكها
كتبا كاحياء علوم الدين المقربة الى الله عز
وجل وغير ذلك واحتوت على دقايق من العلوم
اعتاصت على افهام العامة فقدحوا فيما لم يحسنوا
فاي كلام افصح من كلام رب العالمين وقد
قالوا اساطير الاولين الم تسمع قول زين العابدين
علي بن الحسين رضوان الله عليهم اذ يقول
شعر

اني لاكتم من علمي جواهره — كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدم في هذا ابو حسن — الى الحسين ووصى قبله الحسنا
يا رب جوهر علم لو ابوح به — لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي — يرون اقبح ما ياتونه حسنا

واقتضت الحال عند ذوي الدين النظر الى كافة
خلق الله تعالى بعين الرحمة وترك المماراة فابتهلت
الى من بيده الخلق والامر ان يوفقني لتصنيف كتاب

يقع عليه الاجماع ويحصل بقراءته الانتفاع فاجابني الذي
يجيب المضطر اذا دعاه واطلعني بفضله على اسرار
ذلك والهمني نبه ترتيبا عجيبا لم اذكره في المصنفات
التي تقدمت في اسرار معاملات الدين وهو الذي
انا الان اصفه فاقول وبالله التوفيق اعلم ان اول ما
يتنبه العبد للعبادة ويتحرك لسلوك طريقها يكون
بخطرة سماوية من الله عز وجل وتوفيق خاص
رباني وهو المعنى بقوله سبحانه وتعالى افمن شرح الله
صدره للاسلام فهو على نور من ربه واشار اليه
صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فقال ان النور اذا دخل
القلب انفسح وانشرح فقيل يا رسول الله هل
لذلك من علامة يعرف بها فقال التجافي عن دار
الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت
قبل نزوله فاذا خطر بقلب العبد اول كل
شيء اني اجد نعما علي بضروب من النعم كالحيوة
والقدرة واللذات والعقل والنطق وسائر المعاني

الشريفة وما ينصرف عني من ضروب المضار
والافات وان لهذه منعما يطالبني بشكره وخدمته
فان اغفلت ذلك فيزيل عني نعمته ويذيقني
باسه ونقمته وقد بعث الي رسولا ايده
بالمعجزات الخارقة للعادات الخارجة عن مقدور
البشر واخبرني بان لي ربا جل ذكره قادرا
عالما حيا متكلما يامر وينهى انه قادر على ان
يعاقبني ان عصيته ويثيبني ان اطعته
عالم باسراري وما يختلج في افكاري وقد وعد
واوعد وامر بالتزام قوانين الشرع فيقع في قلبه
انه ممكن اذ لا استحالة لذلك في العقل باول
البديهة فيخاف على نفسه عنده ويفزع فهذا
خاطر الفزع الذي ينبه العبد ويلزمه الحجة
ويقطع عنه المعذرة ويزعجه الى النظر والاستدلال
فيختلج العبد عند ذلك ويقلق وينظر في طريق الخلاص
وحصول الامان له عما وقع بقلبه او سمع فلم يجد فيه
سبيلا سوى النظر بعقله في الدلائل والاستدلال

بالصنعة على الصانع ليحصل له العلم واليقين بما هو
الغيب ويعلم ان له ربا كلفه وامره ونهاه فهذه
اول عقبة استقبلته في طريق العبادة وهي عقبة
العلم والمعرفة ليكون من الامر على بصيرة
فياخذ في قطعها بالعلم بحسن النظر في الدلايل
ووفور التعلم والتامل والسوال من علما الاخرة
الذين هم ادلا الطريق وسرج الامة وقادة
الايمة والاستفادة منهم واستمداد الدعا
الصالح منهم للتوفيق والاعانة الي ان يقطعها بتوفيق
الله تعالى فيحصل له العلم واليقين بالغيب وهو ان
له الها واحدا لا شريك له وهو الذي خلقه
وانعم عليه بكل هذه النعم وانه كلفه شكره
وامره بخدمته وطاعته ظاهره وباطنه
وحذره الكفر وضروب المعاصي وحكم له
بالثواب الخالد ان اطاعه وبالعقاب الخالد ان
عصاه وتولى عنه فعند ذلك بعثته هذه المعرفة
واليقين بالغيب على التشمر للخدمه والاقبال على

العبادة لهذا المولى المنعم الذي طلبه فوجده
وعرفه بعد ما جهله ولكنه لا يدري كيف
يعبده وماذا يلزمه بظاهره وباطنه فبعد
حصول هذه المعرفه بالله سبحانه وتعالى يتعرف ما
يلزمه من الفرايض الشرعيه ظاهرا وباطنا
فلما استكمل العلم والمعرفة بالفرايض انبعث لياخذ
في العباده ويشتغل بها فينظر فاذا هو صاحب
جنايات وذنوب هذا حال الاكثرين من
الناس فيقول كيف اقبل على العبادة وانا مصر
على المعصية متلطخ بها فيجب اولا ان اتوب
اليه ليغفر لي ذنوبي ويخلصني من اسرها
واتطهر من اقذارها فاصلح للخدمه وبساط
القربة فيستقبله هنا عقبة التوبة الصادقة
وحقوقها وشرايطها الى ان يقطعها فلما حصلت له التوبة
الصادقة وفرغ من هذه العقبة حن الى العبادة
لياخذ فيها فنظر فاذا حوله عوايق محدقة به
كل واحد منها يعوقه عما قصد له من العباده

بضرب من التعويق قال فاذا هي اربع الدنيا والخلق
والشيطان والنفس فاحتاج لا محالة الى دفع هذه العوايق
وازاحتها والا فلا يتاتى له ما يريده من العبادة
فاستقبله هاهنا عقبة العوايق فيحتاج الى
قطعها باربعة امور التجرد عن الدنيا والتفرد عن
الخلق والمحاربة مع الشيطان والنفس واما النفس
فاشدها اذ لا يمكنه التجرد عنها وان لا يقهرها
مرة ويقمعها كالشيطان اذ هي المطية والالة ولا
مطمع ايضا في موافقتها على ما يقصده العبد من العبادة
والاقبال عليها اذ هي مجبولة على ضد الخير كالهوى
واتباعها له فيحتاج اذن ان يلجمها بلجام التقوى لتبقى
له فلا تطغى فيستعملها في المصالح والمراشد فياخذ
اذن في قطع هذه العقبة ويستعين بالله جل ذكره
على ذلك فلما فرغ من قطعها رجع الى قصد العبادة
فاذا عوارض تعترضه فتشغله عن الاقبال على
مقصوده العبادة وتصده عن التفرغ لذلك كما ينبغي
فتامل فاذا هي اربعة الرزق تطالبه النفس به وتقول
لا بد لي من رزق وقوام وقد تجردت عن الدنيا

وتفردت عن الخلق ايضا فاين قوامي ورزقي هذا الثاني
الاخطار من كل شيء يخافه او يرجوه او يريده او
يكرهه ولا يدري صلاحه في ذلك او فساده فان
عواقب الامور مبهمة فيشتغل قلبه بها بانه ربما يقع
في فساد او يهلكه هذا والثالث الشدايد والمصايب
تنصب عليه من كل جانب لاسيما وقد انتصب
لمخالفة الخلق ومحاربة الشيطان ومضادة النفس
فكم غصة تتجرعها وكم شدة تستقبله وكم من
هم وحزن يعترضانه وكم من مصيبة يتلقاه
والرابع انواع القضاء من الله تعالى بالحلو والمر
يرد عليه حالا فحالا والنفس تتسارع الى السخط
وتبادر الى الفتنة فاستقبلته هاهنا عقبة العوارض
الاربعة فاحتاج الى قطعها باربعة بالتوكل على الله تعالى
في موضع الرزق والتفويض اليه في موضع الخطر والصبر
عند نزول الشدايد والرضا عند نزول القضاء
فاخذ في قطع هذه العقبة باذن الله تعالى وحسن
تاييده هذا فلما فرغ من قطعها عاد الى قصد العبادة

فنظر فاذا النفس فاترة كسلى لا تنشط ولا تنبعث
للخير كما يحق وينبغي وانما ميلها ابدًا الى غفلة ودعه
وراحة وبطالة بل الى سرف وفضول
وبله وجهالة فاحتاج هاهنا معها الى سايق
يسوقها الى الخير والطاعه وينشطها فيه وزاجر
يزجرها عن الشر والمعصية ويضيد ما وعد من
انواع الكرامه وتذكر ذلك عسا ان يشوقها فيبعثها
على الطاعه ويحركها كذلك وتنشطها والخوف
من اليم عقاب الله عز وجل وعصوبه ما اوعد من
انواع العقوبة والاهانه زاجر يزجرها عن المعصية
ويجنبها ويفترها عن ذلك فهذه عقبة البواعث
استقبلته هاهنا فاحتاج الى قطعها بهما فلما فرغ
منها رجع الى الاقبال على العبادة فلم ير عايقًا ولا
شاغلًا ووجد باعثًا وداعيًا فنشط في العباده
فاقامها وعانقها بلازم الشوق والرغب فاذا انها
فنظر فاذا هو تبدوا لهذه العباده التي احتمل فيها
كل ذلك افتان عظيمتان وهما الرياء والعجب تارة يرائي
بطاعته الناس فيفسدها واخرى يعظم ذلك

٦

ويلزم نفسه فيه فيعجب بنفسه فيحبط العبادة به
ويسقطها فاستقبلته هاهنا عقبة القوادح فاحتاج
الى قطعها بالاخلاص وذكر المنة وغيرها
ليسلم له ما يعمل من خير فاخذ في قطع هذه العقبة
باذن الله تعالى بجد واحتياط وتيقظ بحسن
عصمة الجبار وتاييده لنا فلما فرغ من هذه كلها
حصلت العبادة كما يحق وينبغي وسلمت من كل
افة ولكنه نظر فاذا هو غريق في بحور منن الله
واياديه من كثرة ما انعم عليه من النعم امداد التوفيق
والعصمة وانواع التاييد والحراسه وخاف ان
يكون منه اغفال للشكر فيقع في الكفران فينحط
عن تلك المرتبة الرفيعة التي هي مرتبة الخدامه
الخالصين لله عز وجل وتزول عنه تلك النعم الكريمة
من ضروب الطاف الله وحسن نظره اليه فاستقبلته
هاهنا عقبة الحمد والشكر فاخذ فيها فقطعها
بما امكنه من الحمد والشكر على كثير نعمه فلما فرغ
من هذه العقبة ونزل فاذا هو بمقصوده ومبتغاه
بين يديه فلم يسر اليها الا قليلا حتى وقع في سهل الفضل

وصحراء الشرف وعرصات المحبة ثم وقع في رياض
الرضوان وبساتين الانس الى بساط الانبساط ومرتبة
التقريب ومجلس المناجاة ونيل الخلع والكرامات
فهو يتنعم في هذه الحالة ويتقلب في طيبها ايام بقايه
وبقية عمره بشخص في الدنيا وقلب في العقبى
ينتظر البريد يوما فيوما حتى يمل الخلق كلهم ويستقذر
الدنيا فيحن الى الموت واشتمل الشوق الى الملا
الاعلى فاذا هو برسل رب العالمين اليه يردون عليه
بالروح والريحان والبشرى ورضوان من عند رب
راض غير غضبان فينقلونه في طيبة النفس وتمام
البشر والانس من هذه الدنيا الفانية المفنية الى
الحضرة الالهية ويستقر برياض الجنة فيرى
لنفسه الضعيفة الفقيرة نعيما وملكا عظيما
ويلقى هنالك من ربه الرحيم المتفضل الكريم جل ذكره
من اللطف والعطف والترحيب والتقريب والانعام
والاكرام ما لا يحيط به وصف الواصفين وكل
يوم في زيادة الى ابد الابدين فيا لها من سعادة
عظيمة ويا لها من دولة عالية ويا له من عبد مسعود

وامر مغبوط وشان محمود نسأل الله البر الرحيم سبحانه
ان يمن علينا وعليكم بهذه النعمة العظيمة وما ذلك
على الله بعزيز وان لا يجعلنا من الذين لا نصيب
لهم من هذا الامر الا وصف او سماع او تمني بلا انتفاع وان
لا يجعل ما تعلمناه من العلم حجة علينا يوم القيامة وان
يوفقنا جميعا للعمل بذلك والقيام به كما يحب ويرضى
انه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين فهذا هو الترتيب
الذي الهمني مولاي في طريق العبادة فاعلم الان ان
الحاصل من الجملة سبع عقبات الاولى عقبة العلم
الثانية عقبة التوبة الثالثة عقبة العوائق
الرابعة عقبة العوارض الخامسة عقبة البواعث
السادسة عقبة القوادح السابعة عقبة الحمد
والشكر وبتمامها تم كتاب منهاج العابدين
الى الجنة ونحن الان نتبع هذه العقبات بشرح
موجز اللفظ مشتمل على النكت المقصودة من هذا
الشان بشرح موجز في باب مفرد ان شاء الله والله تعالى
ولي التوفيق والتسديد ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الباب
الاول

في العقبة الاولى وهي عقبة العلم

فاقول وبالله العون والتوفيق يا طالب الخلاص والعبادة عليك
اولا وفقك الله بالعلم فانه القطب وعليه المدار واعلم ان
العبادة والعلم جوهران لاجلهما كان كل ما ترى وتسمع
من تصنيف المصنفين وتعليم المتعلمين ووعظ
الواعظين ونظر الناظرين بل لاجلهما انزلت الكتب
وارسلت الرسل بل لاجلهما خلقت السماوات والارض
وما فيهما من الخلق فتامل ايتين من كتاب الله تعالى احدهما
قوله تعالى الله الذي خلق سبع سماوات ومن الارض
مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير
وان الله قد احاط بكل شيء علما وكفى بهذه الاية
دليلا على ان شرف العلم لا سيما علم التوحيد والثانية
قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وكفى بهذه الاية دليلا على شرف العبادة ولزوم
الاقبال اليها فاعظم بامرين هما المقصود من خلق
الله تعالى في الدارين فحق العبد ان لا يشتغل
الا بهما ولا يتعب الا لهما ولا ينظر الا فيهما واعلم ان
ما سواهما من الامور باطل لا خير فيه ولغو لا
حاصل له فاذا علمت ذلك فاعلم ان العلم اشرف

الجوهرين وافضلهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نظرة الى
وجه العالم احب الي من عبادة سنة صياما وقياما
وقال صلى الله عليه وسلم ان فضل العالم على العابد كفضلي
على امتي وقال عليه السلام الا ادلكم على اهل الجنة
قالوا بلى يا رسول الله قال هم علماء امتي فبان لك انه لا
شيء اشرف جوهرا من العلم ولكن لا بد للعبد من العبادة
مع العلم والا كان علمه هباء منثورا فان العلم بمنزلة
الشجر والعبادة بمنزلة ثمرة من ثمارها ثمراتها فالشرف
للشجرة اذ هي الاصل لكن الانتفاع انما يحصل
بثمرتها فاذا لا بد للعبد من العبادة ليسلم شرف
العلم ولا بد للعبد من ان يكون له من كلي الامرين حظ
ونصيب وقال الحسن البصري رحمة الله عليه اطلبوا هذا
العلم طلبا لا تضروا بالعبادة واطلبوا هذه العبادة طلبا
لا تضروا بالعلم ولما استقر انه لا بد للعبد منهما جميعا
فالعلم اولى بالتقديم لا محالة فانه الاصل والدليل قال
صلى الله عليه وسلم العلم امام العمل والعمل تابعه وانما صار
العلم اصلا متبوعا فيلزمك تقديمه على العبادة لامرين احدها

لتسلم لك العبادة ولتحصل فانك اولا يجب ان تعرف
المعبود ثم تعبده وكيف تعبد من لا تعرفه باسمائه وصفاته
وما يجب له وما يستحيل في نعته فربما تعتقد في صفاته
شيئا والعياذ بالله مما يخالف الحق فتكون عبادتك هباء منثورا
وقد شرحنا ما في ذلك من الخطر العظيم في بيان معنى سوء
الخاتمة من كتاب الخوف من كتب احياء علوم الدين ثم
يجب ان تعلم ما يلزمك فعله من الواجبات الشرعية على ما
امرت به لتفعل ذلك وما يلزمك تركه من المناهي لتترك
ذلك وكيف تقوم بطاعات لا تعرف ما هي وكيف هي وكيف
يجب ان تفعل ام كيف تجتنب معاصي لا تعلم انها معاصي
لئلا توقع نفسك فيها فالعبادات الست الشرعية
كالطهارة والصلوة والصوم وغيرها يجب ان تعلمها
باحكامها وشرائطها في نفسها فربما انت مقيم على شيء
سنين وازمانا مما يفسد عليك طهارتك وصلاتك او
يخرجهما عن كونهما واقعين على وفاق السنة وانت لا
تشعر بذلك وربما يعترض لك وانت لا تجد من تسأله
عن ذلك وانت تعلمته ثم مدار هذا الشان ايضا
على العبادات الباطنة التي هي مساعي القلب يجب
ان تعلمها من التوكل والتفويض والرضا والصبر والتوبة

والاخلاص وغير ذلك مما سياتي ذكره ان شاء الله العزيز
له ويجب ان تعلم مناهيها التي هي اضدادها هذه الامور
كالسخط والامل والريا والعجب والكبر لتجتنب
٩ ذلك فان هذه فرايض الله تعالى على الامر بها والنهي
عن اضدادها في كتابه العزيز على لسان نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم كما قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين
واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون واصبر وما
صبرك الا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين وقوله
تعالى وتبتل اليه تبتيلا اي اخلص اليه اخلاصا
ونحو ذلك من الايات كما نص على الامر بالصلوة والصوم
فما لك اقبلت على الصوم والصلوة وتركت هذه الفرايض
والامر بهما من رب واحد في كتاب واحد بل غفلت عنها
فلا تعرف شيئا منها ابقنوي [?] شعر

ابقنوي [?] من اصبح بعاجل حظه مشغوفا لقي المعروف
منكرا والمنكر معروفا

ومن اهمل العلوم التي سماها الله تعالى في كتابه نورا وحكمة
وهدى واقبل على بابه يكتسب الحرام ويكون مصيدة
للحطام اما تخاف ايها المسترشد ان تكون مضيعا لشيء
من هذه الواجبات بل لاكثرها وتشتغل بصلوة التطوع

وصوم النفل فتكون في لا شي فربما انت مصر على معصية من
المعاصي التي تستوجب بها النار وتترك مباحا من طعام
او شراب او نوم تبتغي قربة الى الله تعالى فتكون في لا شي
واشد من ذلك كله انك تكون في امر الاثم الاول معصية
محضة فتظنه نية خير لجهلك بالفرق بينهما او لتقاربهما
في بعض الوجوه وكذلك تكون في جزع وسخط فتظنه
تضرعا وابتهالا الى الله تعالى وتكون في رياء محض وتحسبه
حمد الله تعالى او دعوة الناس الى الخير فتأخذ تعد على
الله المعاصي بالطاعات وتحسب الثواب العظيم
في موضع العقوبات فتكون في غرر عظيم وغفلة قبيحة
وهذه معصية قطيعة للعالمين من غير علم ثم مع ذلك
ان الاعمال الظاهرة علائق على المعاصي الباطنة
تصلحها وتفسدها كالاخلاص والرياء والعجب
وذكر المنة وغيرها فمن لم يعلم هذه المعاصي الباطنة
ووجه تاثيرها في العبادات الظاهرة وكيف الاحتراز
منها وحفظ العمل عنها فقل ما يسلم له عمل الظاهر ايضا
فتفوته الطاعات الظاهرة والباطنة فلا يبقى
في يده الا الشقا والكد وهذا هو الخسران
المبين ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صفة العلم من كلامه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقيا
والمعنى بمهلكه والله اعلم ان احدى شفوتيه انه لا يتعلم

العلم فيشقى ويتعب في العبادة على خبط فما يكون له من
ذلك الا العنا نعوذ بالله من علم وعمل لا ينفع ولهذا
عظمت عناية العلماء الزهاد العالمين العاملين بالعلم
رضي الله عنهم اجمعين خاصة ما ترى اقتدا فان مدار امر
العبادة في ملازل العبودية والخدمة لله رب العالمين
على العلم وهكذا يكون نظر اولي الابصار واهل
التوفيق والتاييد فاذا تبين لك بهذه الجملة ان
الطاعة لا تحصل للعبد ولا تسلم له الا بالعلم
فيلزم اذا تقديمه في شان العبادة واما الخصلة الثانية
التي توجب تقديم العلم ان العلم النافع يثمر خشية
الله ومهابته تعالى قال الله تعالى انما يخشى الله من
عباده العلماء وذلك ان لم تعرفه حق معرفته لم تهبه
حق مهابته ولم تعظمه حق تعظيمه وحرمته فصار
العلم يثمر الطاعة كلها ويحجز عن المعصية
كلها بتوفيق الله عز وجل ولبّر وراهد بن مقصد للعبد
في عبادة الله تعالى فعليك بالعلم ارشدك الله يا سالك
طريق الاخرة اول كل شي والله ولي التوفيق بفضله
ولعلك تقول قد ورد الخبر عن صاحب الشرع انه قال
طلب العلم فريضة على كل مسلم فما العلم الذي طلبه فرض
لازم وما الحد الذي لا بد للعبد من تحصيله في امر العبادة

فاعلم ان العلوم التي طلبها فرض في الجملة ثلثة علم التوحيد
وعلم السر اعني ما يتعلق بالقلب ومساعيه وعلم الشريعة
واما حد ما يجب من كل واحد منها فالذي يتعين فرضه
من علم التوحيد مقدار ما يعرف به اصول الدين وهو ان
لك الها عالما قادرا متكلما سميعا بصيرا واحدا لا
شريك له متصفا بصفات الكمال متنزها عن
دلالات الحدث متفردا بالقدم عن كل محدث
وان محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الصادق
فيما جاء به عن الله تعالى وفيما ورد على لسانه من امور
الاخرة ثم مسايل في شعار السنة يجب معرفتها
واياك ان تبتدع في دين الله ما لم يات به كتاب ولا
اثر فتكون مع الله على اعظم خطر وجميع ادلة التوحيد
موجود اصلها في كتاب الله تعالى وقد ذكره شيوخنا
رحمهم الله في كتبهم التي صنفوها في اصول الاديان
وعلى الجملة [illegible] لا تامن الهلاك مع جهله فطلب علمه
فرض لا يسوغ لك تركه فتمسك هذه وبالله التوفيق
واما الذي يتعين فرضه من علم السر فمعرفة مواجبه
ومناهيه حتى يحصل لك تعظيم الله تعالى والنية والاخلاص
وسلامة العمل وعامة ذلك ياتي في اثناء هذه الرسالة
واما من علم الشريعة فكل ما يتعلق عليك فرض فعله وجب

عليك معرفة ابوابه كالطهارة والصلوة والصوم فاما
الحج والجهاد والزكاة ان تعين وجب عليك ان تؤديها
والا فلا ثم هذا الحد ما يلزم العبد تحصيله من العلم لا محالة
ويتعين فرضه بحيث لا بد له من ذلك فان قلت هل يفترض
علي من علم التوحيد ما انقض به جميع علل الكفر
والزمهم حجة الاسلام وانقض جميع البدع والزمهم
حجة السنة فاعلم ان هذا فرض على الكفاية وانما
يتعين لك ما تصحح به اعتقادك في اصول الدين لا غير
وكذلك لا يتعين عليك معرفة فروع علم التوحيد ودقايقه
والاتيان به على جميع مسايله نعم ان ورد عليك
شبهة في اصول الدين تخاف ان تقدح في اعتقادك
فيتعين [illegible] حل تلك الشبهة بما امكن من الكلام
المقنع واياك والمماراة والمجادلة فانه داء عضال
لا دواء له فاحترز منه جهدك فان من [illegible] لا
يصلح ابدا الا من يتغمده برحمته ولطفه ثم اعلم
انه اذا كان في قطر داع من دعاة اهل
السنة يحل الشبهة ويرد على اهل البدع
ويشتغل بهذا العلم ويصفي قلوب اهل الحق

عن وسادس المبتدعة فقد سقط الفرض
عمن سواه وكذلك لا يلزمك معرفة دقائق علم
السر وجميع شرح عجائب القلب الا ما
يفسد عليك عبادتك فيجب معرفته لتحققه
وما يلزمك فعله كالاخلاص والحمد والشكر
والتوكل ونحو ذلك فيلزمك معرفته لتؤديه واما ما
سواه فلا وكذلك لا يلزمك معرفة سائر ابواب
الفقه من البيوع والاجارات والنكاح والطلاق
والجنايات وانما كل ذلك فرض على الكفاية فان قلت هذا
القدر من علم التوحيد هل يحصل بنظر انساني من غير
علم فاعلم ان الاستاذ فتاح ومسهل والتحصيل معه
اسهل واروح والله تعالى بفضله يمن على من يشاء
من عباده فيكون هو معلمهم سبحانه وتعالى ثم اعلم
ان هذه العقبة التي عقبة العلم كؤود
ولكن بها ينال المطلوب والمقصود
ونفعها كثير وقطعها شديد حد
عظيم كم من عدل عنها فضل وكم من سالكها

منقطع ح

فتر وكم من تائه فيها متحير وكم من حائر منقطع وكم
من سائر قطعها في مدة يسيرة وآخر متردد فيها سبعين
سنة والامر بيد الله عز وجل وانما نفعه فعلى ما ذكرنا
من شدة الحاجة للعبد اليه وبناء امر العبادة عليه
فف لا سيما علم التوحيد وعلم السر فلقد روي ان الله تعالى
اوحى الى داود عليه السلام قال يا داود تعلم العلم
النافع قال الهي وما العلم النافع قال ان تعرف جلالي
وعظمتي وكبريائي وكمال قدرتي على كل شيء فان هذا
الذي يقربك الي وعن علي عليه السلام انه قال ما يسرني
اني مت طفلا وادخلت الجنة ولم اكبر ولم اعرف ربي
[illegible] اكثرهم عبادة
فان [illegible] الناس [illegible]
و[illegible]هم في الله خشية واما شدته فان [illegible] في الاخلاص
في طلب العلم وليكون الطلب طلب دراية لا طلب رواية
واعلم ان الخطر عظيم فمن طلب العلم ليصرف به وجوه الناس
اليه ويجالس به الامراء ويباهي به النظراء او يتصيد به

الطاعات فتجارته بائرة وصفقته خاسرة قال ابو يزيد
البسطامي رحمة الله عليه عملت في المجاهدة
ثلثين سنة فما وجدت شيئا اشد علي من العلم وخطره
واياك ان يزين لك الشيطان فيقول اذا كان غدورد
هذا الخطر العظيم في العلم فتركه اولى فلا تطلب
ذلك فلقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اطلعت ليلة المعراج على النار فرايت اكثر
اهلها الفقرا فقالوا يا رسول الله من المال قال لا
من العلم ممن لم يتعلم العلم لا ياتي له احكام العبادة والقيام
بحقوقها ولو ان رجلا عبد الله تعالى عبادة ملائكة
السماوات بغير علم كان من الخاسرين فتشمر في طلب
العلم بالبحث والتلقين والتدريس و اجتنب الكسل
والملال والآفات فانك في خطر الضلال والعياذ بالله تعالى
ثم جملة الامر انك اذا نظرت في الدلايل صنع الله تعالى
وامعنت النظر ان لنا الها قادرا عالما حيا مريدا سميعا
بصيرا متكلما منزها عن حدوث الكلام في العلم والارادة

مقدسا عن كل نقص وآفة لا يوصف بصفات المحدثين
ولا يجوز عليه ما يجوز على المخلوقين لا يشبه شيئا من
خلقه ولا يشبهه شي ولا تتضمنه الاماكن والجهات
ولا تحله الحوادث والآفات ونظرت في معجزات الرسول
صلى الله عليه وسلم واعلام نبوته نعلمت انه رسول الله
وامينه على وحيه صلى الله عليه وسلم وما كان السلف
يعتقدونه من ان الله تعالى انه يرى في الآخرة لانه موجود
وليس في جهة فهو غير محدود وان القران كلام
الله غير مخلوق وليس بحروف مقطعة ولا اصوات
مختلفة اذ لو كان كذلك لكان من جملة المخلوقات وانه
لا يكون في الملك والملكوت فلتة خاطر ولا لفتة
ناظر الا بقضاء الله تعالى وقدره وارادته ومشيئته فمنه الخير
والشر والنفع والضر والايمان والكفر وانه لا يجب
على الله عز وجل لاحد من خلقه من اثابة فيفضله من عاقبة
فبعدله وما ورد على لسان صاحب الشرع من امور الآخرة
كالحشر والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير

والحشر والنشر

ولد المولد المبارك محمد بن يونس بن سلطان في
سحر الجمعة سنه [illegible]
ولد المولد المبارك يوسف بن يونس
بن سلطان في شهر رمضان المبارك
[illegible]

والصراط والميزان وعذاب القبر حق فهذه اصول
درج السلف رضوان الله عليهم اجمعين على
اعتقادها والتمسك بها ووقع عليه الاجماع قبل
تنوع البدع وظهور الاهواء نعوذ بالله من ابتداع في
الدين وفي اتباع الهوى بغير دليل ثم نظرت في اعمال
القلب والمواجب الباطنة والمناهي التي تاتي في هذا
الكتاب ليحصل لك علمه ثم تعرف جملة ما يحتاج الى استعماله
كالطهارة والصلوة والصوم والزكوة فاذا فعلت
فقد اديت فرض الله سبحانه وتعالى عليك الذي تعدل
به في باب العلم ولقد صرت من علماء امة محمد صلى الله
عليه وسلم الراسخين في العلم ان عملت بعلمك واقبلت
على عمارة معادك وكنت عبدا عاقلا لله تعالى على بصيرة
غير جاهل ولا مقلد ولا غافل ولك الشرف العظيم و
النعمه والثواب الجزيل وكنت قد قطعت هذه
العقبه وخلفتها وراك وقضيت حقها باذن الله

سبحانه المسؤول لان يمدك وايانا بحسن توفيقه
انه ارحم الراحمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الباب الثاني

في عقبة التوبة

ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله وايانا بالتوبة
وذلك لامرين احدهما ليحصل لك توفيق الطاعة فان
شوم الذنوب يورث الحرمان ويعقب الخذلان
وان الذنوب تمنع من المشي الى طاعة الله والمسارعة
الى خدمته وان ثقل الذنوب يمنع من الخفة في
الخيرات والنشاط الى الطاعات وان الاصرار
على الذنوب يسود القلب فتجدها في ظلمة وقساوة
ولا خلوص ولا صفاء ولا لذة ولا راحة ولا حلاوة وان
لم يرحم الله تعالى فسيجر صاحبها الى الكفر والشقاوة
فيا عجبا كيف يوفق للطاعة من هو في شوم وقسوة
كيف يدعى الى الخدمة من هو مصر على المعصية
والجفوة وكيف يقرب للمناجاة من هو متلطخ بالاقذار

والنجاسات ففي الخبر عن الصادق المصدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كذب العبد تنحى
الملكان عنه من نتن ما يخرج من فيه فكيف يصلح هذا
اللسان لذكر الله تعالى فلهذا لا يكاد يجد المصر
على العصيان توفيقا ولا تخف اركانه لعبادة
وان اتفق فبكد لا حلاوة معه ولا صفوة وكل
ذلك لشوم الذنوب وترك التوبة ولقد صدق من
قال اذا لم تقو على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك مكبول
قد كبلتك خطيئتك فهذه هذه والثاني من الامرين
انما يلزمك التوبة لتقبل منك عبادتك فان رب الدين
لا يقبل الهدية وذلك ان التوبة عن المعاصي وارضاء
الخصوم فرض لازم وغاية العبادة التي تقصدها
نفل فكيف يقبل منك تبرعك والدين عليك حال لم
تقضه ام كيف تترك لاجله الحلال والمباح وانت مصر
على الفعل المحظور والحرام وكيف تناجيه وتدعوه
وتثني عليه وهو والعياذ بالله عليك غضبان فهذا

اظهار حال العصاة المصرين على المعصية
والله المستعان فان قلت فما معنى التوبة
النصوح وما حدها وما ينبغي للعبد ان يفعله
حتى يخرج من الذنوب كلها فاقول اما
التوبة فاذا ما شيء ينبعث من مساعي القلب وهو
عند العصير في قول العلماء تنزيه القلب عن
الذنوب قال شيخنا في حد التوبة انه ترك
اختيار ذنب سبق عنه مثله منزلة لا صورة
تعظيما لله تعالى وحذرا من سخطه فلها اذن
اربع شرايط احدها ترك اختيار الذنب وهو
ان يوطن قلبه ويجرد عزمه على انه لا يعود اليه البتة
او لا يعزم على ذلك بل يتردد فانه ربما يقع له العود
فانه ممتنع عن الذنب غير تائب عنه الثانية ان
يتوب من ذنب قد سبق عنه مثله اذ لو لم
يسبق عنه مثله لكان متقيا غير تائب

في علم التوبة النصوحة

الا ترى انه يصح القول بان النبي صلى الله عليه
وسلم كان متقيا عن الكفر ولا يصح انه كان
تائبا اذ لم يسبق عنه كفر بحال وان عمر رضي الله
عنه كان تائبا عن الكفر لما سبق عنه ذلك
الثالثة ان الذي سبق يكون مثل ما يترك
اختياره في المنزلة والدرجة لا في الصورة الا ترى
ان الشيخ الهرم الفاني الذي سبق منه الزنا وقطع
الطريق اذا اراد ان يتوب عن ذلك تمكنه
التوبة لا محالة اذ لم يغلق عنه بابها ولا يمكنه
ترك اختيار الزنا وقطع الطريق اذ هو لا يقدر الان
على ذلك فلا يقدر على ترك اختياره فلا يصح
وصفه بانه تارك له ممتنع عنه وهو عاجز
عنه غير متمكن لكنه يقدر على ما هو مثل الزنا
وقطع الطريق في المنزلة والدرجة كالقذف
والغيبة والنميمة اذ جميع ذلك معاص وان كان

يتفاوت الاثم في حق الآدمي في حق كل واحد بقدرها
لكن جميع هذه المعاصي الفرعيه كلها بمنزلة واحدة
وهي دون منزلة البدعه ومنزلة البدعه دون
منزلة الكفر فلذلك صح منه التوبه عن الزنا
وقطع الطريق وساير ما مضى من الذنوب الذي
هو عاجز عن اتيانها اليوم في الصورة الرابعة ان
يكون اختياره لذلك تعظيما لله تعالى وحذرا من
سخطه واليم عذابه مجردا الا لرغبه دنياويه
او رهبة من الناس او طلب ثناء وصيت
ضعف في النفس او فقر او غير ذلك فهذه شرائط
التوبة واركانها فاذا حصلت واستجمعت
فهي توبة حقيقية صادقة فاما مقدمات التوبة
فثلث احدها ذكر غاية قبح الذنوب والثانيه
شدة عقوبة الله تعالى واليم عقابه وسخطه ومعصيته
الذي لا طاقة لك به والثالثه ذكر ضعفك

وقلة حيلتك في ذلك فان من لا يحتمل حر شمس
ولطمة شرطي وقرص نملة كيف يحتمل
حر نار جهنم وضرب مقامع الزبانيه ولسع حيات
كاعناق البخت وعقارب كالبغال خلقت
من النار في دار الغضب والبوار نعوذ بالله من سخط
وعذابه صح الله فاذا واظبت على هذه الاذكار وعاودتها
فانها ام اناء الليل والنهار فسيحملك على التوبة النصوح من
الذنوب والله الموفق بفضله فان قيل اليس
قد قال النبي صلى الله عليه وسلم الندم توبة ولم يذكر
شيئا مما ذكرتم من شرائطها وشددتم فيها قيل اعلم
اولا ان الندم غير مقدور للعبد الا ترى انه تقع
الندامه عن امور في القلب وهو يريد ان لا يكون
ذلك والتوبة مقدورة للعبد ماموره بها ثم قد علمنا
انه لو ندم عن الذنوب لما ذهب بذلك جاهه بين
الناس او ماله في النفقة فيها لان ذلك لا يكون

توبة ولا ريب فعلمت بذلك ان في الخبر معنى
لم تفهمه من ظاهره وهو ان الندم لتعظيم
الله سبحانه وتعالى وخوف عقابه مما يبعث
على التوبة النصوح فان ذلك من صفات التائبين
وحالهم فانه اذا ذكر الاذكار الثلثة التي هي
في مقامات التوبه تندم جملة الندامه على برك
اختيار الذنوب ونفي في قلبه في المستقبل
يحمله على الابتهال والتضرع فلما كان ذلك من اسباب
التوبه وصفات التائب سماه باسم التوبة
فاعلم ذلك موفقا ان شاء الله تعالى فان قلت كيف
يمكن الانسان ان يصير بحيث لا يقع منه
ذنب البتة من صغير او كبير وانبيا الله
صلوات الله عليهم اجمعين الذين هم
اشرف خلق الله قد اختلف الناس هل نالوا هذه
الدرجة ام لا فاعلم ان هذا امر ممكن من غير

مستحيل ثم هو هين والله تعالى يختص برحمته
من يشاء ثم من شرط التوبة ان لا يتعمد ذنبا
فاما ان يقع فيه بسهو او خطاء فهو معفو عنه
بفضل الله عز وجل وهذا هين على من وفقه الله
عز وجل فان قلت انما يمنعني من التوبه اني اعلم من نفسي اني
اعود الى الذنب ولا اثبت على التوبه ولا فايده
في ذلك فاعلم ان هذا من غرور الشيطان ومن اين
لك هذا العلم فعسى ان تموت تائبا قبل ان تعود الى
الذنب واما الخوف من العود فعليك العزم
والصدق في ذلك وعليه الاتمام فان اتم فذلك وان
لم يتم فقد [illegible] ذنوبك السالفة كلها تخلصت
منها وتطهرت منها وليس عليك الا هذا الحديث
الذي احدثته الآن هذا هو الربح العظيم والفايده
الكبيره ولا يمنعك خوف العود عن التوبه فانك من
التوبة ابدا بين الحسنيين والله ولي التوفيق

والهدايه فهذه هذه واما الخروج من الذنوب والتخليص
منها فاعلم ان الذنوب في الجملة ثلثة اقسام احدها
ترك واجبات الله تعالى عليك من صلوة او صوم
او كفارة او غيرها فتقضي ما امكنك منها
الثانية ذنوب بينك وبين الله كشرب الخمر
وضرب المزامير واكل الربا ونحو ذلك فتندم على ذلك
وتوطن قلبك على ترك العود الى مثلها ابدا الثالثة
ذنوب بينك وبين العباد وهذا اشكل واصعب
وهي اقسام يكون في المال او في النفس او في العرض
او في الحرمة او في الدين فما كان في المال فيجب ان
ترده عليه ان امكنك وان عجزت عن ذلك لغيبة
الرجل او موته وامكن التصدق عنه فافعل
وان لم يمكن فعليك بتكثير حسناتك والرجوع
الى الله تعالى بالتضرع والابتهال اليه ان يرضيه
عنك يوم القيامة واما ما كان في النفس فتمكنه

من القصاص الى اوليائه حتى يقتص منك او يجعلك
في حل وان عجزت فالرجوع الى الله تعالى بالتضرع
والابتهال اليه ان يرضيه عنك يوم القيامة واما
العرض فان اغتبته او بهتنه او شتمته فحقك ان تكذب نفسك
بين يدي من فعلت ذلك عنده وان تستحل من صاحبه ان
امكنك هذا اذا لم تخش زيادة غيظ وهيج فتنة
في اظهار ذلك او تجديده فان خشيت فالرجوع
الى الله تعالى ليرضيه عنك والاستغفار الكثير
لصاحبه واما الحرمة فان خنته في اهله او ولده
او نحوه فلا وجه للاستحلال والاظهار لانه
يولد غيظا وفتنة بل تتضرع الى الله تعالى ليرضيه عنك
ويجعل له خيرا كثيرا في مقابلته فان امنت الفتنة
والهيج وهو نادر فتستحل منه واما في الدين فان
كفرته او بدعته او ضللته فهو اصعب الامر
فتحتاج الى تكذيب نفسك بين يدي من قلت

ذلك له وان تستحل من صاحبك ان امكنك والا
فالابتهال الى الله عز وجل جدا والندم على ذلك ليرضيه
عنك وجملة الامر فما امكنك من ارضاء الخصوم
عملت وما لم يمكنك راجعت الى الله تعالى بالتضرع
والصدق ليرضيه عنك فيكون ذلك في
خشية الله تعالى يوم القيامة والرجا منه
بفضله العظيم واحسانه العميم انه اذا علم الصدق
من قلب العبد فانه يرضي خصماه من خزاين فضله
لا حكم فاعلم هذه حققا راشدا فافهم هذه فاذا
انت علمت ما وصفناه وبرات القلب عن الخيار
مثلها في المستقبل فقد خرجت من الذنوب
كلها وان حصلت مثل تبرية القلب ولم تحصل
قضا الفوايت وارضا الخصوم فالتبعات لازمة
وساير الذنوب مغفورة ولهذا الباب شرح يطول
فلا يحتمله هذا المختصر فانظر كتاب التوبة

من احياء علوم الدين اولا وكتاب القربة الى
الله تعالى ثانيا وكتاب غاية القصوى ثالثا تجد
فوايد كثيرة وشروحا جما والذي ذكرنا
ههنا هو الاصل الذي لا بد منه وبالله التوفيق الذي

فصل ثم اعلم يا اخينا ان هذه العقبة عقبة
صعبة امرها مهم وضررها عظيم ولقد بلغنا
عن ابي اسحق الاسفرايني رحمة الله عليه انه
قال دعوت الله ثلثين سنة ان يرزقني توبة نصوحا
ثم تعجبت في نفسي وقلت سبحان الله حاجة دعوت
الله فيها ثلثين سنة فما قضيت الى الان فرايت
فيما يرى النايم كان قايلا يقول يا ابا اسحق تتعجب من ذلك
اتدري ماذا تسال انما تسال الله تعالى ان يحبك اما
سمعت الله تعالى يقول ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين اهذه حاجة هينة فانظر
الى هولاء الايمة واهتمامهم ومواظبتهم على صلاح

قلوبهم والتزود لمعادهم واما الضد الخوف فان
اول الذنب قسوة واخره العياذ بالله شوم
وشقوة فاياك ان تلتقي امر ابليس وبلعم كان مبدا (ابن باعوراء)
امرهما ذنبا واخره كفرا فهلكا مع الهالكين
ابد الابدين فعليك رحمك الله بالتيقظ والجهد
عسى ان تقطع من قلبك عروق هذه الاصرار وتخلص
رقبتك من هذه الاوزار ولا تامن قساوة القلب
وتامل حالك فلقد قال بعض الصالحين ان سواد
القلب من الذنوب وعلامة سواد القلب ان لا تجد
من الذنوب مفزعا ولا للطاعة موقعا ولا
للموعظة منجعا ولا تستحقرن من الذنوب شيئا
فتحسب نفسك تائبا وانت مصر على الكبائر
فلقد بلغنا عن كهمس بن الحسن انه قال اذنبت ذنبا
وانا ابكي عليه اربعين سنة قيل ما هو يا ابا عبد
الله قال زارني اخ لي فاشتريت له سمكا فاكل

ثم قمت الى حائط فاخذت منه قطعة طين
فغسل بها يده فانتبه لنفسك وحاسبها وبادر الى
التوبة وبادر فان الاجل مكتوم والدنيا غرة
وتضرع الى الله تعالى وابتهل واذكر حال ابينا
ادم صلوات الله عليه الذي خلقه الله تعالى
بيده وحمله الى جنته على اعناق الملائكة لم
يذنب الا ذنبا واحدا فنزل به ما نزل حتى يروى
ان الله تعالى قال له يا ادم اي جار كنت لك قال نعم
الجار يا رب قال يا ادم اخرج من جواري وضع عن
راسك تاج كرامتي فانه لا يجاورني من عصاني
فيما روي بكى على ذنبه مائتي سنة حتى قبل
توبته وغفر ذنبه الواحد هذا حاله مع نبيه
وصفيه في ذنب واحد فكيف حال العبد في ذنوب
لا تحصى وهذا تضرع التائب وابتهاله فكيف
بالمصر المتعسف ولقد احسن من قال

يخاف على نفسه من يتوب فكيف ترى حال من لا يتوب
فان قلت ثم نقضت وعدت الى الذنب ثانيا
فعد الى التوبة مبادرا وقل لنفسك لعلي اموت
قبل ان اعود الى الذنب هذه المرة وكذلك
ثالثا ورابعا وكما اتخذت الذنب والعود اليه حرفة
فاتخذ التوبة والعود اليها حرفة فلا تكون في التوبة
اعجز منك في الذنب ولا تيأس ولا يمنعك الشيطان
من التوبة بسبب ذلك فانه دلالة الخير اما تسمع
قوله صلى الله عليه وسلم خياركم كل مفتن تواب
اي كثير الابتلاء بالذنب كثير التوبة منه
والرجوع الى الله تعالى بالندامة والاستغفار وتذكر
قوله سبحانه وتعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم
يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما فهذه
هذه وبالله التوفيق فصل وجملة الامر
انك اذا اردت قوام قلبك من الذنوب كلها بان
تواظبه على انه لا يعود الى الذنب ابدا البتة

غفورا صح

عـ علو نيتك انه تتوب

فتذكر ما كان منه على وجه علم الله سبحانه
وتعالى صدق عزمك من قلب نقي وترضي الخصوم
بما امكنك وتقضي الفوائت بما تقدر وتغلبه
وترجع في الباقي الى الله سبحانه وتعالى بالابتهال والتضرع
ليكفيك ذلك ثم تذهب بعيشك وتغسل ثوبك
وتصلي اربع ركعات كما يجب وتضع وجهك
على الارض في مكان خال لا يراك الا الله سبحانه وتعالى
ثم تجعل التراب على راسك وتمرغ وجهك الذي هو
اعز اعضائك في التراب بدمع جار وقلب حزين
وصوت عال تذكر ذنوبك واحدا واحدا بما
امكنك وتلوم نفسك العاصية عليها
وتوبخها وتقول اما تستحيين يا نفس اما آن لك ان
تتوبي الك طاقة بعذاب الله عز وجل الك
صنع بسخط الله تعالى وتذكر من هذا كثيرا وتبكي
ثم ترفع يديك الى الرب الرحيم سبحانه وتقول
يا الهي عبدك الآبق رجع الى بابك عبدك العاصي

رجع الى بابك عبدك المذنب اتاك بالعذر داعى على
بجودك وتقبلني بفضلك وانظر الى برحمتك اللهم اغفر
لى ما سلف من ذنوبي واعصمني من الاجل فيما بقى
فان الخير كله بيدك وانت بنا رؤف رحيم
ثم تدعوا دعا الشدة وهو يا محل عظايم الامور اللهم
يا منتهى همة المهمومين يا من اذا اراد امرا
ان يقول له كن فيكون احاطت بنا ذنوبنا
وانت المذخور لها يا مذخوري لكل شدة
كنت اذخرك لهذه الساعة فتب على انك
انت التواب الرحيم ثم اكثر من الدعاء والتذلل البكا
وقل يا من لا يشغله سمع عن سمع يا من لا تغلطه
المسائل يا من لا يبرمه الحاح الملحين اذقنا
برد عفوك وحلاوة مغفرتك انك على كل شيء قدير
ثم تصلي على النبي صلوات الله وسلامه عليه
وتستغفر للمؤمنين والمؤمنات ثم ترجع الى طاعة
الله عز وجل فتكون قد تبت توبة نصوحا
وقد خرجت من الذنوب طاهرا كيوم

ولدتك امك واحبك الله تعالى وكم من الاجر والثواب
وعليك من الرحمة والبركة ما لا يحيط به وصف
وحصل لك من الامن والاخلاص ونجوت من المعاصي
وبليتها في الدنيا والاخرة وكنت قد قطعت
هذه العقبة باذن الله تعالى والله ولي التوفيق

الباب الثالث

في عقبة الثالثة وهي عقبة العوائق
ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله بدفع العوائق
حتى تستقيم عبادتك وقد ذكرنا ان العوائق
اربعة احدها الدنيا ودفعها بالتجرد عنها
والزهد فيها وانما الزمتك هذا التجرد والزهد
لامرين لتستقيم عبادتك وتكثر فان الرغبة في الدنيا
تشغلك اما ظاهرك بالط[illegible]
بالارادة وحديث النفس وكلاهما يمنع العبادة
فان النفس واحدة والقلب واحد فاذا اشتغل
بشيء انقطع عن ضده وان مثل الدنيا والاخرة

كمثل ضرتين ان ارضيت احديهما اسخطت الاخرى
وانهما كالمشرق والمغرب بقدر ما تميل الى احدهما
اعرضت عن الاخرى اما شغلهما في الظاهر
فقد روينا عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه
قال ما اردت بين العبادة والتجارة فلم يجتمعا فاقبلت
على العبادة وتركت التجارة وعن عمر رضي الله عنه
انه قال لو كانتا محبتين لاحد غيري لاجتمعتا
لي لما اعطاني الله تعالى القوة واللين فاذا كان الحديث
اقتصر بالغايته والسلم واما شغل القلب وهو الباطن
فمكان الارادة كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال من احب دنياه اضر باخرته ومن احب
اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى فبان
لك انك اذا اشتغلت ظاهرك بالدنيا وباطنك
بالارادة لم تتيسر لك العبادة حقها واما اذا
ازهدت فيهما فتفرغت بظاهرك وباطنك
تتيسر لك العبادة بل تعاونك اعضاوك لقد روي عن

سلمان الفارسي رضي الله عنه ان العبد اذا زهد
في الدنيا استنار قلبه بالحكمة وتعاونت اعضاوه
في العبادة فهذه هذه والثاني من الامرين ان
تكثر قيمة عملك وتعظم قدره وشرفه ولقد
قال صلى الله عليه وسلم ركعتان من رجل
زاهد قلبه خير واحب الى الله تعالى من
عبادة المتعبدين الى اخر الدهر ابدا
سرمدا فاذا كانت العبادة تشرف وتكثر كذلك
فحق لمن طلب العبادة ان يزهد في الدنيا
ويتجرد عنها فان قلت فما معنى الزهد في الدنيا
وحقيقة ذلك فاعلم ان الزهد عند علمائنا رحمهم الله
زهدان زهد مقدور للعبد وزهد غير مقدور
للعبد فالزهد الذي هو مقدور ثلثة اشيا
ترك طلب المفقود من الدنيا وتفريق المجتمع منها
وترك ارادتها واختيارها واما الزهد الذي هو غير
مقدور للعبد فهو برودة الشيء على قلب الزاهد ثم
للزهد الذي هو مقدور مقدمات الذي هو

غير مقدور للعبد فاذا اتى العبد بجهده بأن لا يطلب
ما ليس عنده من الدنيا وان يفرق ما عنده منهما
وترك بالقلب ارادتهما واختيارها لا فاتهما اورثته
هذه برودة الدنيا على القلب لاجل الله تعالى
وعظم ثوابه فهذا عندي هو الزهد الحقيقي ثم
اعلم ان اصعب الامور الثلاثة انما هو ترك الارادة
بالقلب اذ كم تارك لها بظاهره يحب موثرها باطنه
فهو في مكابدة ومقاساة من نفسه شديدة
والشان كله في هذه الم تسمع قوله تعالى الدار
الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض
ولا فسادا والعاقبة للمتقين فحكم فيه بنفي الارادة
دون الطلب والفعل للمراد وقوله تعالى من كان يريد
حرث الاخرة نزد له في حرثه الاية وقوله
تعالى من [illegible]يد العاجلة عجلنا له وقوله
ومن اراد الاخرة فهذا ترى الاشارة كلها الى الارادة
فامرها هو المهم اذن لكن العبد اذا واظب واستقام
على الاولين اعني الترك والتفريق ثم توسل من

فضل الله تعالى ان يوفقه لدفع هذه الارادة
والاختيار عن قلبه فانه المتفضل الكريم ثم الذي
يبعث على الترك والتفريق ويهون عليك
ذلك ذكر آفات الدنيا وعيوبها وقد اكثر الناس
القول في ذلك فمنه قول بعضهم تركت الدنيا
لقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها
وخسة شركائها قال شيخنا الامام رحمه الله كان
من هذا رائحة الرغبة فالحجة لان من شكى فراق
احد احبه ووصاله من ترك شيئا لمكان الشركاء
فيه احبه لو انفرد به فالقول البالغ فيه ما
قاله شيخنا رحمه الله ان الدنيا عدوة الله وانت
محبه ومن احب احدا ابغض عدوه قال ولانها
في اصلها وشيخة جيفة الا ترى ان اخرها الى الفناء
والقذر والتلاشي والاضمحلال تامل عن نصيب
وطلبت بنيته فاغتر بظاهرها الغافلون
وزهد عنها العاقلون فان قيل فما حكم الزهد
في الدنيا اهو فرض ام نفل فاعلم ان الزهد عندنا

يقع في الحلال والحرام وهو في الحرام فرض وفي الحلال
نفل ثم منزلة هذا الحرام لمبتغي الطاعة بمنزلة
الميتة المتقذرة لا يقدم عليها الا عند الضرورة
بقدر دفع الضرورة واما الزهد في الحلال فانما
يكون في منزلة الابدال يكون عندهم الحلال بمنزلة
الميتة لا يتناولون الا قدرا لا بد منه والحرام
عندهم بمنزلة النار لا يخطر ببالهم قصد تناولها
بحال وهذا معنى البرودة على القلب بان ينقطع همته
عنها ويستقذرها ويستكرهها جدا فلا يبقى له في
قلبه اختيار وارادة فان قلت كيف يمكن ان
تصير الدنيا في شهواتها ولذاتها المحبة المطلوبة
عند انسان بمنزلة النار او بمنزلة الجيفة المستحيلة
المنتنة بحسب الطبع طبعا فاعلم ان من وفق التوفيق
الخاص وعلم [illegible] وقدرها في اصلها تصير عنده
كذلك وانما تتعجب من هذا الراغبون العميان عن عيب الدنيا
وآفاتها المغترون بظاهرها وزينتها ولا اضرب لك

مثلا كذلك فاعلم ان هذا مثل انسان صنع خبيصا
بشرائطه من السكر وغيره ثم طرح فيه قطعة
سم قاتل وابصر ذلك رجل ولم يبصره آخر ووضع
الخبيص بين يديهما مزينا مزخرفا فالرجل الذي ابصره
دس فيه من السم يكون زاهدا في ذلك الخبيص لا
يخطر بباله ان يتناول منه بحال البتة ويكون
عنده بمنزلة النار بل اصعب لمكان ما يعلم
من آفته فلا يغتر بظاهره وبزينته واما الرجل
الآخر الذي لم يبصر ما جعل فيه اغتر بظاهره
المزخرف وحرص عليه ولم يصبر عنه والجد يتعجب
من صاحبه الزاهد فيه وربما سفهه في هذا فهذا
مثل حرام الدنيا مع البصيرين المستيقنين والجهال
الراغبين وان لم يطرح فيه السم بل مخطه ببزق او
امتخط فيه ثم مسحه وزينه فالرجل الذي شاهد
منه ذلك الفعل يكون متقذرا لذلك الخبيص نافرا
عنه لا يكاد يقدم عليه الا عند الضرورة وشدة
الحاجة والذي لم يشاهد ذلك فهو جاهل بآفته

مغتر بظاهره حريص بكث سعجب بحث فهذا به
مثل حلال الدنيا مع الفريقين اهل البصيرة والاستقا
واهل الرغبة والغفلة وانما اختلف حال الرجلين مع
تساويهما في الطبع والبنية لموضع النظر ببصيرة
وعلم كان لاحدهما وتجاهل وغفلة وجفاء كان
للآخر فلو ابصر الراغب وعلم ما علمه الزاهد لكان
زاهدا مثله ولو جهل الزاهد وعمي الذي عمي عنه عنى
الراغب كان راغبا مثله فعلمت بذلك ان هذا
التميز لمكان البصاير دون الطباع وهذا اصل
مفيد وكلام بين شديد اعترف به من عقل
وانصف والله ولي الهداية والتوفيق بفضله
فان قيل فلا بد لنا من قدر من الدنيا ليكون
قواما لنا فكيف نزهد فيهما فاعلم ان الزاهد في
الفضول مما لا يحتاج في قوام البنية والمقصود
القوام والقوة حتى يعبد الله سبحانه لا الاكل
والشرب والتلذذ والله تعالى ان شا اقامهما بشي
وسبب وان شاب به اقامهما بغير سبب كالملايكة

ثم ان كان بشيء مما زينا فيشبه حاصل عندك وبطلبك
وكسبك وان شا بشيء غيره تسببه لك من حيث لا
تحتسب من غير طلب منك وكسب كما قال الله تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا
يحتسب فاذن لا يحتاج بحال الى طلب وارادة فان لم
تقو على ذلك طلبت واردت فانو بذلك العدة على
عبادة الله عز وجل دون الشهوة واللذة فانك اذا
نويت ذلك كان الطلب والارادة منك خيرا
وطلبا للآخرة بالحقيقة لا للدنيا ولا يقدح في زهدك
وتجردك فاعلم ذلك راشدا وبالله التوفيق العايق الثاني
الخلق ثم عليك وفقك الله واياك لطاعته بالتجرد
والتفرد عن الخلق وذلك لامرين احدهما انهم يشغلونك
عن عبادة الله مما يحكى عن بعضهم انه قال مررت فوقف
بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا منهم فاردت
ان اكلمه فقال ذكر الله اشهى الي فقلت انت وحدك
فقال معي ربي وملكاي فقلت من سبق من هولاء
فقال

وملكاي حر

معالمن غفر الله له قلت اين الطريق فاشار بيده الى
السماء وقال وتركني والخلق اشغل يشغلونك عن ذام
العبادة بل يمنعونك منها بل يوقعونك في الشر
الهلاك على ما قال حاتم الاصم رحمه الله عليه
طلبت من هذا الخلق خمسة اشيا فلم اجد
منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا فقلت اعينوني
عليهما ان لم تفعلوا فلم تفعلوا فقلت ارضوا مني
ان فعلت فلم يفعلوا فقلت لا تمنعوني اذن فمنعوا
فقلت لا تدعوني الى ما لا يرضى الله العظيم ولا
تعادوني عليهما ان لم اتابعكم فلم يفعلوا فتركتهم واشتغلت
بخاصة نفسي ثم اعلم ايها الاخ في الدين ان نبيك
محمدا صلى الله عليه وسلم وصف زمان العزلة
وبين نعته ونعت اهله وامر فيه بالتفرد
وكان لا محالة اعلم بمصالح العباد وانصح لنا منا
لانفسنا فان وجدت زمانك على ما وصف وبين
فامتثل امره واقبل نصيحته ولا تشك في انه كان
اعرف بما يصلح لك في زمانك ولا تعلل بالعلل الكاذبة

ولا تخادع نفسك الا فانت هالك ولا عذر لك
والوصف الذي ذكر ما هو في الخبر المشهور
عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما
انه قال بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ ذكر الفتنة قال اذا رايتم الناس مرجت
عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين
اصابعه قلت فما اصنع عند ذلك جعلني الله فداك
قال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف
ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع عنك امر
العامة وذكر في خبر اخر انه صلى الله عليه وسلم
قال ذلك ايام الهرج قيل وما ايام الهرج قال حين
لا يامن الرجل جليسه وذكر عن ابن مسعود رضي
الله عنه في خبر اخر للحارث بن عمير انه ان
يدفع عن عمرك فسياتي عليك زمان كثير خطباؤه
قليل علماؤه كثير سؤاله قليل معطوه الهوى فيه
تابع للعلم قال ومتى ذلك قال اذا اميتت الصلوة وقبلت
الرشا وبيع الدين بعرض يسير من الدنيا فالنجا
ويحكم النجا قلت جميع ما ذكر في هذه الاخبار تراه

بعينك في زمانك واهله فانظر لنفسك ثم ان السلف
الصالح رحمة الله عليهم اجمعوا على التحذير من
زمانهم واهله واثروا العزلة وامروا بذلك وتواصوا
به ولا شك انهم كانوا ابصر وانصح فان الزمان
بعدهم لم يصر خيرا مما كان بل اشر منه
وامر وهو ما ذكر عن يوسف بن اسباط رحمه
الله عليه انه قال سمعت الثوري رحمه الله
عليه يقول والله الذي لا اله الا هو لقد حلت
العزوبة في هذا الزمان قلت لئن حلت في زمانه
ففي زماننا هذا وجبت وافترضت وعن شقيق
ايضا انه كتب الى عباد الخواص اما بعد فانك في
زمان كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذون
بالله ان يدركوه فيهم بلغنا ولهم من العلم ما ليس فيما
لنا فكيف بنا حين ادركناه على قلة علم وقلة صبر
وقلة اعوان على الخير وكدر من الدنيا وفساد
من الناس فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال في العزلة راحة من خلطاء السوء وفي مثل هذا

قيل هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب
وفي قول ابن مسعود لو دام هذا ولم يحدث علي
غيره لم نبك لميت ولم نفرح بمولود لنا ولقد قال
وحدثنا عن سفين بن عيينه انه قال للثوري
اوصني قال اقلل من معرفة الناس قلت يرحمك الله
اليس جاء في الخبر اكثروا من معرفة المومنين فان لكل
مومن شفاعة قال لا احسبك رايت قط ما تكره
الا ممن تعرف قلت اجل ثم مات فرايته بعد
موته في المنام فقلت يا ابا عبد الله اوصني
قال اقلل من معرفة الناس فان التخلص منهم
شديد وقد قيل في معنى هذا الخبر شعر

وما زلت مذ لاح المشيب بمفرقي ... اقتش عن هذا الورى واكشف
فما ان عرفت الناس الا ذممتهم ... جزى الله خيرا كل من لست اعرف

وقال الفضيل رحمة الله عليه هذا زمان احفظ
لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع
ما تنكر وعن داود الطائي رحمه الله صم عن الدنيا
واجعل فطرك الجنة وفر من الناس فرارك من الاسد

وعن ابي عبيدة قال ما رايت حكيما قط الا في عقب
كلامه ان احببت ان لا تعرف فانت من الله على
حال والاخبار في هذا الباب كثيرة لا يحمله هذا الكتاب
وقد صنفنا كتابا مفردا سميناه اخلاق الابرار والنجاة
من الاشرار فقف عليه ترى العجايب والعاقل تكفيه
الاشارة واما الخصلة الثانية التي تقتضي التفرد عن
الناس في هذا الزمان ان الناس يعجزون عن كل
ما يحصل لك من العبادة اذ لم يعصم الله سبحانه
بعض من قبلهم من دواعي الرياء والتزين ولقد صدق
يحيى بن معاذ حيث قال رؤية الناس بساط الرياء
هؤلاء الزهاد قد خافوا على انفسهم من هذا المعنى
حيث تركوا الملاقاة والتزاور ولقد ذكر ان
هرم بن حيان قال لاويس رحمة الله عليهما صلنا بالزيارة
واللقا فقال اويس قد وصلتك بما هو انفع لك منهما وهو الدعا
بظهر الغيب لان الزيارة واللقا يعرض منهما التزين والريا
ولقد قيل لسليمان الخواص قدم ابرهيم بن ادهم رحمه الله
عليها افلا تاتيه قال لان القى شيطانا ماردا احب

الي من لقائه فانه يتشكر اذ كل من قوله فقال اني اذا
لقيته اخاف ان اتزين واذا لقيت شيطانا امتنع منه
ولقد لقي شيخ الامام بعض العارفين فتذاكرا مليا ثم
دعوا في اخر حديثهما فقال للعارف ما اظنني جلست
مجلسا انا الذ ارجى من مجلسي هذا فقال له العارف لكني ما جلست
مجلسا انا فيه اخوف من مجلسي هذا الست تعمد الى احسن
حديثك وعلومك فتحدثني بها وتظهرها بين يدي وانا كذلك
نوقع الريا فبكى شيخ الامام مليا ثم غشي عليه وكان
يقول بعد ذلك يتمثل يا ويلتي من موقف ما به اخوف من ان يعدل الحاكم
يا رب عفوا منك عن مذنب اسرف الا انه نادم
فهذا حال اهل الزهد والرياضة مع ملاقاتهم فكيف
حال اهل الرغبة والبطالة بل حال اهل الشر والجهالة
واعلم ان الزمان قد اصبح في فساد عظيم واصبح الناس
في صور كثيرة فانهم يشغلونك عن عبادة الله تعالى حتى
لا يكاد يسلم لك شيء فلزم منك العزلة والتفرد عن الناس
والاستعاذة بالله من شر هذا الزمان واهله والله عز

جل الحافظ برحمته فان قيل ما حكم العزلة والتفرد
عن الناس فبين لنا حال طبقات الخلق فيهما والحد
الذي يجب منهما فاعلم رحمك الله وايانا ان الناس في هذا
الباب رجلان رجل لا حاجة بالخلق اليه في
علم وبيان حكم فالاولى بهذا الرجل التفرد عن الناس
ولا يخالطهم الا في جمعة او جماعة او عيد او حج او
مجلس علم بالسنة او حاجة في معيشته لا بد له من
ذلك فيداوي بشخصه ويلزم بيته لا يعرف فاما ان
احب هذا الرجل ان ينقطع عن الناس ولا يخالطهم
في امر من الامور البتة من دين او دنيا وجماعة
وجمعة وغيرها لما يرى له في ذلك من مصلحته وفراغته
فانه لا يسعه ذلك الا باحد امرين اما ان يصير الى
موضع لا يلزم هناك هذه الفروض كرؤوس الجبال
وبطون الاودية ونحوها الى هذا احد الوجوه
التي دعت العباد [illegible] تلك المواضع البعيدة عن الناس
واما ان يتيقن بالحقيقة ان الضرر الذي يلحقه
في مخالطة الناس [illegible] هذه الفروض اعظم من

تركها لتخبئته يكون له عذر في ذلك ولقد رايت
ولنا بمكة حرسها الله تعالى بعض المشايخ المترددين
من اهل العلم وهو لا يحضر المسجد الحرام في الجماعات
مع قربه منه وسلامة حاله تجاورته في ذلك يوما في
حال ترددي فذكرت عليه ما اشرنا اليه وهو
ان ما يجد من الثواب لا يفي بما يلحقه من الآثام والتبعات
في الخروج الى المسجد ولقاء الناس قلت انا وجملة الامر لا
عتب على المعذور والله تعالى اعلم بالعذر وهو عليم
بذات الصدور ولكن الطريق العدل فيه الاول بان
تشارك الناس في الجمعة والجماعات وضروب الخيرات
وتباينهم فيما سوى ذلك فان احب الطريق الثاني بان تنقطع
عن الناس مرة فسبيله الخروج الى موضع لا تتوجه عليه
هذه الفروض فيها ثم ان الطريق الثالث ان يكون مع الناس
في مصر واحد لا يحضر جماعة ولا جمعة لعذر يراه
في ذلك من وزر او تبعة عليه فانه يحتاج الى نظر دقيق
وعلم وعوارض دقيقة حتى يسقط عنه ذلك فيه خطر من
الغلط والاول اسلم واحفظ له والله تعالى ولينا الهداية

بفضله. واما الرجل الثاني فرجل يكون قدوة في دينهم
لبيان حق او رد على المبتدع او دعوة الى الخير بفعل او
نحو ذلك فلا يسع بهذا الرجل الاعتزال عن الناس بل
ينصب نفسه بينهم ناصحا للخلق لله تعالى ذابا عن
دين الله مثبتا لاحكام الله عز وجل فلقد روينا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا ظهرت البدع
وسكت العالم فعليه لعنة الله عز وجل هذا اذا كان
بينهم واذا خرج من بينهم فلا يجوز له ذلك ولقد حكي
عن الاستاذ ابي بكر بن فورك انه قصد ان ينفرد
بعبادة الله عز وجل عن الخلق فبينما هو ببعض الجبال اذ سمع
صوتا ينادي يا ابا بكر اذا صرت من حجج الله على خلقه
تركت عباد الله فرجع وكان هذا سبب صحبته
الخلق. وذكر لي مامون بن احمد ان الاستاذ ابا بكر
قال للعباد جبل لبنان يا اكلة الحشيش تركتم
امة محمد صلى الله عليه وسلم في ايدي المبتدعة
واشتغلتم هاهنا باكل الحشيش قالوا له انا لا نقوى
على صحبة الناس وانما اعطاك الله ذلك فيلزمك ذلك

بطاقة

فصنف بعد ذلك كتابه الجامع الجلي والخفي كان فيه علم
علمهم العمل الحسن والنظر الدقيق في سلوك طريق الاخرة
واعلم ان مثل هذا الرجل المحتاج اليه الناس في باب
الدين في صحبة الناس الى امرين شديدين احدهما
صبر طويل وحلم عظيم ونظر لطيف واشتغاله
بالله دايمه والثاني ان يكون في هذا المعنى
منفردا عنهم وان كان بالشخص معهم فان
كلموه كلمهم وان زاروه عظمهم على قدرهم
وشكرهم وان سكتوا عنه واعرضوا عنه
استغنم ذلك منهم وان كانوا في خير وحق ساعدهم
وان صاروا الى اللغو وشر خالفهم وهجرهم ويرد عليهم
ويزجرهم ان رجا قبولهم ثم يتقن الجميع حقوقهم
من الزيارات والعبادات وقضاء الحاجات التي
ترفع اليه ما امكنه ولا يبتغي منهم المكافاة ولا يرجو
ذلك منهم ولا يريهم من نفسه تشنجا ولا تذللا
ويباسطهم بالبذل اذا قدر وينقبض عنهم

في الاحداث اعطي ويحتمل منهم الاذى ويظهر لهم
البشر ويتحمل بظاهره لهم ويكتم حاجاته
عنهم فيقاسيها ويعالجها في سره وباطنه ثم يحتاج
مع ذلك ان ينظر لنفسه خاصة فيجعل لها
حظا من العبادة الخالصة كما قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ان نمت الليل لاضيعن نفسي وان
نمت النهار لاضيعن الرعية فكيف لي
بالنوم بين هاتين وفي هذا المعنى عرض لي
من الشعر

فان كنت في هذي الايمة راغبا فوطن على ان تنزلك البوائع
بنفس وقور عند كل كريهة وقلب صبور وهو في الصدر سابع
لسانك مخزون وبابك مغلق وسرك مكتوم لدى الرب شايع
وذكرك معمور وبابك مغلق وثغرك بسام وبطنك جايع
فقلبك مجروح وفكرك دايم وفضلك مدفون وطعنك شايع
تجرع في كل يوم انت جار [illegible] زاهد الاخوان والقلب طايع
فدونك هذا الليل خذه ربيحة ليوم عبوس عز فيه الذرايع

تشاغلت بالدنيا وعمرك ذاهب وانت حريص في البطالة راغب
وانت [illegible] ان عمرك ينقضي فلا انت [illegible] بل انت تايب
[illegible] يلقاك [illegible] وانت لعمري في [illegible]
ولو [illegible] الرحمن [illegible] لو [illegible] جميع الخلق [illegible]

نعم يكون بالنفس معهم وبالقلب بما ابعده عنهم
وذلك لعمري امر شديد وعيش نكيد ومن ثم
يقول شيخاني وصحبته عشت مع اهل زمان تفقدتهم
ثم قال ما اشد هذا العيش مع الاحياء والاقتداء
بالاموات وعن ابن مسعود رضي الله عنه خالط الناس
وزايلهم ودينك لا تكلمنه فهذه نكتة مقنعة
ثم اقول اذا صلح بعضهم ببعض تراجع الامر وولي القبس
الناس عن امر الدين لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة
ولا يقبلون عالما ولا يرحمون مفتونا مفيدا ولا يعنيهم امر دينهم
اشتد وتنتج الفتنة تعم العامة وتدب في الخاصة
فللعالم العذر في العزلة والتفرد ودفن العلم والخاف
ان ما ذكرناه هو هذا الزمان النكد الصعب
والله المستعان وعلى الكلام فهذا حكم العزلة والتفرد
عن الناس فافهم فان الغلط فيه عظيم وضرره كثير
وبالله التوفيق فان قيل اليس النبي صلى الله عليه وسلم
يقول عليكم بالجماعة فان الشيطان ذيب
الانسان يأخذ الشاذة والناحية والقاصية

قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان مع الفذ وهو
من الاثنين ابعد فاعلم ان هذه وردت وردا ايضا
الزم بيتك وعليك بالخاصة وامر بالعزلة والتفرد في زمان
الشر ولا تناقض في قوله صلى الله عليه وسلم ولا بد من
الجمع بين الخبرين بحول الله وتوفيقه فاقول قوله صلى
الله عليه وسلم عليكم بالجماعة تحتمل ثلثة اوجه
احدها يعني به في الدين والحكم اذ لا تجتمع هذه
الامة على الضلالة فخرق الاجماع والحكم بخلاف ما عليه
الجمهور الامة والشذوذ عنهم باطل وضلال فاما ان
تعتزل عنهم لصلاح في الدين فليس هذا من ذلك في
شيء والثاني عليكم بالجماعة بان لا ينقطعوا عنهم في جمعهم
وجماعاتهم ونحوها فان فيها قوة الدين وجمال
الاسلام وغيظ الكفار والملحدين ولا يخلو ذلك
من بركات من الله عز وجل ونظر منه بالرحمة ولذلك
نقول حق المتفرد ان يشارك الناس في الجموع العامة
في الخير وان تجانبهم في الصحبة والمزاحمة في سائر
الامور لما فيها من ضرب الافة والثالث ان

فوايد

ذلك في غير زمان الفتنة للرجل الضعيف في
امر الدين واما الرجل البصير القوي في امر
الله تعالى اذا راى زمان الفتنة التي حذر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الامة منها وامرهم
بالعزلة فيه فالعزلة اولى لما في الخلطة من الفساد
والافة وان لا ينقطع من جموع الاسلام والخير
العامة فان اراد ان ينفرد عن الناس مرة فسكن
شاهق جبل او بطن ولاة لصلاح يراه في دينه ثم
قلت ولا ارى مثل ابن ما كان الا ويمكنه الله
عز وجل من حضور الجماعات وسائر جموع الاسلام
فيحضر لئلا يفوته الحظ منها ايضا فان جموع
الاسلام من الله بمكان وان تغير الناس وفسدوا
والذي سمعنا من حال الابدال انهم يحضرون جموع
الاسلام اينما كانت ويسيرون في الارض حيث
شاؤا امان الارض لهم قدم واحدة وفي الاخبار
ان الارض تطوى لهم ويبادرون بالنجبات ويتحفون
بانواع البر والكرامات فهنيئا لهم ما ظفروا به والجنة

الله عز امن غفل عن نظره في خلاص نفسه واعانا
الطالب الذي لم يصل الى المقصود كاملها شانا لقد
عرض بيانه في صفة حالهم ابيات له من الشعر

ظفر الطالبون واتصل الوصل ... وفاز الاحباب بالاحباب
وبقينا مذبذبين حيارى ... بين هجر الوصال والاجتناب
نرتجي القرب بالبعاد فهذا ... نفس حال المحال للالباب
فاسقنا شربة تذهب بالغم ... وتهدي الى طريق الصواب
يا طبيب السقام يا مرهم الجرح ... يا منقذي من الاوصاب

فلنقبض الان عنان الخاطر ونرجع الى المقصود من شان
العزلة اذ قد خرجنا عن شرط الباب فان قيل اليس قد
قال النبي صلى الله عليه وسلم رهبانية امتي الجلوس
في المساجد وفيه زجر عن التفرد فاعلم ان ذلك في
غير زمن الفتنة كما ذكرنا وايضا فانه يجلس في
المسجد ولا يخالط الناس ولا يداخلهم فيكون
بالشخص معهم وبالمعنى منفردا وهذا هو المعنى في العزلة
والتفرد الذي نحن في شرحه لا التفرد بالمكان
فافهم ذلك رحمك الله وفيه يقول ابرهيم بن ادهم

رحمه الله عليكم كن واحدا جامعا ومن رجل ذا انس
من الناس وحشيا فان قيل فما تقول في مدارس علماء
الاخرة ورباطات الصوفية سالكي طريق الاخرة
والكون فيهما فاعلم ان ذلك الطريقة المثلى في هذا
الشان لعامة اهل العلم والاجتهاد ودليل انها جمعت
لمعنيين ولفائدتين اللتين احدهما الفرار عن الناس والتفرد
عنهم بالصحبة والمخالطة والمزاحمة في امورهم
والثانية المشاركة معهم في جمعهم وجماعاتهم
وتكثير شعار الاسلام فتحصل السلامة التي هي
للمتفردين والخير الكثير الذي هو لعامة المسلمين
مع ما للناس فيهم من العدة والبركة والنصيحة
فصار الكون فيهما اعدل طريق واحسن حال واسلم
سبيل ولهذا الشان اقام اكثر العارفين بين الناس
لنفعهم لعباد الله تعالى في باب الدين وقلة اذاهم
ومشاهدة الخلق لاذابهم وحسن سمتهم ليقتدوا بهم
فان لسان الحال افصح من لسان المقال فصار ذلك
احسن تدبيرا في امر الدين والعلم والعبادة والحكم

رأي فإن قيل ما حال المريد مع المجتهدين والمرتاضين
المصحبين هم ام يعتزلهم فاعلم انهم اذا كانوا ثابتين
على رسومهم الاولى وشروطهم الموروثة عن
سلفهم لما اخوان في الله عز وجل واصحاب واعوان
على عبادة الله تعالى فلا تشتغل عنهم العزلة والتفرد
وانما مثلهم مثل ما تسمع من زهاد لبنان وغيرهم ان
فيهم جماعات يتعاونون على البر والتقوى ويتواصون
بالصبر والخوف اذا ما تغيروا وتركوا رسومهم
واخلوا بطريقهم الموروثة عن اسلافهم الصالحين
فحكم هذا المجتهد المرتاض معهم كحكمه مع سائر الناس
يلازم زاويته ويكف لسانه ويشاركهم في خيراتهم
ويجانبهم في سائر احوالهم وآفاتهم فيكون هو في
عزلة من اهل العزلة منفردا من المنفردين فان
قلت فان اختار هذا المجتهد المرتاض ان يخرج
من بينهم الى مكان آخر لصلاح يراه في نفسه ويجتنب
آفة تدخل فيها عليه من صحبتهم فاعلم ان هذه
المدارس والرباطات بمنزلة حصن حصين يتحصن

بها المجتهدون عن القطاع والسراق وان الخارج
بمنزلة الصحراء يبدو فيها فرسان الشياطين
عسكرا عسكرا فتشتبه وتستباه فكيف
حاله اذا خرج الى الصحراء وتمكن منه العدو
من كل جانب يفعل به ما شاء فان ليس لهذا الضعيف
الا لزوم الحصن واما الرجل القوي البصير الذي لا
تغلبه الاعدا واستوى عنده الحصن والصحراء
فلا حرج عليه اذا خرج غير ان الكون في
الحصن احوط على كل حال اذ لا تومن الغفلات
والالتفاتات واذا كان الامر بهذه الجملة
فالكون مع رجال الله والصبر على مشقة الصحبة
اولى للمرتاض وطالب الخير بكل حال ولا مانع للقوي
البالغ مبلغ الاستقامة عن التفرد منهم فاعلم هذه
الجملة وتاملها تغنم وتسلم ان شا الله عز وجل فان
قيل فما تقول في زيارة الاخوان في الله عز وجل فاعلم
ان ذلك من جواهر عبادة الله عز وجل ومنه الزلفة
وغيرها

[illegible] الكريم

الكريمة الى الله عز وجل مع ما فيهما من ضروب الفوايد
وصلاح القلب ولكن بشرطين احدهما ان لا
تخرج في ذلك الى الاكثار والافراط قال النبي صلى الله
عليه وسلم لابي هريرة رضي الله عنه زر غبا
تزدد حبا والثاني ان تحفظ حق ذلك بالتجنب عن الريا
والتزين وقول اللغو والغيبة ونحو ذلك فيعود
عليك وعلى اخيك وبال فلقد حكي ان الفضيل وسفين
تذاكرا مليا فقال سفين رحمه الله ارجو ان ما جلسنا
مجلسنا ارجى لنا من هذا فقال فضيل ما جلسنا مجلسا
اخوف علي من هذا اما لك وكيف يا با علي قال الست تعمد
الى احسن حديثك فتحدثني وانا اعمد الى احسن ما
عندي فاحدثك فتزينت لي وتزينت لك فبكى
سفين فيجب ان يكون مجالستك للاخوان وملاقاتهم
على مقدار قصد في احتياط ونظر لطيف فلا يقدح
حينئذ في عزلتك وتفردك عن الناس ولا يعود عليك وعلى
اخيك بضرر وآفة بل بخير كثير ونفع عظيم والله

الموفق فان قلت فما الذي يبعثني على العزلة ويهون
علي ذلك فاعلم ان الذي يقوي ذلك ثلثة امور احدها
الاستغراق او فاتك في العبادة فان في العبادة
شغلا وان الاستيناس بالناس من علامات الافلاس فاذا
رايت نفسك تتطلع الى ملاقاة الناس وكلامهم
من غير حاجة وضرورة فاعلم ان ذلك لفضول شاقه
الفراغ والبطر ولقد احسن من قال
ان الفراغ الى بلاهك قادني ولربما عمل الفضول الفارغ
فاذن متى عانقت العبادة تحتها وجدت حلاوة
المناجاة واستانست بكتاب الله تعالى واشتغلت عن
الخلق واستوحشت من صحبتهم وكلامهم وفي
الخبر ان موسى عليه السلام كان اذا رجع عن المناجاة
يستوحش من الناس وكان يجعل اصبعيه في اذنيه لئلا
يسمع كلامهم وكان كلامهم عنده في النفور وفي الوحشة
في ذلك الوقت كاصوات الحمير فعليك بما قاله شيخنا
رحمه الله عليه اتخذ الله صاحبا وذر الناس جانبا والثاني
قطع الطمع عنهم بمرة فيهون عليك امرهم لان من لا يرجو

نفعه فلا تخاف ضرّه فوجوده وعدمه سواء
والثالث تبصر آفاتهم وتتذكر ذلك وتكرره على قلبك
فان هذه الاذكار اذا لزمتها طردتك عن الصحبة الخلق
الى باب الله عز وجل والتفرد لعبادته وحببت اليك
والزمتك بابه والله ولي التوفيق العقبة الثالثة
الشيطان ثم عليك يا اخي بمحاربة الشيطان وقهره
وذلك لخصلتين احديهما انه عدو لا مطمع في مصالحته
واتقاء عليه بل لا يقنعه الا هلاكك اصلا فلا وجه
اذن للامن من مثل هذا العدو والغفلة عنه
وتامل ايتين من كتاب الله عز وجل احديهما قوله تعالى
الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان الاية
والثانية قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو
فاتخذوه عدوا وهذا اقصى التحذير وغايته والخصلة
الثانية انه مجبول على عداوتك منتصب ابدا لمحاربتك
فهو آناء الليل واطراف النهار يرميك بسهامه وانت غافل
فكيف يكون الحال ثم وقعت منك نكبة اخرى وهي انك في عبادة
الله تعالى ودعوة الخلق الى باب الله تعالى بفعلك وقولك

وهذا ضد طبع الشيطان وهمته ومراده وحرفته
فصرت كانك قمت وتشددت وتشطت لتغايظ الشيطان
وتكابده وتناقضه فهو ايضا يتشدد وينشط ليعاديك
ويقابلك ويماكرك حتى يفسد عليك امرك يا اخي ويهلكك
راسا اذ لا يأمن من جانبك بعد فان الذي يسعى ويقصد
بالهلاك الى من لا يغايظه ولا يناقضه بل يصادقه ويوافقه
كالكفار واهل الضلالة واهل الرغبة في بعض الاحوال
فكيف نظن قصده لمن قام بمغايظته فله اذن مع الناس
عداوة عامة ومعك ايها المجتهد في العلم والعبادة
عداوة خاصة وان امرك له لمهم ومعه عليك اعوان
عندك نفسك وهواك وله اسباب ومداخل وانت عنها
غافل ولقد صدق يحيى بن معاذ حيث قال الشيطان
فارغ وانت مشغول ويراك وانت لا تراه وانت تنسى الشيطان
وهو لا ينساك ومن نفسك للشيطان عليك عون فاذن
لا بد من محاربته وقهره والا فلا تامن الفساد والهلاك
فان قلت فباي شيء احارب الشيطان وباي شيء
اقهره وادفعه فاعلم ان لاهل الصناعة في هذه المسلك

طريقين احدهما قال بعضهم ان التدبير في دفع
الشيطان الاستعاذة بالله لا غير فان الشيطان
كلب سلطه الله تعالى عليك فان اشتغلت
بمحاربته ومعالجته تعبت وضاع عليك وقتك وانما تظفر
بك فيعقرك ويجرحك فالرجوع الى رب الكلب ليصرفه
عنك اولى والثاني ما قال الحسرون الطريق المجاهدة
والقيام بالدفع والرد والمخالفة قلت والذي عندي ان الطريق
العدل الجامع في اشره ان يجمع بين الطريقين فتستعيذ بالله تعالى
اولا من شره كما امرنا وهو الكافي شره ثم ان رايناه
يتغلب علينا علمنا انه ابتلا من الله تعالى ليرى صدق
مجاهدتنا وتوتنا في امره كما يحبه تعالى ويرى صبرنا
كما سلط الكفار علينا مع قدرته على كفايتهم لنكون
لنا حظ من الجهاد والصبر والتمحيص والشهادة كما
قال تعالى وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهدا
وقال تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين فكذلك ثم
ان محاربته وقهره فيما قال علماونا رحمهم الله في ثلثه
اشيا احدها ان تعرف وتعلم مكايده وحيله

39 — حسب

فلا يتجاسر عليك كاللص اذا علم ان صاحب الدار قد
احترز به فرّ والثاني ان تستخف بدعوته فلا يتعلق
قلبك بها وتتبعه فانه بمنزلة الكلب النابح ان اقبلت
عليه ولع بك وجرحك وان اعرضت عنه سكت الثالث
ان تديم ذكر الله تعالى بلسانك وقلبك فلقد روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ذكر الله تعالى في جنب
الشيطان كالاكلة في جنب بن آدم فان قلت فكيف
نعلم مكايده وكيف الطريق الى معرفه ذلك فاعلم ان
له وساوس هي بمنزلة السهام التي يرميها وذلك انما يتبين
لك بمعرفة الخواطر واقسامها والثاني ان له
حيلا بمنزله الشبكات التي نصبها وذلك يتبين
بمعرفه المكايد داوضاعها ومجاريها ولقد ذكر
علماونا ابوابا في الخواطر وقد صنفنا كتابا سميناه تلبيس
ابليس وكتابنا هذا لا يحتمل الاكثار ولكنا نذكر لك
ان شا الله من كل واحد منها اصلا كافيا اذا اعتصمت
فاما اصل الخواطر فاعلم ان الله تعالى وكل بقلب بن آدم
ملكا يدعوا الى الرشد يقال له الوسواس ولدعوته
وسوسة فالملهم لا يدعو الا الى الخير والوسواس لا يدعوا

العبد الى الخير يقال له الملهم ولدعوته الهام وسلط في مقابلته شيطانا يدعو العبد

الى الشر في قول اكثر علمائنا فقد حكي عن شيخنا
ان الشيطان ربما يدعو الى الخير وقصده في ذلك
الشر من عجب او غيره وهذا داعيان قائمان
على قلب [illegible] وهو يسمع وقلبه يحس ذلك على
ما روي في الاخبار اذا ولد لبني ادم مولود قرن الله به
سبحانه وتعالى ملكا وقرن الشيطان به شيطانا
فالشيطان جاثم على قلب ابن ادم اليسرى والملك جاثم
على اذن قلبه اليمنى فهما يدعوانه وقال النبي صلى الله عليه
وسلم للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة يعني نزوله بالدعوة
من قولهم لم بالمكان والمرتبة اذا نزل به ثم ركب الله تعالى في
بنية الانسان طبيعة مائلة الى الشهوات ونيل
اللذات كيف كانت من حسن او قبح فذلك هوى
النفس الصارف الى الافات فهذه ثلث دعوات
ثم اعلم بعد هذه المقدمة ان الخواطر هي اثار تحدث
في القلب العبد تبعثه على الافعال والنزول وتدعوه
اليها وسميت خواطر الاضطرار انها من خطرات الريح
نحوه وحده ثم انها جميعا في القلب العبد بالحقيقة
من الله تعالى لكنها اربعة اقسام منها ما يـ

في القلب ابتداء فيقال له الخاطر فقط وقسم يحدث موافقا
لطبع الانسان فيقال له هوى النفس وينسب اليه وقسم
يحدث عقيب دعوة الملهم فينسب اليه ويقال له
الالهام وقسم يحدث عقيب دعوة الشيطان فينسب اليه
ويقال له الوسوسة وينسب اليها بانها خواطر من الشيطان
وانما هي بالحقيقة حادثة عند دعوته فهي كالسبب في ذلك
لكنها تنسب اليه فهذه اربعة اقسام من الخواطر
ثم اعلم بعد هذا التقسيم ان الخاطر الذي من قبل الله تعالى
ابتداء قد يكون بخير اكراما والزاما للحجة وقد يكون
بشر امتحانا وتغليظا للمحنة والخاطر الذي يكون من
قبل الملهم لا يكون الا بخير اذ هو ناصح مرشد لم يرسل
الا لذلك والخاطر الذي من قبل الشيطان لا يكون الا بشر
[illegible] الا وربما يكون بخير مكرا واستدراجا
والذي يكون من قبل هوى النفس يكون بالشر وربما بالخير
فيه تعسفا وتمنعا ولقد حكيت عن بعض السلف ان
هوى النفس ايضا قد يدعو الى الخير والمقصود به شر
كالشيطان ثم لهذه انواعها ثم بعد هذه انك تحتاج

الى معرفته ثلث فصول لابد لك منها البتة
ومنها المقصود احدها الفرق بين خاطر الخير وخاطر
الشر في الجملة والثاني الفرق بين خاطر شر ابتدائي او
هوائي او شيطاني وبماذا تفرق بينهما فان لكل واحد
منهما دفعا من نوع اخر والثالث الفرق بين خاطر
ابتدائي والهامي او شيطاني لتتبع ما يكون من الله تعالى
او من الملهم وتجتنب ما يكون من الشيطان وكذلك الهوى
على قول من يقول به فاما الفصل
الاول قال علماؤنا اذا اردت ان تعرف خاطر الخير من
خاطر الشر وتفرق بينهما فزنه باحد الموازين
الاربعة ليتبين لك حاله اولا اعرض الامر الذي خطر
ببالك على الشرع فان وافق جنسه فهو خير وان
كان بالضد برخصة او شبهة فهو شر فان لم
يتبين لك بهذا الميزان فاعرضه على النفس والهوى
وانظر ان كان مما تنفر عنه النفس نفرة الطبع لا
نفرة خشية وشبهة وترهيب فاعلم انه خير وان كان
مما يميل النفس ميل طبع وجبلة لا ميل

ترغيب فهو شر اذ النفس امارة بالسوء لا تميل باصلها
الى خير فتاخذ هذه الموازين اذا نظرت وانعمت
النظر يتبين لك خاطر الخير من خاطر الشر والله ولي
الهداية بفضله انه جواد كريم واما الفصل
الثاني اذا اردت ان تعرف بين خاطر شر يكون من قبل
الشيطان وبين خاطر شر يكون من هوى النفس او من
الله تعالى فانظر فيه من ثلثة وجوه احدها ان
وجدته مصمما واتيا على حالة واحدة فهو من الله تعالى
او من هوى النفس وان وجدته مترددا مضطربا
فاعلم انه الشيطان وكان بعض العارفين يقول مثل هوى
النفس مثل النمر اذا حارب لا ينصرف الا بتبع وقهر بالغ
ظاهر او مثل الخارجي الذي يقاتلك تدينا لا يكاد يرجع حتى
يقتل ومثل الشيطان مثل الذباب اذا طردته من جانب
دخل من جانب وثانيها ان وجدته عقيب ذنب احدثته
فهو من الله اهانة وعقوبة لشوم ذلك الذنب قال الله تعالى
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال شيخي الامام

هكذا يؤدي الذنب الى قسوة القلب او لما خاطر ثم يؤدي
الى القسوة والرين وان كان الخاطر مبتدا لا عقيب
ذنب كان منك فاعلم انه من قبل الشيطان هذا في الاكثر
لانه لا [illegible] بدعوة الشر ويطلب الاغوا بكل
حال والثاني ان وجدته لا يضعف ولا يقل بذكر الله
تعالى فهو ولا يزول فهو من الهوى وان وجدته يضعف
ويقل بذكر الله تعالى فهو من الشيطان كما ذكر في
تفسير قوله تعالى من شر الوسواس الخناس ان الشيطان
جاثم على قلب ابن آدم اذا ذكر الله خنس واذا غفل
وسوس [illegible]

الفصل الثالث

اذا اردت ان تفرق بين خاطر خير يكون من الله تعالى وما
يكون من الملك فانظر في ذلك من ثلثة اوجه
فان كان ثابتا مصمما فهو من الله تعالى وان كان مترددا
فهو من الملك اذ هو بمنزلة ناصح يدخل معك من كل جانب
ووجه ويعرض عليك كل نصح رجاء اجابتك ورغبتك في
الخير الثاني منهما ان كان عقيب اجتهاد منك وطاعة
فهو من الله سبحانه وتعالى قال الله تعالى والذين جاهدوا

في معاملة الطاعة

فينا لنهدينهم سبلنا والذين اهتدوا زادهم هدى
وان كان مبتدا فهو من الملك الثالث منهما ان كان
في الاصول والاعمال الباطنة في الاغلب فهو من الله تعالى
وان كان في الفروع والاعمال الظاهرة فهو من الملك في الاكثر
اذ الملك لا سبيل له الى معرفة باطن العبد في قول الاكثرهم
ولما خاطر الخير الذي يكون من قبل الشيطان استدراجا
الى شر يربي عليه ولقد قال شيخنا انظر ان وجدت
نفسك في ذلك الفعل الذي خطر بقلبك مع نشاط لا مع خشية
ومع عجلة لا مع تان ومع امن لا مع خوف ومع عمى العاقبة لا
مع البصيرة فاعلم انه من الشيطان فاجتنبه وان وجدت
نفسك في ذلك الفعل على ضد ذلك فاعلم انه من الله سبحانه وتعالى
او من الملك قلت انا وكان النشاط خفة في الانسان للفعل
من غير بصيرة وذكر ثواب ينشطه في ذلك واما التاني فمحمود الا
في مواضع معدودة ذكرت في الخبر عن النبي صلى الله عليه
وسلم العجلة من الشيطان الا في خمسة في تزويج البكر اذا ادركت
وقضا الدين اذا وجد وتجهيز الميت اذا مات وقرى الضيف اذا

وحب

نزل والتوبة من الذنب اذا اذنبت واما الخوف فيحتمل
ان يكون خائفا من ادايه على وجهه وحقه او قبول الله
عز وجل اياه واما بصارة العاقبة بان يتبصر ويتيقن انه
خبير ورشد ويختم له برؤية الثواب في العقبى وحكايه فاعلم
ذلك موفقا فهذه جملة الفصول الثلثه التي ان تتكلم معرفتها
في فصول الخواطر فارعهما وانعم النظر فيهما ما استطعت
فانها من العلوم اللطيفه والاسرار الشريفه في هذا
الباب والله الموفق بفضله واما فصل الحيل والمخادعات
من الشيطان فيجري ذلك ومثاله ان مكايد الشيطان مع ابن
ادم في الطاعة من سبعه اوجه احدها ان ينهاه
عنها فان عصمه الله رده بان قال اني لمحتاج الى ذلك جدا اذ
لا بد لي من التزود من هذه الدنيا الاخره التي لا انقضا لها
ثم تامره بالتسويف فان عصمه الله رده بان قال ليس اجلي
بيدي على ان اسوف من اليوم الى غد نعمل الغد منى اعمله فان
لكل يوم عملا ثم يامره بالعجلة فيقول له اعمل حتى تتفرغ لكذا
كذا فان عصمه الله تعالى بان قال قليل مع التمام خير
من كثير مع النقصان ثم يامره باتمام العمل مراياة للناس فان

تبع

تحكم بما تشاء وتفعل ما تريد الا انه ينفعني العمل كيف ما كنت لاني ان
كنت سعيدا احتجت اليه لزيادة الثواب وان كنت
شقيا فانا محتاج اليه كيلا الوم نفسي وعلى ان الله تعالى لا يعاقبني
على الطاعة بكل حال لا يضرني وعلى اني ان ادخلت
النار وانا مطيع احب الي من ان ادخلها وانا عاص فكيف
ووعده الحق وقوله صدق وقد وعد على الطاعة بالثواب
فمن لقي الله عز وجل على الايمان والطاعة لم يدخل النار البتة
ودخل الجنة لا لاستحقاق الجنة بعمله لكن لوعد الله
الصادق ولهذا المعنى اخبر الله تعالى عن السعداء اذ
قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده فتيقظ رحمك الله فان
الامر كما ترى وتسمع وقس عليه ساير الافعال والاحوال
واستعن بالله تعالى واستعذ به فان الامر بيده ومنه التوفيق
ولا حول ولا قوة الا به العايق الرابع
النفس ثم عليك عصمك الله وايانا بالحذر من هذه النفس
الامارة بالسوء فانها اضر الاعداء وبلاوها اصعب
البلاء وعلاجها اعسر الاشياء وداوها اعضل الداء
ودواوها اشكل الدواء وانما ذلك لامرين احدهما انها

عصمه الله تعالى رده بان قال ابن اعمل بالناس افلا يكفيني
رؤية الله عز وجل ثم تريد ان توقعه في العجب فيقول انما
اعظمك وما ايقظك فان عصمه الله رده بان قال المنة لله
تعالى في ذلك دوني وهو الذي خصني بتوفيقه وجعل لعملي
قيمة بفضله ولولا فضله لما كان قيمة هذا العمل
في جنب نعمة الله تعالى علي وجلب معصيتي له ثم ياتيه من وجه
سادس وهو اعظمها ولا ينتبه عليه الا المتيقظ وهو ان يقول
اجتهد انت في السر فان الله سيظهره عليك ويلبس كل عامل
عمله واراد بذلك ضربا من الريا فان عصمه الله رده بان قال يا
ملعون الى الان كنت تاتيني من وجه فساد عملي والان تاتيني
من اخلاصه لتفسده انما انا عبد الله تعالى وهو سيدي
ان شاء اظهره وان شاء اخفى وان شاء جعلني خطيرا وان شاء جعلني
حقيرا ذلك اليه وما ابالي اظهر ذلك للناس او لم يظهر فليس
بايديهم شيء ثم ياتيه من وجه سابع ويقول لا حاجة لك الى
هذا العمل لانك ان خلقت سعيدا لم يضرك ترك العمل وان خلقت
شقيا لم ينفعك فعله فان عصمه الله تعالى رده بان قال انما انا
عبد وعلى العبد الامتثال لامر معبوده والرب اعلم بربوبيته

كل

وقيل ان اعرابيا دعا لانسان بخير فقال كبت الله كل
عدو لك الا نفسك ولا يمكن اهمالها بمرة لمكان
ضررها فيحتاج الى طريق بين طرفين تربيه
وتقويه بقدر ما يحتمل لعمل خير وتضعفه وتحبسه
على حد لا يتمادى فانك في امرها في علاج شديد
ونظر لطيف ثم قد ذكرنا في امرها ان يلجمها بلجام
التقوى والورع لتحصل الفايدتان جميعا فان قيل
ان هذه دابة جموح وبهيمة صعبة شكسة لا
تنقاد للجام فما الحيلة فيها حتى يمكننا منه فاعلم انك فيها
لصادق والحيلة فيها تذليلها لتنقاد للجام قال علماؤنا رحمهم
الله انما تذلل النفس وتكسرها بثلثة اشياء احدها
منع الشهوات فان الدابة الحرون تلين اذا نقص علفها
الثاني حمل اثقال العبادات عليها فان الحمار اذا زيد في حمله
مع نقصان علفه تذلل وانقاد والثالث الاستعانة
بالله تعالى والتضرع اليه بان يعينك والا فلا خلاص اما
تسمع قول يوسف الصديق عليه السلام بخبر الصادق
ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ناذا او اطنب على

هذه الامور الثلثه انقادت لك النفس الجموح باذن الله
تعالى فحينئذ تبادر الى ان تملكها وتلجمها وتامن شرها
فان قلت فبين الآن ما هو التقوى حتى نعمل بها فاعلم اولا
ان التقوى كنز عزيز فلئن ظفرت به فكم تجد فيه
من جوهر شريف وعلم نفيس وخير كثير ورزق
كريم وفوز كبير وغنم جسيم وملك عظيم وكان خير
الدنيا والآخرة جمعت تحت هذه الخصلة
الواحدة التي هي التقوى وتامل ما في القران من ذكرها
كم علق بها من خير وكم وعد عليها من اجر وثواب وكم
اضاف اليها من سعادة وانا اعدد لك من ذلك جملتها
اولها المدحة والثناء قوله تعالى وان تصبروا وتتقوا فان
ذلك من عزم الامور والثاني الحفظ والحراسة قال الله
تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا والثالث
التاييد والنصرة قال الله الله مع الذين اتقوا وقال والله
مع المتقين الرابع النجاة من الشدائد والرزق من الحلال قال
الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا
يحتسب والخامس اصلاح العمل قال الله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم السادس

غفران الذنوب قال الله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم السابع
محبة الله تعالى قال الله تعالى ان الله يحب المتقين
الثامن القبول قال الله انما يتقبل الله من المتقين التاسع
الاكرام والاعزاز قال الله ان اكرمكم عند الله
اتقاكم العاشر البشارة عند الموت قال الله تعالى
الذين [illegible] وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة
الدنيا وفي الآخرة الحادي عشر النجاة من النار قال
الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا وسيجنبها الاتقى الثاني عشر
الخلود في الجنة قال الله تعالى اعدت للمتقين فهذه كل
خير وسعادة في الدارين تحت هذه التقوى فلا تنس
نصيبك ايها الرجل منها ثم الذي يخص هذا الشان من امر
العبادة ثلثة اصول احدها التوفيق والتاييد اولا
وهو للمتقين كما قال الله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والثاني
اصلاح العمل واتمام التقصير وهي للمتقين قال الله يصلح لكم
اعمالكم والثالث قبول العمل وهو للمتقين قال الله تعالى
انما يتقبل الله من المتقين ومدار العبادة على هذه الامور
الثلثه التوفيق اولا حتى يعمل ثم الاصلاح للتقصير حتى

يتم ثم القبول اذا تم وهذه الثلثة التي يتضرع فيها
العابدون الى الله تعالى ويسالون فيقولون وفقنا
لطاعتك واتمم تقصيرنا وتقبل منا وقد وعد الله ذلك
كله على التقوى واكرمها التقي تسال اولم يسال فعليك بهذه
التقوى ان اردت عبادة الله سبحانه بل اردت سعادة
الدنيا والاخرة ولقد صدق القايل بقوله

من اتقى الله فذاك الذي ... سيق اليه المتجر الرابح

وقال اخر

من عرف الله فلم يغنه ... معرفة الله فذاك الشقي
ما يصنع العبد بغير التقى ... والعز كل العز للمتقي

وكتب بعضهم على القبور

ليس زاد سوى التقى ... فخذ الزاد ودعي

ثم تامل اصلا واحدا وهو انه هب انك قد تعبت جميع
عمرك في العبادة وجاهدت وكابدت حتى حصل لك
ما تمنيت اليس الشان كله في القبول وقد علمت ان
الله تعالى يقول انما يتقبل الله من المتقين فرجع الامر كله
الى التقوى وكذلك عن عايشة رضي الله عنها انها قالت

ما اعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من الدنيا ولا
اعجبه احد الا ذو تقى وعن قتادة انه مكتوب في التورية
يا ابن ادم اتق الله ونم حيث شيت وبلغني عن عامر بن
عبد قيس انه بكا عند موته وكان يصلي كل يوم وليلة
الف ركعة ثم ياوي الى فراشه فيقول يا ماوي كل
شر والله ما رضيتك لله طرفة عين فقيل له ما يبكيك
قال قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ثم تامل نكتة
اخرى وهي اصل من الاصول وهي ما ذكر ان بعض
الصالحين قال لبعض اخوانه اوصني فقال اوصيك بوصية
رب العالمين للاولين والاخرين قوله تعالى ولقد
وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله
قلت انا اليس الله تعالى اعلم بصلاح العبد من كل
احد اوليس هو انصح له وارحم وارف من كل احد
ولو كانت في العالم خصلة هي اصلح للعبد واجمع
للخير واعظم للاجر واجل في العبودية واعظم في
القدر واولى للحال وانجح للمال من هذه الخصلة التي هي
التقوى لكان الله تعالى امر بها عباده واوصى خواصه

بذلك الكمال حكمته وسعة رحمته فلما اوصى بهذه
الخصلة الواحدة جميع الاولين والاخرين من عباده
في ذلك واقتصر عليها علمت انها الغاية التي لا
متجاوز عنها ولا مقتصر دونها وانه عز وجل قد جمع كل
نصح ودلالة وارشاد وتنبيه وتاديب وتهذيب في
هذه الوصية الواحدة كما يليق بحكمته ورحمته
وعلمت ان هذه التي هي التقوى جامعة لخير الدنيا
والاخرة الكافية لجميع المهمات المبلغة الى اعلى الدرجات
في العبودية وهذا اصل لا مزيد عليه وفيه كفاية
لمن ابصر النور واهتدى وعمل بذلك واستغنى والله ولي
التوفيق بمنه وبفضله فان قلت لقد عظم قدر هذه
الخصلة وجل موقعها واشتدت الحاجة الى معرفتها فلا
بد الان من تفصيلها فاعلم ان الامر كذلك وحق لها ان
تجل قدرها ويلزم طلبها وتمس الحاجة الى معرفتها ولكنك
تعلم ان كل خطير كبير يحتاج في احتماله الى طلب كثير
وتعب كبير وهمة عالية وجهد شديد فاذ كان
هذه الخصلة خصلة عظيمة كبيرة فالمجاهدة في

بلغ

ع

طلبها والقيام بحقها والعناية في تحصيلها ايضا فعل
كبير وشان عظيم فان المكارم على حسب المكاره وان
اللذات على حسب المونات والله تعالى يقول
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله هو
الرؤوف الرحيم الذي بيده تيسير كل عسير فاستمع
وتنبه لحد بيان هذه الخصلة حتى يعلم ثم تشمر
للقيام بها واستعن بالله عز وجل حتى تعلم ما تعلم فان الشان
كله في ذلك والله ولينا التوفيق فنقول اعلم اولا ان التقوى
في قول شيوخنا هو تنزيه القلب عن ذنب لم يسبق
عنك مثله حتى يحصل للعبد من قوة العزم على تركه وقاية
بينه وبين المعاصي هكذا قال شيوخنا وذلك ان
لفظة التقوى في اللغة هو الوقوى بالواو وهو مصدر
كالقوايه يقال وقى يقي وقاية ووقوى فابدلت عن
الواو تاء كما هو في التكلان والتكلان ونحوهما فقيل تقوى فاذا
حصل وقاية بين العبد وبين المعاصي من قوة عزمه على تركها
وتوطين قلبه على ذلك نعت حينئذ بانه متقي ويقال

فب على حقيقة التقوى

كالوقاية

صوابه وهو

لذلك التنزيه والعزم والتوطين التقوى والتقوى في
القرآن يطلق على ثلثة اشيا احدها بمعنى الخشيه
والهيبة قال الله تعالى واياي فاتقون وقال
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله والثاني بمعنى الطاعة
والعباده قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله حق تقاته وقال مجاهد هو ان يطاع فلا يعصى
وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر والثالث بمعنى
تنزيه القلب عن الذنوب فهذه هي الحقيقه في
التقوى دون الاولين الا ترى ان الله تعالى يقول ومن
يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم
الفائزون ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى
فعلمت ان حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشيه
وهو تنزيه القلب عما ذكرنا ثم قالوا منازل التقوى ثلثه
تقوى عن الشرك وتقوى عن البدعة وتقوى عن المعاصي
الفرعيه ولقد ذكرها الله سبحانه وتعالى في اية
واحدة وهو قوله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا
الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا

الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا فالتقوى
الاولى تقوى عن الشرك والايمان الذي ذكر معها اقرار
عقود السنة والجماعة والتقوى الثالثة عن المعاصي
الفرعيه لا اقرار في هذه المنزلة تقابلها الاحسان وهو
الطاعة والاستقامة عليها فتكون منزلة مستقيمي
الطاعه فالاية جمعت ذكر المنازل الثلث
منزلة الايمان ومنزلة السنة ومنزلة استقامه
الطاعه فهذا ما قال العلما في بيان معنى التقوى قلت انا
وجدت التقوى بمعنى اجتناب فضول الحلال وهو ما روي
في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما سمي المتقون
متقين لتركهم ما لا باس به حذرا عما به باس فاحببت ان
اجمع بين ما قاله علما وبين ما جا في الخبر فيكون حدا جامعا
ومعنى تاما فقلت التقوى هو اجتناب كل ما تخاف منه ضررا
في دينك الا ترى انه يقال للمريض المحتمي انه يتقي اذا اجتنب كل
شي يضره في بدنه من شراب او طعام وفاكهه او
غيرها ثم الذي يخاف منه الضرر في امر الدين قسمان محض

الحرام والمعصية وفضول الحلال لان الاشتغال
بفضول الحلال والانهماك فيه ينجر بصاحبه الى
الحرام ومحض العصيان وذلك لشره النفس
وطغيانها وتمرد الهوى وعصيانها فمن اراد ان
يامن الضرر في امر دينه اجتنب الخطر فامتنع
عن فضول الحلال حذرا ان يجره الى محض الحرام
على ما قال صلى الله عليه وسلم لتركهم ما لا باس به حذرا
عما به باس يعني لتركهم فضول الحلال حذرا عن الوقوع
في الحرام فالتقوى البالغة الجامعة اجتناب كل ما كان فيه
ضرر لامر الدين وهو المعصية والفضول

وقف على التقوى البالغة

هذا تفصيلها واما اذا اردت تحديدها على موضوع علم
الشرع فتقول حد التقوى الجامع تنزيه القلب
عن شر لم يسبق عنك مثله بقوة العزم على تركه
حتى تصير ذلك وقاية بينك وبين كل شر ثم الشرور
هو ضربان شر اصلي وهو ما نهي عنه كالمعاصي
المحضة وشر غير اصلي وهو ما نهي عنه تاديبا وهو
فضول الحلال كالمباحات الماخوذة بالشهوات فالاولى
تقوى فرض يلزم بتركها عذاب النار والثانية

حد التقوى

تقوى خير وادب يلزم بتركها الحبس والحساب
والتعيير واللوم فمن اتى بالاولى فهو في الدرجة
الدنيا من التقوى وذلك بمنزلة من يتقي المباح
فاذا اجمع العبد بينهما على اجتناب كل معصية
وفضول فقد استكمل معنى التقوى وتم بجمعهما جمع كل خير
فيهما وهذا هو الورع الكامل الذي هو ملاك امر الدين
وذلك منزلة الادب على باب الله سبحانه وتعالى فهذا
معنى التقوى وبيانها في الجملة فافهم موفقا ان شاء الله تعالى
فان قلت فصل لي الآن هذا المعنى في النفس واشتماله
فيها فان الحاجة جاءت من هنالك لنعلم كيف نلجم هذا
النفس بهذا المعنى الذي فصلت من حقيقة التقوى
فاقول الجمل انما تفصله في امر هذه النفس ان تقوم
عليها بقوة العزم فتمنعها عن كل معصية وتصونها
عن كل فضول فاذا فعلت ذلك كنت قد اتقيت الله في
عينك واذنك ولسانك وقلبك وبطنك وفرجك وجميع
اركانك والجمها بلجام التقوى ولهذا الباب شرح

ومن اتى بالثانية فهو في الدرجة العليا فهي منزلة المستقيمين

تطول وقد اشرنا اليه في كتاب احياء علوم الدين
واما الذي لا بد منه ها هنا ان نقول من اراد ان يتق
الله فليراع الاعضاء الخمسة فانها الاصول وهي العين
والاذن واللسان والقلب والبطن فيحترز عليها
بالصيانة لها عن كل ما يخاف منه ضرر في
الدين من معصية وحرام وفضول اسراف في حلال
واذا حصل صيانة هذه الاعضاء فمرجو ان يكفي
ساير اركانه ويكون قد قام بالتقوى الجامعة لجميع
بدنه لله تعالى فدعت الحاجة الى بيان خمسة
فصول لهذه الاعضاء وتفصيل ما يجب في
حق كل واحد منها على قدر ما يليق بهذا الكتاب

فالاول فصل العين

عليك وفقك الله وايانا بحفظ العين فانها سبب كل
فتنة واذكر في امرها ثلثة اصول كافية
احدها قال الله سبحانه وتعالى قل للمومنين يغضوا
من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله
خبير بما يصنعون واعلم اني تاملت هذه الاية فاذا

عدو من داخل واللص اذا كان من البيت عظمت الحيلة
فيه وعظم الضرر ولقد صدق القايل بقوله
نفسي الى ما ضرني داعي تكثر اسقامي واوجاعي
كيف احتيالي من عدوي اذا كان عدوي بين اضلاعي
والثاني عدو محبوب والانسان عمي عن عيب محبوبه لا
يكاد يبصر انه عيبه كما قال القايل
وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا
فاذن يستحسن الانسان من نفسه كل قبيح ولا يكاد يطلع على
عيب لها وهي في عداوتها واضرارها او ربما توقعه
في فضيحة وهلاك وهو لا يشعر الا ان يحفظه الله تعالى بفضله
ويعين عليها برحمته ثم اقول تامل ايها الرجل نكتة واحدة
مقنعة وهي اذا نظرت وجدتها اصل كل فتنة وفضيحة وخزي
وهلاك وذنب وآفة وقع في خلق الله تعالى من اول الخلق الى يوم
القيامة من قبل هذه النفس الامارة اما بها وحدها واما
بعونها ومشاركتها ومساعدتها فاول المعصية لله تعالى
كان من ابليس وكان سببه بعد القضا السابق هو
النفس تكبرها وحسدها الفتنة بعد عبادة ثمانين الف سنة

قد على
سبيل ملك
ر ابليس

فبقيا في بحر الضلال فغرق ابد الآبدين
لم يكن هناك دنيا ولا خلق ولا شيطان بل كانت
النفس بتكبرها وحسدها فعلت به ما علمت ثم
ذنب ادم وحوا عليهما السلام طرحتهما شهوة النفس
في حرصهما على البقاء والحيوة حتى اغترا بقول ابليس
وكان ذلك اذن بعيون النفس وشركتهما حتى سقطا
بذلك من جوار الله تعالى وقرار الفردوس الى هذه الدنيا
الحقيرة النكدة الفانية المهلكة فلقيا ما لقيا ولقوا اولاده
ما لقوا من ذلك الشوم الى ابد الآبدين ثم هابيل وقابيل
كان السبب الحسد والشح ثم حديث هاروت وماروت
كان السبب الشهوة ثم هلم جرى الى يوم القيامة لا
تجد في الخلق فتنة وفضيحة ولا ضلالا ولا معصية
الا واصلها النفس وهواها الا كان الخلق في سلامة
وخير واذا كان العدو بهذا الضرر كله فحق
للعاقل ان يهتم بامره والله تعالى ولينا التوفيق والهداية
بفضله فان قلت فما الحيلة لنا في هذا العدو
وما التدبير في امره فبين لنا ذلك فاعلم انا ذكرنا فيما
تقدم ان امرها عسير وصعب اذ لا يمكن قهرها
بمرة كسائر الاعداء اذ هي المطية والالة

فيها مع قصرها بالثلث معان عزيزة تاديب وتنبيه
وتهديد فاما التاديب فقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا
من ابصارهم ولا بد للعبد من امتثال امر السيد
والتاديب بادبه والا فيكون سيء الادب
تجب فلا يؤذن له في حضور المجلس والمثول في الحضرة
فافهم هذه النكتة وتامل ما تحتها فان فيها
ما فيها واما التنبيه فقوله تعالى ذلك ازكى لهم على
معنيين والله اعلم احدهما ذلك اطهر لقلوبهم والزكاة
الطهارة والتزكية التطهير والثاني ذلك انمى لخيرهم
واكثر لان الزكوة في الاصل النمو فنبه على ان في غض
البصر تطهير القلب وتكثير الطاعة والخير
وذلك انك اذا لم تغض بصرك واطلقت عنانها
تنظر الى ما لا يعنيك فلا يخلو اما ان يقع عينك على حرام
فان تعمدت فذنب كبيرة وربما تعلق قلبك بذلك
فتهلك ان لم يرحمك الله عز وجل ولقد روي ان العبد لينظر
النظرة ينغل قلبك فيها قلبه كما ينغل الاديم في الدباغ
لا ينتفع به ابدا وان كان مباحا فربما يشتغل قلبك به

وجال الوساوس والخواطر بسببه ولعلك لا تنفك
اليه فتبقى مشغول القلب منقطعا عن الخير وان
كنت لم تر ذلك فقد كنت مستريحا عن ذلك كله
وفي هذا المعنى ذكر عن عيسى عليه السلام اياكم والنظرة
فانها تزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها
فتنة وقال ذو النون نعم صاحب الشهوات
غض الابصار ولقد احسن القايل بقوله
وانت اذا ارسلت طرفك رايدا   لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر   عليه ولا عن بعضه انت صابر
فاذن لما كنت غاض البصر حافظا للعين لا تنظر الى ما لا
يعنيك ولا يهمك كنت نقي الصدر فارغ القلب مستريحا
عن كثير من الوساوس سالم النفس عن الآفات متزايد
الخيرات فتنبه لهذه الثلثة الجامعة ان شاء الله عز وجل
الموفق بمنه واما التهديد فقوله تعالى ان الله خبير
بما تصنعون وقال الله تعالى يعلم خاينة الاعين وما
تخفي الصدور وكفى بها تحذيرا لمن خاف مقام ربه
فهذا اصل واحد من كتاب الله عز وجل والاصل الثاني ما

روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النظر الى
محاسن المراة سهم من سهام ابليس فمن تركها اذاقه الله
طعم العبادة وان وجدان لذة العبادة وحلاوة
المناجاة من العابد بن عجلان وهذا امر يجد علمه
وتحققه من عمل به اذا امتنع عن النظر الى ما لا يعنيه
تجد لذة للعبادة وحلاوة للقلب وصفوة لم يجدها
قبل ذلك الاصل الثالث ان ينظر الى كل عضو من
اعضايك يصلح لماذا ينتظر له ماذا فعلى حسب
ذلك تصونه وتحفظه فالرجل للمشي في رياض الجنة
وقصورها واليد لكاس الشراب وتناول الثمار
وكذلك في ساير الاعضاء فالعين انما هي للنظر الى رب
العالمين سبحانه وليس في الدارين كرامة اجل
واكبر من ذلك فحقيق لشي ينتظر ويرجى له مثل هذه الكرامة
ان يصان ويحفظ ويعز ويكرم فهذه الاصول الثلث
اذا احسنت التامل فيها كفتك المونة في هذا
الفصل والله ولي التوفيق فصل الاذن
فعليك بصيانة سمعك عن الخنا والفضول وذلك لامرين

احدهما فانك عند سماع القبيح شريك لقايله فانتبه
روي ان المستمع شريك القايل ولذلك يقول
تجنب من الطرق اوساطها وعدّ عن الجانب المشتبه
وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح شريك لقايله فانتبه
والثاني ان ذلك يهيج الخواطر والوساوس في القلب ثم
من ذلك يتعدى الى الاشتغال في البدن بما ينبغي للعبادة شي
ثم اعلم ان الكلام الذي يقع في قلب الانسان ونسمعه بمنزلة
الطعام الذي تجوفه فمنه الضار ومنه النافع ومنه
الغذا ومنه السم بل ان نفا الكلام ونحوه اكثر
وابلغ فان الطعام يزول عن المعدة بخبزها وربما يبقى اثره
زمانا ثم يزول وله دوا يزول اثره من نفس الانسان واما الكلام
الذي وقع في نفس الانسان ربما يبقى معه جميع عمره ولا
ينساه فان كان شيا رديا فلا يزال يتعبه ويعيبه
ويرد بسببه خواطر في القلب ووساوس تحتاج ان يعرض
عنها ويعدل بقلبه عن ذكرها ويستعيذ بالله من
شرها ولا يامن ان يحمله على بليته وحركة حتى يقع اخر الامر

في آفة عظيمة بسبب ذلك ولو كنت حفظت سمعك عما لا
يعنيك كنت عن هذه المؤن مستريحا فلينظر العاقل
في ذلك وبالله التوفيق الثالث فصل اللسان
ثم عليك بحفظ اللسان وضبطه وتقييده فانه اشد الاعضاء
جماحا وطغيانا واكثرها فسادا وعدوانا ولقد روينا عن
سفين بن عبد الله انه قال قلت يا رسول الله ما اكثر
ما تخاف علي فاخذ عليه الصلوة والسلم بلسان نفسه
ثم قال هذا وعن يونس بن عبيد قال اني وجدت نفسي
تحتمل مونة الصوم في الحر الشديد بالبصرة ولا تحتمل
ترك كلمة لا تعنيها فعليك اذن بالتحفظ جدا وبذل
المجهود في ترك خمسة اصول احدها روى ابو سعيد الخدري
رضي الله عنه ان ابن آدم اذا اصبح تكفر الاعضا كلها
الى اللسان وتقول ننشدك الله لتستقيم فانك ان استقمت استقمنا
وان اعوججت اعوججنا قلت والمعنى والله اعلم ان نطق اللسان
يوثر في اعضاء الانسان بالتوفيق والخذلان ويوكد

هذا المعنى ما حكي مالك بن دينار انه قال اذا رايت قساوة في
قلبك ووهنا في بدنك وحرمانا في رزقك فاعلم انك قد تكلمت
فيما لا يعنيك والاصل الثاني حفظ وقتك فان اكثر ما يتكلم به
الانسان من غير ذكر الله تعالى لعله يكون لغوا يضيع الوقت
به وذكر ان حسان بن ثابت مر على غرفة بنيت
فقال مذ كم بنيت هذه ثم اقبل على نفسه وقال
يا نفس المغرور تسالين عما لا يعنيك وعاقبها بصوم سنة
يا طوبى للمهتمين بانفسهم ويا ويح الغافلين الذين خلعوا
العذار وارخوا العنان والله المستعان ولقد صدق
القايل واحسن بقوله [illegible]

واذا اهممت في الخوض في باطل فاجعل مكانه تسبيحا
فلزوم السكوت افضل من نطق ولو كنت في الكلام فصيحا
واغتنم ركعتين في ظلمة الليل اذا كنت فارغا مستريحا

الاصل الثالث حفظ الاعمال الصالحة فان من لم يصن اللسان
وكثر كلامه يقع لا محالة في غيبة الناس كما قيل
من كثر كلامه كثر سقطه والغيبة هي الصاعقة
المهلكة للطاعات على ما قيل ان مثل من يغتاب الناس

مثل من نصب منجنيقا فهي ترمي به حسناته شرقا
وغربا وبلغنا عن الحسن انه قيل له يا ابا سعيد ان فلانا
اغتابك فبعث اليه بطبق فيه رطب وقال بلغني انك
اهديت الي حسناتك واحببت ان اكافيك وذكرت
الغيبة عند ابن المبارك فقال لو كنت مغتابا لاغتبت
ابوي لانهما احق بحسناتي وذكر انه فات حاتم الاصم ليلة القيام
فعيرته امراته فقال ان اقواما صلوا بالليل البارحة
فلما اصبحوا نالوا مني فتكون صلاتهم يوم القيامة في ميزاني
الاصل الرابع السلامة من آفات الذنب على ما قال
شقيق لا تتكلم بلسانك ما تكسر به اسنانك وقال
آخر لا تبسطن لسانك فيفسد عليك شانك وقال آخر
احفظ لسانك لا تقول فتبتلى ان البلاء موكل بالمنطق

ولابن المبارك

احفظ لسانك ان اللسان سريع الى المرء في قتله
وان اللسان دليل الفؤاد يدل الرجال على عقله

وعن ابن المطيع

لسان المرء ليث في كمين اذا خلي عليه له اغاره
فصنه عن الخنا بلجام صمت يكن لك من البليات ستاره
وفي المثل السائر رب كلمة تقول لصاحبها دعني والاصل
الخامس ذكر افات الاخرة وعاقبتها واذكر فيه ثلثة
واحدة في الاخل اما انك تقول قولا محظورا احدها او
قولا مباحا من فضول لا يعنيك فان كان محظورا ففيه
عذاب الله عز وجل الذي لا طاقة لك به ولقد روينا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليلة اسري
نظرت في النار فرايت قوما ياكلون الجيف قلت يا جبريل
من هولا قال الذين ياكلون لحوم الناس ولقد قال صلى الله
عليه وسلم لمعاذ اقطع لسانك عن حملة القران وطلاب
العلم ولا تمزق بلسانك الناس تمزقك كلاب النار وعن
ابي قلابة ان في الغيبة خراب القلب من الهدى
فنسال الله تعالى العصمة من ذلك بفضله هذا في الكلام
المحظور واما المباح ففيه اربعة امور احدها شغل
الكرام الكاتبين بما لا خير فيه ولا فايدة وحق المرء
ان يستحي منهما بالله سبحانه وتعالى ما يلفظ من قول الا لديه

رقيب عتيد والثاني ارسال كتاب الى الله عز وجل
من اللهو والهذر فليحذر العبد من ذلك وليخش الله
تعالى وذكر ان بعضهم نظر الى رجل يتكلم بالخنا
فقال انك تملي كتابا الى ربك فانظر ماذا تملي والثالث
قراته يوم القيامة بين يدي الملك الجبار على رؤس
الاشهاد بين الشدايد والاهوال عطشان عريان جيعان
منقطعا عن الجنة محجوبا عن النعمة والرابع اللوم والتعيير
لماذا قلت وانقطاع الحجة والحيا من رب العالمين
وقد قيل اياك والفضول فكفى بهذه الاصول وعظا لمن
ايقظه وقد بسطنا في كتاب اسرار معاملات الدين
ما فيه مقنع فانظر تجد الشفا ان شا الله تعالى ه
الرابع فصل القلب ثم عليك بحفظ
القلب وحسن النظر في ذلك وبذل المجهود فانه اعظم
هذه الاعضاء خطرا واكثرها اثرا وادقها امرا
واشقها صلاحا واذكر فيه خمسة اصول مقنعة
الاول قوله تعالى يعلم خاينة الاعين وما تخفي الصدور

وقوله تعالى يعلم ما في قلوبكم وقوله انه عليم بذات
الصدور وكم كرر ذكره في القران وكفى باطلاع
العليم الخبير تحذيرا وتهديدا للخواص من العباد
فان المعاملة مع علام الغيوب خطيرة فانظر ماذا
تعلم من قلبك الاصل الثاني قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم انما ينظر الى قلوبكم فانظر
اذن موضع نظر رب العالمين فواعجبا ممن يهتم
بوجهه الذي هو منظر الخلق فيغسله وينظفه من الاقذار
والادناس ويزينه ولا يهتم لقلبه كيلا يطلع
الرب عز وجل على دنس وشين وافة وعيب بل
يهمله بفضايح واقذار وقبايح لو اطلع عليه الخلق هجروه
على واحدة منها وتبروا منه وطردوه والله المستعان
الاصل الثالث ان القلب ملك مطاع ورئيس متبع
والاعضا كلها تبع له فاذا صلح المتبوع صح التبع واذا استقام
الملك استقام الرعية بين ذلك ما روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال ان في الجسد مضغة اذا

ساير الخلق

صلحت صلح الجسد واذا فسدت فسد الجسد الا
وهي القلب واذا كان صلاح الكل في ذلك وجب
صرف العناية اليه الاصل الرابع ان القلب خزانة
كل جوهر للعبد نفيس وكل معنى خطير اولها
العقل واصلها معرفة الله تعالى التي هي سبب سعادة
الدارين ثم البصاير التي بها التقدم والوجاهة عند
الله تعالى ثم النية الخالصة في الطاعات التي يتعلق
بها ثواب الابد ثم انواع العلوم والحكم التي هي شرف العبد
وساير الاخلاق الشريفة والخصال التي بها تفاضل الرجال
على ما فصلناه وشرحناه في كتاب اسرار معاملات الدين
وحق لمثل هذه الخزانة ان تحفظ وتصان عن الادناس
والافات وتحرس من السراق والطرار والقطاع وتكرم وتجل
بضروب الكرامات كيلا يحوي تلك الجواهر العزيزة دنس
فلا يظفر بها والعياذ بالله العدو الاصل الخامس اني تاملت
حاله فوجدت له خمسة احوال ليست لغيره من الاعضاء

والوجاهة

احدها ان المحل العدو قاصد اليه مقبل عليه ملازم له
فان الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فهو بين الالهام والوسوسه
يقرعانه ابدا بالدعوتين الملك والشيطان والثاني الشغل له
اكثر فان الهوى والعقل كلاهما فيه فهو معترك العسكرين
الهوى وجنوده والعقل وجنوده فلا يزال ابدا محل الحرب بينهما
ولقائهما وتناقضهما فعليك بالثغر ان تحرسه وتحصنه ولا تغفل
والثالث ان العوارض له اكثر فان الخواطر له كالسهام لا
يزال تقع فيه وكالمطر لا يزال يمطر عليه ليلا ونهارا الا
ينقطع ولا انت تقدر على منعها فتمتنع وليس بمنزلة العين
التي بين جفنين تغمض وتستريح او تكون في موضع خال او
ليل مظلم فيكفي رويتها واللسان الذي هو وراء الحجابين
الاسنان والشفتين وانت القادر على منعه وتسكينه
بل القلب غرض الخواطر لا تقدر على منعها والتحفظ
منها بحال ولا انها ينقطع عنك بوقت ثم النفس
مسارعة الى اتباعها اتباعها والامتناع عن ذلك بمجهود
الطاعة امر شديد ومحنة عظيمه والرابع ان علاجه

والعقل

عليك عسير اذ هو غيب عنك فلا تكاد تشعر
حتى بدت فيه آفة وتعرض له حالة فتحتاج
ان تبحث عن ذلك اثر البحث بطول الجهد
ودقيق النظر وكثرة الرياضه الخامس ان الآفات
اليه اسرع فهو بالانقلاب اقرب ولقد قيل
ما سمي القلب الا من تقلبه والراي يصرف بالانسان اطوارا
ثم ان زل القلب والعياذ بالله فزلله اعظم ووقوعه اصعب
والطبع والادبار والبعد عن الله عز وجل ومنتهاه خسر
وتكبر ها بالله عز وجل اما تسمع قوله تعالى ابى واستكبر وكان
الكبر بقلبه فحمله على الكفر والاباء بظاهره اما تسمع
قوله تعالى ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فكان الميل
واتباع الهوى بقلبه فحمله على ذلك الشوم بنفسه اما
تسمع قوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به
اول مرة الآية ولهذا المعنى ايها الرجل خاف عباد الله
الخواص على قلوبهم وبكوا عليها وصرفوا عنايتهم اليها قال
سبحانه في وصفهم يخافون يوما تتقلب فيه القلوب

ذا الابصار جعلنا الله واياكم من المعتبرين العبر المهتمين
بمواضع النظر الخطر الموفقين لاصلاح قلوبهم بحسن
النظر انه ارحم الراحمين فان قيل ان هذا الامر لمهم جدا
فاخبرنا عن المعاني التي تصلحه عن الافات التي تعترضه
لتفسده عسى ان نوفق للاجتهاد في العمل بذلك فيقال له اعلم
ان تفصيل هذه المعاني شيء طويل لا يحتمل هذا الكتاب
وانما علماء الاخرة عنوا باستخراج ذلك وتصنيفه
في هذا النكته لا غير وقد ذكروا فيما يحتاج اليه من
ذلك سبعين خصلة محموده وفي اضدادها المذمومه
ثم من الافعال والمساعي الواجبه والمحظوره ونحو ذلك
في سائر تفاصيلها ولعمري ان من اهمه امر دينه
وانتبه عن رقدة الغافلين ونظر لنفسه فلا يكون
تحصيل جميع ذلك العمل به عليه كثيرا اذا وفقه الله
تعالى وقد ذكرنا نبذة منها في شرح عجائب القلوب من
كتاب احياء علوم الدين وانبانا على شرح جميعها

بتفاصيلها وكيفية علاجها في كتاب اسرار معاملات الدين
وهو كتاب مستقل بنفسه عظيم الفائدة ولا ينتفع به الا
فحول العلماء الراسخين في علم الاخرة وموضوع هذا
الكتاب ان ينتفع به المبتدي والقوي والضعيف
فنظرنا في الاصول التي لا بد من ذكرها في علاج القلب
للحاجة الماسة ولا غنية عنها البتة في شان
العبادة فوجدناها اربعة امور وهي من مداحض العابدين
وافات المجتهدين وهي فتن القلوب وبلايا النفوس
يعوق وتشير ويفسد ويتلف واربعة في مقابلتها فيها
قوام العبد وانتظام العبادة وصلاح القلوب فالافات
الاربع الامل والاستعجال والحسد والكبر والمناقب
الاربع قصر الامل والتاني في الامر والنصيحة للخلق والتواضع
والخشوع فهذه الاصول في صلاح القلوب وفسادها
والنكت التي عليها المدار فليبذل المجهود في التحرز عن
هذه الافات والتحصيل لهذه المناقب لكي يكفي
الموت ويظفر بالمقصود ان شاء الله تعالى وسنخبرك عن

ملح

هذه الآفات بكلمات وجيزة مقنعة اما
طول الامل فانه العايق عن كل خير وطاعة والجالب
لكل شر وفتنة وانه الدا العضال الذي يوقع الخلق
في انواع البليات واعلم انه اذا طال املك فلح لك منه
اربعة اشيا احدها ترك الطاعة والكسل فيها تقول
سوف افعل والايام بين يدي ولا يفوتني ذلك ولقد صدق
داود الطايي رحمة الله عليه حيث قال من خاف الوعيد
قرب عليه البعيد ومن طال امله سا عمله وقال يحيى بن
معاذ الامل قاطع عن كل خير والطمع مانع من كل حق
والصبر صاير الى كل ظفر والنفس داعية الى كل شر
والثاني ترك التوبة وتسويفها تقول سوف اتوب وفي الايام سعة
وانا شاب وسني قليل هذا ونحوه تحرك الى الرغبة
في الدنيا والحرص عليها والاهتمام بالرزق فيقول ايش اكل
وايش البس وهذا الصيف ومالي شي ولعل العمر يطول
فاحتاج والحاجة مع الشيب شديدة ولا بد من قوت غنية
عن الناس هذه وامثالها تحرك الى طلب الدنيا والرغبة فيها
والجمع لها والمنع لما عندك منها والثالث وهو اول ما في الباب

ان تشغل قلبك وتضيع عليك وقتك ويكثر همك وغمك فلا
فايدة ولا طايل على ما روي عن ابي ذر رضي الله عنه انه
قال قتلني هم يوم لم ادركه قيل وكيف ذلك يا ابا ذر قال
ان املي جاوز اجلي والرابع القسوة في القلب والنسيان
للآخرة لانك اذا املت العيش الطويل لا تذكر
الموت والقبر كما قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
اخوف ما اخاف عليكم اثنتان طول الامل واتباع الهوى
ويصد عن الحق فاذن يصير فكرك ومعظم قلبك في حديث
الدنيا واسباب العيش في صحبة الخلق ونحو ذلك فيقسو
القلب من هذه وانما رقة القلب وصفوته هو بذكر
الموت والقبر والثواب والعقاب واحوال الآخرة واذا لم
يكن شي من ذلك فمن اين يكون رقة وصفوة قال الله تعالى
فطال عليهم الامد فقست قلوبهم والا انك اذا طولت الامل
قلت طاعتك وتاخرت توبتك وكثرت معصيتك واشتد
حرصك وقسا قلبك وعظمت غفلتك عن العاقبة فذهبت
والعياذ بالله ان لم يرحم الله تعالى احذرك فاي حال اسوا

هذه وانه آفة اعظم من هذه وكل هذا بسبب طول
الامل فاما ان قصرت الامل وقربت من نفسك موتك وتذكرت
حال اقرانك واخوانك الذين عاينتهم الموت في وقت
لم يحتسبوا ولعل حالك مثل حالهم فاحذري يا نفس الغرور واذكري
ما قال عون بن عبد الله كم من مستقبل يوما لم يكمله
ومنتظر غدا لم يدركه لو رايتم الاجل ومسيره لابغضتم
الامل وغروره اما سمعتم قول عيسى صلوات الله عليه الدنيا
ثلثة ايام امس مضى ما بيدك منه شي وغد لا تدري
اتدركه ام لا ويوم انت فيه فاغتنم ثم قول الحي رضي
الله عنه الدنيا ثلثة ساعات ساعة مضت
وساعة انت فيها وساعة لا تدري اتدركها ام لا
فلست تملك بالحقيقة الا ساعة واحدة اذ الموت من
ساعة الى ساعة ثم قول شيخنا الدنيا ثلثة انفاس
نفس مضى عملت فيه ما عملت ونفس لا تدري اتدركه
ام لا وكم من متنفس نفسا فاجاه الموت قبل الاخر فلست

ما قال سيدنا عيسى عليه السلام
ذكر

٦٠

تملك الا نفسا واحدا لا يوما ولا ساعة فبادري في هذا النفس
الواحد الى طاعة الله تعالى قبل ان يفوت والى التوبة
فلعلك في النفس الثاني تموت ولا تهتمي يا نفس بالرزق فلعلك
لا تبقين لتحتاجي اليه فيكون قد قتلت ضياعا الهم فضلا
وما عسى ان يهتم الانسان بالرزق ليوم واحد او ساعة واحدة
او نفس واحد اما تذكرين قول النبي صلى الله عليه وسلم
لاسامة اما تعجبون من اسامة المشتري الوليدة الى شهر
ان اسامة لطويل الامل والله ما وضعت قدما فظننت
اني ارفعها ولا لقمت لقمة فظننت اني اسيغها حتى يدركني
الموت والذي نفسي بيده انما توعدون لات وما انتم
بمعجزين فاذا انت ايها الرجل تذكرت هذه الاذكار واظبت
على ذلك بالاعادة والتكرار يقصر املك باذن الله فحينئذ
ترى نفسك تبادر الى الطاعات وتعجل توبتك فتنقطع عنك
معصيتك وتزهد في الدنيا وطلبها فيخف حسابك وتعجل ويقع
قلبك في تذكر الاخرة واهوالها ما هو من نفسك الى

نفس تصير إليها ونعاتبها واحدًا واحدًا فتزول عنك
القسوة وتبدو لك الرقة والصفوة وتستشعر عند
ذلك الخوف من الله تعالى والخشية فيستكثر كثير
عبادتك وتقوى الرجاء في أن تسعد في عاقبتك
وتظفر بالمراد في آخرتك وكل ذلك بعد فضل الله تعالى
بسبب هذه الخصلة التي هي قصر الأمل ولقد حكي
أن زرارة بن أبي أوفى سئل في النوم بعد موته أي
الأعمال أبلغ فيما عندكم قال الرضى وقصر الأمل فانظر
لنفسك أيها الرجل وابذل المجهود في هذا الأصل الكبير
فإنه الأهم والأعظم في إصلاح القلب والنفس
والله ولينا التوفيق بفضله وأما الحسد فإنه المفسد
للطاعات الباعث على الخطيئات وإنه الداء الذي يبلى به
الكثير من القراء والعلماء فضلًا عن العامة والجهلاء
حتى أهلكهم وأوردهم النار أما تسمع قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار بستة
العرب بالعصبية والأمراء بالجور والدهاقين
بالكبر والتجار بالخيانة وأهل الرساتيق بالجهل والعلماء

قف على حديث النبي صلى الله عليه وسلم

بالحسد وإن بلية بلغ شؤمها أن أوردت العلماء النار ان
لحقيق يحذر منها واعلم أن الحسد يبيح خمسة أشياء
أحدها فساد الطاعات قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار
الحطب والثاني فعل المعاصي والشرور كما قال
وهب للحاسد ثلث علامات يتملق إذا شهد
ويغتاب إذا غاب ويشمت بالمصيبة ثلث وحسبك
أن الله تعالى أمر بالاستعاذة من شر الحاسد فقال ومن شر
حاسد إذا حسد كما أمر بالاستعاذة من شر الشيطان
فانظر كم له من الشر والفتنة حتى أنزله منزلة الشيطان
والساحر حتى أن يستعاذ عليه ولا يستعاذ إلا بالله رب
العالمين والثالث التعب والغم بلا فائدة بل مع كل
وزر ومعصية كما قال ابن السماك رحمه الله لم أر ظالمًا أشبه
بالمظلوم من الحاسد نفس دائم وعقل هائم وغم لازم والرابع
عمى القلب حتى لا يكاد يفهم حكمًا من أحكام الله تعالى وتقد
قال سفين الثوري عليك بطول الصمت تملك الورع ولا تكن
حريصًا على الدنيا تكن ولا تكن طعانًا تنج من ألسن الناس

ورعا

ولا تكن حاسدًا فانك تجمع الغم والخسار والحرمان
والخذلان فلا تكاد تظفر بالمراد وتنصر على عدو كا
قال حاتم الاصم الطعين غير ذي دين والعائب
غير عابد والنمام غير مامون والحسود غير منصور قلت
الحسود كيف يظفر بمراده ومراده زوال نعمة الله تعالى
عن عباده المسلمين وكيف ينصر على اعدائه وهم عباد
الله المؤمنين ولقد احسن ابو يعقوب فيما قال اللهم
صبرنا على تمام النعمة على عبادك حسنًا لحوالهم وان
دا يفسد علينا الطاعة ويكثر شرك معصيتك ويمنعك
راحة النفس ويمحق القلب والنصر على الاعداء
والظفر بالمطلوب فاي داء يكون ادوى منه
فعليك بمصلحة نفسك من ذلك وبالله التوفيق واما
الاستعجال فانه الخصلة المفوتة للمقاصد الموقعة
في المعاصي وان فيهما سدا وافاته اربع احدهما ان
يقصد العابد منزلة في الخير والاستقامة فربما
يستعجل في نيلها وليس ذلك بوقتها فاما ان يفتر
وييأس ويترك الاجتهاد فيحرم تلك المنزلة واما ان

يغلو في الجهد واتعاب النفس فينقطع عن تلك
المنزلة فهو من افراط وتفريط وكلاهما ينتجه
الاستعجال ولقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال ان دينكم هذا متين فاوغل
فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا
ابقى وفي المثل السائر ان لم تستعجل تصل هـ

ولبعضهم

قد يدرك المتاني بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل

والثانية ان تكون للعابد حاجة فيدعو الله
تعالى فيها ويكثر الدعا ويجد فربما يستعجل الاجابة
في غير وقتها فلا يجدها فيفتر وييأس ويترك الدعا
فيحرم حاجته ومقصوده والثالثة ان يظلمه
انسان فيغيظه فيعجل بالدعاء عليه فيهلك مسلم
بسببه وربما يجاوز عن الحد فيقع في معصية
وهلاك قال الله تعالى ويدع الانسان بالشر
دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا والرابعة ان اصل
العبادة وملاك كمالها الورع واصله النظر البالغ في كل شي

والبحث التام عن كل شيء هو يصدده من أكل وشرب
وثبت وفعل فإذا كان الرجل مستعجلا في الأمور
غير متأن متثبت فيها متبين لم يقع منه توقف
ونظر في الأمور كما يجب ويسارع إلى كل الأمر
فيقع في الزلات إلى كل طعام فيقع في الحرام والشبهات
وكذلك في كل أمر فيفوته الورع وأي خير في عبادة
بلا ورع وإذا كان في خصلة واحدة الانقطاع عن منازل
الخير وحرمان الحاجات وهلاك المسلمين وهلاكه
ثم خطر فوت الورع الذي هو رأس المال يحق الإنسان
أن يهتم بها بالإزالة وإصلاح النفس بعدها والله الموفق
بفضله وأما الكبر فإنه الخصلة المهلكة
رأسا أما تسمع قوله تعالى أبى واستكبر وكان من الكافرين
وليست هذه الخصلة بمنزلة سائر الخصال التي
تقدح في عمل أنها تضر بالأصل وتقدح في الدين والاعتقاد
إذا قويت غلبت لا يتدارك والعياذ بالله ثم أول ما
ينتج منها على صاحبها أربع آفات أحدها حرمان الحق
وعمى القلب عن معرفة آيات الله وفهم أحكام الله تعالى

قال الله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في
الأرض بغير الحق وقال تعالى كذلك يطبع الله على كل
قلب متكبر جبار الثانية المقت والبغض
من الله تعالى قال الله تعالى إنه لا يحب المستكبرين
وروي أن موسى عليه السلام قال يا رب من أبغض
خلقك إليك قال من تكبر قلبه وغلظ لسانه وصفق
عينه وبخلت يده وساء خلقه الثالثة الخزي
والنكال في الدنيا والآخرة قال حاتم رحمه الله أحببت
الموت على ثلاثة على الكبر والحرص والخيلاء فإن المتكبر
لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يريه الهوان من أرذل
أهله وحرمه وخدامه والحريص لا يخرجه الله تعالى
من الدنيا حتى يحوجه إلى كسرة أو شربة ولا يجد مساغا
والختال لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يمرغه
بالبول والقذر وقيل من تكبر بغير حق أورثه الله
تعالى ذلا بحق الرابعة النار والعذاب في العقبى
على ما روي أن الله تعالى يقول الكبرياء ردائي والعظمة
إزاري فمن نازعني بواحد منهما ألقيته في النار و[illegible]

قف على حديث سيدنا موسى عليه السلام

المتكبر لا يخرجه الله من الدنيا حتى يريه الهوان

والحريص لا يخرجه من الدنيا حتى يحوجه

والختال لا يخرجه من الدنيا حتى يمرغه بالبول والقذر

ان العظمة والكبرياء من الصفات التي تختص بي
ولا ينبغي لاحد غيري كما ان رداء الانسان وازاره
تختص به لا يشارك فيه وان خصلة تفوتك
معرفة الله وتعلم آيات الله واحكامه الذي هو اصل
الاصل كله ثم يثمر ذلك المقت من الله سبحانه والخزي
في الدنيا والنار في الآخرة لا يسع للعاقل ان يغفل عن ذلك
في نفسه فلا يصلح الا بان يلزمها بالحذر والتحرز والاستعاذة
بالله عز وجل من ذلك وهو جل وعز ولي العصمة والتوفيق
بمنته فهذه بعض ما حضرنا في هذه الخصال الاربع وحسب
العاقل واحدة منها فضلا عن الكل اذا اهمه امر قلبه
وخاف عن امر دينه والله الموفق فان قلت اذا كان
الامر بهذه المنزلة من آفات هذه الخصال ولزم التحفظ
عنها فلا بد من معرفة حدها وحقيقتها فبين لنا ذلك
لنعرف كيف الطريق الى التحفظ عنها فاعلم ان في كل واحد
منها كلاما كثيرا وقد اشبعنا القول في كتاب الاحيا
والاسرار ونحن نذكر ها هنا ما لا بد منه ولا تقع
القناعة عنه فنقول وبالله التوفيق اما الامل فالذكر

يصلحها

علما بانه ارادة الحيوة للوقت المستراخي بالحكم وقصر الامل
ترك الحكم فيه بان تقيده بالاستثناء بمشية الله
تعالى وعلمه في الذكر او بشرط الصلاح في الارادة
فاذا ذكرت حيوتك باني اعيش بعد نفس
ثاني او ساعة ثانية او يوم ثان بالحكم والقطع
فانت آمل وذلك منك معصية اذ هو حكم على الغيب
فان قيدته بالمشية والعلم من الله تعالى فتقول اعيش
ان شا الله او ان علم الله اني اعيش فقد خرجت عن
حكم الامل وكذلك ان اردت حيوتك للوقت الثاني
قطعا فانت آمل وان قيدت ان لا تكون بشرط الصلاح
خرجت عن حكم الامل ووصفت بقصر الامل من حيث
ترك الحكم فيه فعليك بترك الحكم في ذكر البقاء
وارادته والمراد بالذكر ذكر القلب ثم المراد منه التوطين
على ذلك وتثبيت القلب فافهمه راشدا ان شا الله تعالى
ثم الامل ضربان امل العامة وامل الخاصة فامل العامة

او وقت ثان

ان يريد الحيوة والبقا لجمع الدنيا والتمتع بها وهذه
معصية محضة وضدها قصر الامل قال الله تعالى
ويلههم الامل فسوف يعلمون واما الخاصة ان يريد البقا
لاتمام عمل خير فيه خطر وهو ما لا يتيقن الصلاح له
فيه فانه ربما يكون خيرا معينا لا يكون لعبد
فيه او في اتمامه صلاح بان يقع بسببه في افة لا اذا
يقوم بها هذا الخير فاذن ليس للعبد ابتدا في صلاة
او صوم او غيره ان يحكم بانه يتمه اذ هو غيب ولا ان
يقصد ذلك قطعا لانه ربما لا يكون له فيه صلاح بل يقيد
ذلك بالاستثناء وبشرط الصلاح ليخلص من عيب
الامل قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تقولن
لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله وضد هذا الامل
فيما قال العلما النية وانما قالوا ذلك على ضرب من
الاتساع لان الناوي بالنية المحموده يكون ممتنعا
من الامل فهذه حكم الامل فالنية المحموده اذن قد مست
الحاجة اليها والى معرفتها مع انها الاصل الاصيل فالواجب

حدها التام الجامع ان النية الصحيحة المحمودة ارادة
عمل يبتدا به قبل سائر الاعمال بالحكم مع ارادة لتمامه
بالتفويض والاستثناء فان قيل فلم جاز الحكم في الابتداء
ووجب التفويض والاستثناء في الاتمام يقال له لفقد
الخطر اذ هو في حال الابتداء ليس بمتراخ عنك ولثبوت
الخطر في الاتمام اذ هو يقع في وقت متراخ بقيه الخطر
اذ خطر الوصول لا تدري هل تصل الى ذلك ام لا وخطر
الفساد لا تدري هل في ذلك صلاح ام لا فاذن وجب
الاستثنا لخطر الوصول والتفويض لخطر الفساد فاذا
حصلت الارادة على هذه الشروط تكون حينئذ
نية محموده مخرجة عن حد الامل وافته فتامل جدا تنبه
هذه واعلم ان حصن قصر الامل ذكر الموت وحصن حصنه
ذكر فجاة الموت واخذه على غفلة وغرة وهو في غرور
وفتور فاحتفظ بهذه الجملة وحصلها موفقا فان الحاجة
اليها ماسة ودع عنك تضييع الوقت في القيل والقال
وملاحاة الرجال والله الموفق بفضله واما
الحسد فهو ارادة زوال نعم الله تعالى عن اخيك المسلم مما له فيه

صلاح فان لم ترد زوالها عنه ولكن تريد لنفسك
مثلها فهو غبطة وعلى هذا الحمل قوله صلوة الله وسلامه
عليه لا حسد الا في اثنين الخبر اي لا غبطة الا في ذلك
فعبر عن الغبطة بالحسد اتساعا لما لمقارنتهما فان لم
يكن فيه صلاح فاردت زوالها عنه فذلك غيرة
ايضا فهذا الفرق بين هذه الخصال واما ضد الحسد
فالنصيحة وهي ارادة بقا نعمة الله تعالى على اخيك المسلم مما له
فيه صلاح فان قيل كيف يعلم ان له فيه صلاحا
او فسادا لينصحه او يحسده فاعلم انه قد يكون لنا
غالب الظن بذلك وغلبة الظن مما تجري مجرى العلم في هذه
المواضع ثم ان اشتبه عليك فلا ترد زوال نعمة احد
من المسلمين او بقاها الا مقيدا بالتفويض وشرط الصلاح
لتخلص من حكم الحسد وتحصل لك فائدة النصيحة
واما تحصن النصيحة المانع عن الحسد فهو ذكر ما
اوجب الله تعالى من موالاة المسلمين وحصن هذا
الحصن ذكر ما اعظم الله تعالى من حق المومن ورفعه

وقدره وما له عنده من الكرامات العظيمة
في العقبى وما لك فيه من الفوائد الجليلة في الدنيا
من التعاون والتظاهر في الجماعات والجمعات
ثم ما ترجو من شفاعته في الآخرة فهذه
ونحوها مما يبعث على النصح لكل مسلم وتجنبك ان تحسده
في نعمة اعطاه الله عز وجل والله تعالى ولي التوفيق
واما العجلة فانها الرايب في القلب الباعث
على الاقدام على الامر باول خاطر دون التوقف فيه
والاطلاع عليه والاستطلاع فيه والاستعجال اتباعه
والعمل به وضدها الاناة وهي المعنى الراتب في القلب
الباعث على الاحتياط في الامور والنظر فيها والتاني
في اتباعها والعمل بها اما التوقف فصفة التعسف
قال شيخنا الفرق بين التوقف والتاني ان التوقف
قبل الدخول في الامور حتى يستبين له رشده والتاني
بعد الدخول فيه حتى يودي لكل جزء منه حقه
ثم مقدمات الاناة ذكر وجوه الخطر في الامور التي

كما تعرض للانسان ضروب الافات المخوفه فيهما
وذكر ما في النظر والتثبت من السلامه وما في التعسف
والاستعجال من الندامه والملامه هذه وامثالها مما
يبعث على التاني والتوقف في الامور ويمنع من الاستعجال
والتعسف والله ولينا في العصمة والتوفيق برحمته
اما الكبر فاعلم انه خاطر في رفع النفس
واستعظامها والتكبر اتباعه والضعة خاطر
في وضع النفس واحتقارها والتواضع اتباعه
ولكل واحد منهما عامي وخاصي فالتواضع العامي
هو الاكتفا بالدون من الملبس والمسكن والمركب
والتكبر في مقابلته الترفع عن ذلك والتواضع الخاصي
هو تمرين النفس على قبول الحق ممن كان وضيعا او
شريفا والتكبر في مقابلته الترفع عن ذلك وهو
معصية وخطيئة عظيمة ثم حسن التواضع العامي
ان تذكر مبداك ومنتهاك وما انت عليه في الحال
من ضروب الافات والاقذار كما قال

في التمرين التليين صح

بعضهم
اولك نطفة مذره واخرك جيفة قذره وانت فيما بينهما حامل العذره
وحسن التواضع الخاصي هو ذكر عقوبه العادل عن الحق
المتمادي في الباطل فهذه جملة كافيه لمن استبصر
والله الموفق برحمته الخامس فصل البطن وحفظه
ثم عليك في حفظ البطن واصلاحه فانه اشق الاعضاء
اصلاحا على المتعبد المجتهد واكثرها مونة وشغلا صح
واعظمها ضررا واثرا لانه المنبع والمعدن ومنه
تهيج الامور في الاعضاء قوة وضعف وعفة وجماح
ونحوه فعليك اذن بصيانته عن الحرام اولا والشبهه
ثم من فضول الحلال ثانيا ان كانت لك همة في
عبادة الله تعالى فاما الحرام والشبهة فانما يلزمك
التجنب عنه لثلثة امور اولها الحذر من نار جهنم
قال الله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما
انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا
وقال النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من
الحرام فالنار اولى به والثاني ان اكل الحرام

بسبب الله تعالى قد منع الجنب عن الدخول الى بيته ع

والشبهه مطرود لا يوفق للعبادة اذ لا يصلح
لخدمة الله تعالى الا اكل طاهر مطهر كالحدث
عن مس كتابه قال عز وجل من قايل ولا جنبا
الا عابري سبيل وقال لا يمسه الا المطهرون
مع ان الجنابة والحدث اثر مباح فكيف بمن
هو منغمس في قذر الحرام ونجاسة السحت والشبهه
ومتى يدعى الى خدمة الله تعالى العزيز ذكره
الشريف قدره سبحانه كلا فلا يكون ذلك
وقال يحيى بن معاذ الطاعة مخزونة في خزاين الله
ومفتاحها الدعا واسنانها الحلال فاذا لم يكن
للمفتاح اسنان فلا ينفتح الباب واذا لم ينفتح
الباب الخزانة كيف يصل الى ما فيها من الطاعة
والثالث ان اكل الحرام والشبهة بمجرد ان اتفق
له فعل خير فهو مردود عليه غير مقبول
عنه فاذن لا يكون له من ذلك الا العنا والكد

٦٨

وشغل الوقت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كم من قايم ليس له من قيامه الا السهر وكم من
صايم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش وعن ابن
عباس رضي الله عنهما لا يقبل الله صلوة امرء في جوفه
حرام وانما فضول الحلال فانه افة العبادة وبلية
اهل الاجتهاد واني تاملت فوجدت فيه عشر افات
من اصل هذا الشان الاولى في كثرة الاكل قسوة
القلب وذهاب نوره روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تميتوا القلوب بكثرة اكل الطعام والشراب
فان القلب يموت كالزرع اذا كثر عليه الما ولقد
شبهه بعض الصالحين بان المعدة كالقدر تغلي
تحت القلب والبخار يرتفع اليه فكثرة البخار يكدره.
والثانية في كثرة الاكل فترة الاعضاء ملح
وهيجانها وانبعاثها للفضول في الفساد فان الرجل اذا
كان شبعان بطرا اشتهت عينه الى ما لا يعنيه النظر
من حرام وفضول والاذن للاستماع اليه واللسان للتكلم

والفرج للشهوة والرجل المشي اليه وان كان جايعا
فيكون الاعضا كلها ساكنة هادية ولا تطمع
الى شي من هذا ولا ينشط له ولقد قال ابو جعفر ع
ان البطن عضو ان جاع شبع سائر الاعضا يعني
سكن فلا يطالبك بشي وان شبع جاع سائر الاعضا
وجملة الامر ان افعال الرجل واقواله على حسب
طعامه وشرابه ان دخل الحرام خرج الحرام وان دخل
الفضول خرج الفضول كان الطعام بذر الافعال
والافعال نبت يبدوا منه الثالث ان في كثرة
الاكل قلة الفهم والعلم فان البطنه تذهب الفطنه
ولقد صدق اذ قال الداراني اذا اردت
حاجة من حوايج الدنيا والاخرة فلا تاكل حتى تقضيها
فان الاكل يغير العقل وهذا علم ظاهر علمه من
اختبره الرابعة في كثرة الاكل قلة العبادة
فانه اذا اكثر الاكل ثقل بدنه وغلبت عيناه
وفترت اعضاوه فلا يجي منه شي وان اجتهد
الا النوم كالجيفة الملقاة ولقد قيل اذا اكثرت

بطنا تعد نفسك زمنا ولقد ذكر عن يحيى بن زكريا
عليهما السلام ان ابليس بدا له وعليه معاليق فقال له يحيى
ما هذه قال الشهوات التي اصيد بها بني آدم فقال
هل تجد لي فيها شيا قال لا الا انك شبعت ذات ليلة
فثقلناك عن الصلوة قال يحيى لا جرم اني لا اشبع بعد
هذا قال ابليس لا جرم اني لا انصح احدا ابدا فهذه في من
لم يشبع في عمره الا ليلة واحدة فكيف بمن لا يجوع في عمره
ليلة ثم يطمع في العبادة وقال سفين العبادة حرفة حانوتها
الخلوة والاتها المجاعة والخامسة ان في كثرة الاكل
فقد حلاوة العبادة قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
ما شبعت منذ اسلمت لاجد حلاوة عبادة ربي وما
رويت منذ اسلمت اشتياقا الى لقاء ربي فهذه صفة
الاكل شعير وكان ابو بكر رضي الله عنه يكثر الافكار
واليه اشار النبي صلوات الله وسلامه عليه بقوله
ما فضلكم ابو بكر بفضل صوم ولا صلوة وانما هو
بشي وقر في صدره وقال الداراني لكل شي ما يكون العبادة

اذا التزق ظهري ببطني السادسة ان فيه خطر
الوقوع في الشبهة والحرام لان الحلال لا ياتيك
الا قوتا والحرام ياتيك جزافا السابعة ان فيه
شغل القلب والبدن بتخليصه اولا وتطييبه
ثانيا ثم باكله ثالثا ثم بالفراغة عنه والتخليص
رابعا ثم بالسلامة منه حاشا ان يدان منه آفة
في البدن من الآفات والعلل ولقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصل كل داء البردة يعني التخمة
واصل كل دواء الازم يعني الجوع والحمية وعن
مالك ابن دينار انه كان يقول يا هؤلاء لقد اختلفت
الى الخلاء حتى استحييت ثم من الجملة طلب الدنيا
والطمع الى الناس وتضييع الوقت بسبب كثرة
الاكل الثامنة ما يناله من الامور الاخروية وشدة
سكرات الموت على قدر لذات الحيوة فمن
اكثر هذا اكثر له من ذلك التاسعة نقصان
الثواب في العقبى قال الله تعالى اذهبتم طيباتكم

ان شدة سكرات الموت على قدر لذات الحياة

لذات الحياة

ويعين الطالب قال بعض العلماء ما تيقنت كونه ملكا
للغير منهيا عنه في الشرع فهو حرام محض واما اذا لم يكن
يتيقن بذلك ولكن يغلب على الظن انه كذلك فهو شبهة
وقال آخرون الحرام المحض ما يكون به علم او غالب
ظن لان غلبة الظن مما تجري مجرى العلم في كثير من
الاحكام فاما اذا تساوت الامارتان حتى يبقى شاكا
لا يكون لاحدهما ترجيح عنده فذلك شبهة يشبه
انه حلال ويشبه انه حرام فاشتبه امره عليك والتبس
حاله ثم الامتناع عن الذي هو حرام محض حتم واجب
وعن الذي هو شبهة تقوى وورع هذا اولى القولين
عندنا فان قلت في قبول جوائز السلاطين في هذا الزمان
فاعلم ان العلماء اختلفوا فيه فقال قوم كل ما لا يتيقن انه
حرام فله اخذه وقال آخرون لا يحل ان يوخذ ما لا يتيقن
انه حلال لان الغالب في هذا العصر على اموال السلاطين
الحرام والحلال في ايديهم معدوم او عزيز وقال قوم ان
صلات السلاطين تحل للغني والفقير اذا لم يتحقق انها حرام
وانما التبعة على المعطي لان النبي صلى الله عليه وسلم هدية المقوقس
قبل

ملك الاسكندرية وانتقرض من اليهود مع قوله اكالون
للسحت قالوا وقد ادرك جماعة من الصحابة رضي الله
عنهم ايام الظلمة واخذوا منهم فمنهم ابو هريرة وابن
عباس وابن عمر رضي الله عنهم وقال اخرون لا يحل من
اموال الظلمة شي لغني ولا فقير اذ هم موصوفون بالظلم والغالب
من حالهم السحت والحرام والحكم للغالب فيلزم الاجتناب
وقال اخرون ما لا يتيقن انه حرام فهو حلال للفقير دون
الغني الا ان يعلم الفقير انه عين الغصب فليس له ان ياخذه الا
ليرده على مالكه ولا حرج على الفقير ان ياخذ من مال السلطان طيب
لانه ان كان من ملك السلطان فاعطى الفقير فله اخذه
بلا ريب وان كان من فيء او خراج او عشر فللفقير فيه
حق وكذلك لاهل العلم قال علي رضي الله عنه من دخل
الاسلام طايعا وقرا القران ظاهرا فله في بيت مال المسلمين
كل سنة مايتا درهم وروي مايتا دينار ان لم ياخذها في
الدنيا اخذها في الاخرة واذا كان كذلك فالفقير
والعالم ياخذ من حقه قالوا اذا كان المال مختلطا
بمال مغصوب لا يمكن تمييزه او غصبا لا يمكن رده

فيها علم جماعة المسئلة وبما مر منها تقع

اخذ الفقير من اموال السلطان صحيح

اخذ العلما من اموال السلطان صحيح

من قرا القران فله على بيت المال في كل سنة مايتا درهم وقيل مايتا دينار

على مالكه

على مالكه وذريته فلا تخلص للسلطان منه الا
ان يتصدق به وما كان الله ليامره بالصدقة
على الفقير وينهى الفقير عن قبوله او ياذن للفقير في القبول
وهو عليه حرام فاذن للفقير ان ياخذ الا من عين
الغصب والحرام فليس له اخذه وهذه المسايل لا يمكن
الفتوى فيها الا ببسط وتشقيق واستيعاب القول فيها
نخرج عن المقصود من الكتاب فان اردت معرفتها فطالع
كتاب الحلال والحرام من كتب الاحيا تجده مشروحا
مبينا فان قيل ما تقول في صلات اهل السوق وغيرهم
هل يلزم ردها او البحث عنها وقد علمت تجارتهم وقلة
نظرهم في معاملاتهم وكذلك صلات الاخوان
فالجواب انه اذا كان ظاهر الانسان الصلاح والستر
فلا حرج عليك في قبول صلته وصدقته ولا يلزمك
البحث بان تقول قد فسد الزمان فان هذا سوء الظن
بذلك الرجل المسلم وحسن الظن بالمسلمين مامور به ثم اعلم
ما هو كالاصل في هذا الباب وهو ان هاهنا شيين احدهما
حكم الشرع وظاهره والثاني حكم الورع وحقه

صلات اهل السوق

صلات الاخوان

فحكم الشرع ان ناخذ ما ناكل ممن ظاهره صلاح ولا
نسال الا ان نستيقن انه غصب او حرام بعينه وحكم الورع
ان لا ناخذ شيئا من احد حتى نبحث عنه غاية البحث
او نستقصي غاية الاستقصاء فنستيقن انه لا شبهة فيه
بحال والا فنتركه فقد روينا عن ابي بكر الصديق رضي الله
عنه ان غلاما له اتاه بلبن فشربه فقال الغلام كنت اذا
جئتك بشيء تسالني عنه ولم تسالني عن هذا اللبن فقال فمن ثمه
قال رقيت قوما رقى في الجاهلية فاعطوني هذا فتقيا
ابو بكر رضي الله عنه وقال اللهم هذا المقدور فما بقي في العروق
فانت حسيبه فهذا يدلك على وجوب البحث عما تقدم
عليه ان كان لك نظر في الورع وحقه فمن هنا فان
قلت وكان الورع خالف الشرع وحكمه فاعلم ان الشرع
موضوع على اليسر والسماحة وكذلك قال صلى الله عليه
وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة والورع موضوع على
التشديد والاحتياط كما قيل الامر على المتقي اضيق من عقد
الشعر ثم الورع من الشرع ايضا وكلاهما في الاصول آنا فعلم
ذلك اشد فان قلت اذا جاز البحث والاستقصاء عن كل شيء
فان

[margin: لكن للشرع حكما [illegible] الاصابع]

واشتد علينا ما ناخذه في هذا الزمان وتعذر الامر بمرة
على صاحب الورع اذ لا بد له من بلاغ يبلغه الى الطاعة
فاعلم ان الطريق الورع شديد وان من قصد سلوكه
فتوطن نفسه وقلبه على احتمال التشدد والا
فلا يستقيم له ذلك ولهذا المعنى صار الكثير من اهل
الورع والسابقون الى جبل لبنان وغيره واقتصروا على
اكل الحشيش وثمرات يافعه ولا شبهة فيها الحال فمن
سمت همته الى نيل منزلة الورع الاعلى فعليه ان يحتمل
الشدائد ويصبر عليها فيسلك طريق اوليك لينال منزلتهم
واما ان اقام بين الناس فاكل ما يتداولونه في ايديهم فليكن
عنده بمنزلة الميتة لا يقدم عليها الا عند الضرورة ثم لا
يتناول منها الا بمقدار ما يبلغه الى الطاعات فيكون له
عذر في ذلك ولا يضره ان كان في اصله شبهة فان الله
تعالى اولى بالعذر ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله
عليه نشد السوق فعليكم بالقوت ولقد بلغني عن وهيب
بن الورد رحمه الله انه كان يجوع نفسه يوما ويومين

وثلثه ثم يأخذ رغيفاً فيقول اللهم انك تعلم اني لا اقوى على العبادة
واخشى الضعف والالم ان اكله اللهم ان كان فيه شيء من خبيث
او حرام فلا تؤاخذني ثم يبل الرغيف في الماء فيأكله ثلث
وهذان الطريقان الطبقة العليا من اهل الورع فيما نعلمه
واما من دونهم فلهم احتياط وبحث على مقدار [illegible] فيما
نصيب من الورع على مقدار وبقدر ما يتعنى ينال ما يبتغي
والله تعالى لا يضيع اجر من احسن عملا وهو عليم بما يعملون
فان قيل فهذا جانب الحرام فاخبرنا بجانب الحلال وما
حد الفضول الذي يلزم منه الحبس والحساب وما المقدار
الذي يأخذه العبد يكون ادباً ولا يكون فضلاً ولا عليه اذا
حساب يقال له اعلم ان اموال المباح في الجملة ثلثة اقسام
احدها ان يأخذه العبد مفاخراً او مكاثراً مباهياً مرائياً
فيكون الاخذ منه فعلاً منكراً يستوجب على
ظاهر فعله الحبس والحساب واللوم والتعيير وهو منكر
وشر يستوجب على باطن فعله وهو التكاثر والتفاخر
عذاب النار وذلك القصد منه معصية وذنب
لقوله تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة
الى قوله وفي الاخرة عذاب شديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم

جداً كما تراً

من طلب الدنيا مباهياً مكاثراً مفاخراً مرائياً لقي الله
تعالى وهو عليه غضبان فالوعيد على قصده ذلك
بقلبه والقسم الثاني ان يأخذ الحلال لشهوة نفسه
لا غير فذلك منه شره يستوجب عليه الحبس
والحساب لقوله تعالى لتسئلن يومئذ عن النعيم وقال
عليه السلم حلالها حساب والقسم الثالث
ان يأخذ من حلال في حال العذر قدراً يستعين
به على عبادة الله تعالى ويقتصر على ذلك فذلك خير
وحسنة وادب لا حساب عليه ولا عتاب بل
يستوجب عليه الاجر والمدحة لقوله عز وجل اولئك لهم
نصيب مما كسبوا وقال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا
استعفافاً عن المسئلة وتعطفاً على جاره وسعياً على عياله جاء
يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر وذلك لما قصد
به بهذا المقصود المحمود لله تعالى فهذه هي فاعلمها
فان قيل فما شرط المباح حتى يصير خيراً وحسنة فاعلم
انه يحتاج في كونه خيراً في الاصل الى شرطين

احدهما الحال والثاني القصد فالحال يجب ان يكون
في حال عذر وهو بحيث ان لم ياخذ يوخذ وتفسيره
ان يكون حاله ان لم ياخذ ذلك المباح ينقطع بسببه
عن فرض او سنة او نفل يكون ذلك افضل من ترك المباح
فان ترك مباح الدنيا فضيلة فاذا كان الحال كذلك
فهو حال العذر واما القصد فانه يقصد به العدة
والاستعانة على عبادة الله تعالى وهو ان يذكر بقلبه
انه لولا ما فيه من التوصل الى عبادة الله تعالى لما اخذ
ذلك فهذا ذكر الحجة فلما حصل ذكر الحجة في حال
العذر صار ذلك الاخذ من الدنيا خيرا وحسنة وادبا
واما لو كان حاله حال العذر ولا يكون له هذا
القصد والذكر او يكون له هذا الذكر ولا
يكون في حال العذر فلا يصير ذلك الاخذ من
جملة الخيرات ثم الاستقامة على حفظ هذا الادب
تحتاج الى بصيرة وقصد وعمل فانه لا ياخذ الدنيا
بحال الا للعدة على عبادة الله تعالى حتى انه ان يشتهي

عن ذكر الحجة في حال العذر اذ لكن القصد المجمل عن
تحديد ذكر الحجة قال شيخنا فصارت الامور
الثلاثة معتبرة في كل واحد من وجه يعني ان الذكر
والحال معتبران في حصول كونه خيرا اصلا
والقصد المجمل المقتضي عن بصيرة بمنزلة الادب
معتبر في الاستقامة عليه فاعلمه راشدا فان
قيل فان اخذ الدنيا الحلال بشهوة هل يكون
ذلك معصية وهل يلزم عليه عذاب وهل على
الاخذ بالعذر فرض ام لا فاعلم ان ذلك فضيلة
وتسميته خيرا وحسنة والامر به امر تاديب
والاخذ بالشهوة شر وسيئة والنهي عنه نهي زجر
وليس ذلك بمعصية ولا يكون عليه عذاب
النار وانما عليه الحبس والحساب واللوم والتعيير
فان قلت فما هذا الحبس والحساب الذي
يلزم العبد فاعلم ان الحساب ان يسال يوم
القيمة عما ذا اكتسبت وفيما ذا انفقت وفيما

اردت بذلك والحبس حبس عن الجنة مدة الحساب
وذلك في عرصة القيامة بين اهوالها ومخاوفها
عريان عطشان وكفى بذلك بلية فان قيل
فاذا احل الله لنا هذا الحلال فاللوم والتعيير في
اخذه لماذا فاعلم ان اللوم والتعيير لترك الادب
كمن يجلس على مائدة الملك فيترك الادب فانه يعير
بذلك ويلام وان كان الطعام له مباحا والاصل
في الباب ان الله تعالى خلق العبد لعبادته وهو عبد
لله تعالى من كل وجه فحق للعبد ان يعبد الله تعالى
من كل وجه يمكنه ويجعل افعاله كلها عبادة
من اي وجه امكنه وان لم يفعل ذلك من غير تعذر
والدار دار خدمة وعبادة لا دار تنعم وشهوة استحق
اللوم والتعيير من قبله فتامله فهذا الاصل راشدا
ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهذه الجملة التي
اوردنا بيانها في اصلاح النفس والجامها بلجام التقوى
فاعرفها حقها واحتفظ بها جيدا تفز بالخير الكثير في

الدارين ان شاء الله تعالى والله عز وجل ولي العصمة والتوفيق
بفضله

فصل

فعليك ايها الرجل ببذل المجهود
في قطع هذه العقبة العظيمة الطويلة فانها اعظم
العقبات شدة واكثرها مؤنة واكبرها آفة وفتنة
فان من هلك من الخلق كلهم انما انقطعوا عن طريق الحق
اما بسبب دنيا او خلق او شيطان او نفس ولقد ذكرنا
في كتبنا المصنفة من كتاب الاحياء وكتاب الاسرار
والقربة ما يبعث على الاهتمام بذلك ومقصود هذا الكتاب
اني سالت الله ان يطلعني على سر معالجة النفس وان
يصلحني ويصلح بي فاقتصرت في هذا الكتاب الشريف
على نكتة وجيزة اللفظ عزيزة المعنى يقنع من تاملها ويدعو
على واضحة من الطريق ان شاء الله تعالى وهذا الفصل يختص
بنكت في معالجة الدنيا والخلق والشيطان والنفس اما
الدنيا فحق لك ان تحذرها وتزهد فيها لان الامر لا
يخلو من ثلثة اما انت من ذوي البصائر والفطن فحسبك
ان الدنيا عدوة لله تعالى وهو حبيبك ولبئس دان الدنيا

نقيصة عقلك والعقل قيمتك واما انت من ذوي البصاير
وذوي الهمم في عبادة الله تعالى والاجتهاد فحسبك ان
الدنيا بلغ شومها ما يبعد ارادتها وتشغل الفكرة
فيها عن العبادة والخير فكيف نقشها واما انت من اهل
الغفلة لا بصيرة لك تبصر الحقائق ولا همة لك تبعث
على المكارم فحسبك ان الدنيا لا تبقى اما ان تفارقها واما
ان تفارقك كما قال الحسن ان بقيت لك الدنيا لا
تبق لها فاي فايدة اذن في طلبها وانفاق العمر العزيز
عليها ولقد احسن القايل حيث قال

هب الدنيا تصير اليك عفوا ... اليس يصير ذاك الى الزوال
وما دنياك الا مثل ظل ... اظلك ثم اذن بارتحال

فلا ينبغي لعاقل ان تخدع بها ولقد صدق القايل فيها قال

اضغاث نوم او كظل زايل ... ان اللبيب بمثله لا يخدع

واما الشيطان فحسبك فيه ما قال الله تعالى لنبيه صلى
الله عليه وسلم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين
واعوذ بك رب ان يحضرون ثم هذا حبيب رب
العالمين واعلمهم وافضلهم عند الله تعالى تحتاج مع

ذلك ان تستعيذ بالله من شر الشيطان فكيف بك مع
جهلك ونقصك وغفلتك واما الخلق فحسبك منهم انك
لو خالطتهم ووافقتهم في اهوايهم اثمت وافسدت امر
اخرتك وان خالفتهم تعبت باذاتهم وجفوتهم وكان
عليك اشد دنياك ثم لا تامن ان يلجيوك الى معاداتهم
ومنازعتهم فيقع في شرهم ولانهم ان مدحوك وعظموك
اخاف عليك الفتنة والعجب وان ذموك وحقروك اخاف
عليك الحزن تارة والغضب بغير الحق اخرى وكلا الامرين
افة مهلكة ثم اذكر حالك معهم بعدما صرت في القبر
بثلثة ايام انا كيف يتركونك ويهجرونك وينسونك فلا يكادون
يذكرونك كانهم لم يعرفوك يوما ولم تزهم فلا ينبغي هنالك
الا الله تعالى او لا يكون من الغبن العظيم ان تضيع ايامك مع
هولا الخلق مع قلة الوفاء وقلة البقاء معهم وتترك خدمة
الله تعالى الذي يرجع اليه اخر الامر كله وحده فلا ينبغي
لك الا هو ابد الابدين والحاجات كلها اليه والتكلان
كله عليه والاعتصام كله به في كل حال وعند كل شدة

وهو لن يوحده لا شريك له فتأمل أتم التأمل لعلك
ترشد إن شاء الله تعالى والله ولينا بالتوفيق وأما النفس
فحسبك ما تشاهد من أحوالها ورداءة اختيارها فهي
في حال الشهوة بهيمة وفي حال الغضب سبعة
وفي حال المصيبة تراها طفلا وفي حال النعمة تراها فرعونا
وفي حال الجوع تراها مجنونا وفي حال الشبع تراها مختالا إن
أشبعتها بطرت ومرحت وإن جوعتها صاحت وجزعت
فهي كما قال

كحمار السوء إن أشبعته رمح الناس وإن جاع نهق

ولقد صدق بعض الصالحين إن من رداءة هذه النفس
وجهلها وخبثها إذا همت بمعصية وانبعثت لشهوة
فتشفعت إليها بالله تعالى ثم برسوله وبجميع
أنبيائه وكتبه وبجميع السلف الصالح من عباده
وتعرض عليها الموت والقبر والقيامة والجنة والنار
لا تعطي الانقياد بترك الشهوة ثم إذا استقبلتها بمنع
رغيف فإنها تسكن وتترك شهوتها لتعلم خستها وجهلها
فإياك أيها الرجل أن تغفل عنها فإنها كما قال خالقها العالم

بها جل جلاله إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي فكفى
بهذا تنبيها لمن عقل ولقد بلغنا عن بعض الصالحين يقال له
أحمد بن أبي عمر البلخي أنه قال نازعتني نفسي بالخروج إلى الغزو
فقلت سبحان الله إن الله تعالى قال إن النفس لأمارة بالسوء
وهذه تأمرني بالخير لا يكون هذا أبدا ولكنها استوحشت
فتريد لقاء الناس لتستروح إليهم ويتسامع الناس بها
فيستقبلونها بالتعظيم والبر والإكرام فقلت لها لا أنزلك
العمران ولا أنزل على معرفة فأجابت فاتهمت الظن بها
وقلت الله أصدق فقلت لها أقاتل العدو حاسرا فتكونين
أول قتيل فأجابت وعدد أشياء مما أرادها فأجابت
إلى ذلك قال فقلت يا رب نبهني بها فإني متهم لها مصدق
لك فكوشفت كأنها يا أحمد أنت تقتلني كل يوم بمنعك
إياي من شهواتي ومخالفتك ولا يشعر به أحد
فإن قاتلت قتلت مرة واحدة فنجوت منك ويتسامع
الناس فيقال استشهد ويكون لي بذلك شرف وذكر
قال فقعدت ولم أخرج إلى الغزو في ذلك العام فانظر

في علو البد
ود وانقيها

الى خداع النفس وغرورها ترى الناس بعد الموت بعمل
لم يكن بعد ولقد صدق القايل واحسن فيما
قال
توق نفسك لا تامن غوايلها فالنفس اخبث من سبعين شيطانا
فتنبه رحمك الله لهذه الخداعة الامارة بالسوء ووطن
على مخالفتها بكل حال تصب وتسلم ان شا الله تعالى ثم
عليك بالجامها بالتقوى لا حيلة لها سواه واعلم ان هاهنا
اصلا وهو ان للعبادة شطران شطر الاكتساب اصيلا
وشطر الاجتناب فالاكتساب فعل الطاعات والاجتناب
الامتناع عن المعاصي والسيئات وهو التقوى فان شطر
الاجتناب على كل حال اصلح واسلم وافضل واشرف
للعبد من شطر الاكتساب ولذلك يشتغل المبتدون
من اهل العبادة الذين هم في اول درجة الاجتهاد بشطر
الاكتساب وكل همتهم ان يصوموا نهارهم ويقوموا
ليلهم ونحو ذلك ويشتغل المنتبهون اولو الابصار من اهل
العبادة بشطر الاجتناب انما همتهم ان يحفظوا قلوبهم
عن الميل الى غير الله تعالى وبطونهم عن الفضول والسنتهم

عن اللغو واعينهم عن النظر الى ما لا يعنيهم ولهذا المعنى بلغ
قال العابد الثاني من العباد ليونس يا يونس في الناس
من حببت اليهم الصلوة فلا يوثرون عليها شيا وهي عمود
العبادة بالثبات لله تعالى والصدق والتضرع والابتهال
ومنهم من حببت اليهم الصوم فلا يوثرون عليه
شيا يا يونس وانا مفسر لك هذه الخصال اجعل صومك
الصمت عن كل سوء واجعل صدقتك كف الاذى
فانك لا تتصدق بشيء افضل منه ولا تصوم بشيء ازكى منه
فاذا علمت ان جانب الاجتناب اولى بالرعاية والاهتمام
فان حصل لك الشطران جميعا الاكتساب والاجتناب
فقد حصل مرادك واستكمل امرك ولقد سلمت وغنمت
وان لم تبلغ الا احدهما فليكن ذلك جانب الاجتناب
فانك تسلم ان لم تغنم والا خسرت الشطرين جميعا
وما ينفعك قيام ليل وتعبه ثم تحبط بارادة واحدة
وما يغنيك صيام نهار طويل ثم تفسده بكلمة واحدة ١٢
ولقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قيل له ما

كثير الخير
تقول في رجلين احدهما كثير الشر والآخر قليل الخير
قليل الشر قال لا اعدل بالسلامة شيئا ومثال ما قلناه
حال المريض وذلك ان معالجة المريض نصفان نصف
هو الدوا ونصف هو الاحتما فان يك اجتمعا فكانك
بالمريض قد برا وصح والا فالاحتما به اولى اذ لا ينفع دوا
مع ترك الاحتماء ولقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اصل كل داء الحمية والمعنى به والله اعلم انها تغني
عن كل دواء وكذا يقال ان الهند جعلوا معالجتهم
الحمية يمتنع المريض عن الاكل والشرب والكلام
عدة ايام فيبرا ويصح بذلك لا غير فتبين لك بهذه
الجملة ان التقوى ملاك الامر من هذه واهلها هم
الطبقة العلية العليا فعليك ببذل المجهود
في ذلك لتصرف جد العناية الى ذلك والله سبحانه
ولي التوفيق والرشاد والمراد فصل
ثم راع هذه الاعضاء الاربعة التي هي الاصول العين
وحسبك فيها ان مدار الدين على القلب واخطر القلب
والاسا

وشغله ونسيانه في الاكثر من العين ولذلك قال علي
عليه السلام من لم يملك عينه فليس للقلب عنده
قيمة الثاني اللسان وحسبك ان فيه ربحك
وغنيمتك وثمرة تعبك واجتهادك كله للعبادة
والطاعة وان خطر العبادة واحباطها وفسادها في
الاكثر من قبل اللسان بالتصنع والتزين والغيبة
ونحوها فتاتي عليك بلحظة واحدة ما تعبت به سنة
وحده بل خمسا وعشرا ولذلك قيل ما شي احق بطول
السجن من اللسان وفيما روي ان احد العباد السبعة
قال يا يونس ان العباد اذا اجتهدوا في العبادة لم يتفقوا
في عبادتهم على شي افضل من الصبر على ترك الكلام في
فصل طويل ثم عاد الى ذلك فقال فلا يكون عندك شي
اكرم من حفظ لسانك ولا تكونن لشي اعنى به من
سلامة صدرك فهذه هذه ثم اذكر الانفاس التي
تكلمت بها في الفضول وما كان يضرك لو قلت
استغفر الله فربما يوافق ساعة عزيزة فيغفر الله تعالى
لك فتربح راس مالك او قلت لا اله الا الله فيكون

لكن من الاجر والذكر ما لا تحيط به وهمك او نقول
اسال الله تعالى العافية فربما يتفق حسن نظر فيستجيب
الله دعوتك فتحوز من بلية الدنيا والاخرة والا
يكون من الخسران العظيم والغبن القطيع ان تفوت
عن نفسك كل هذه الفوايد الكريمة فتجعل نفسك
ووقتك في فضول اقل ما يلزمك فيه اللوم والحساب
يوم القيامة ولقد احسن من قال
واذا هممت بالنطق بالباطل فاجعل مكانه تسبيحا
والثالث البطن وحسبك ان مقصود كل العبادة
ان الطعام بذر العمل ومادة منه يبدو وينبت واذا
احبث البذر لا يطيب الزرع بل فيه خطر
ان يفسد عليك ارضك فلا تقام ابدا ومن ذلك
ما بلغنا عن معروف الكرخي انه اذا صمت فانظر على
اي شي تفطر وعند من تفطر وطعام من تاكل فكم
من اكل اكلة فيقلب قلبه عما كان عليه لا يعود
الى حاله ابدا وكم من اكلة حرمت قيام ليلة
وكم من نظرة منعت قراة سورة وان العبد لياكل

٨٥

الاكلة فيحرم بها قيام سنة فعليك ايها الرجل بالنظر
الدقيق والاحتياط البالغ الشديد في قوتك ان
كان لك عناية بقلبك وهمة في [illegible] ربك هذا
في اصل القوت حتى تكون من وجهه ثم عليك
بالادب فيه والاكتساب حالا للطعام تضبعا
للابرار اذ قد علمنا يقينا بل راينا عيانا ان العبادة لا
تجي منها شي اذا امتلا البطن وان اكرهت النفس
على ذلك وجاهدت بضروب الحيل لا يكون لتلك
العبادة لذة ولا حلاوة وكذلك قيل لا تطمع حلاوة
في العبادة مع كثرة الاكل واي نور في نفس عبادة
في عبادة بلا لذة ولا حلاوة ولهذا المعنى قال ابرهيم
بن ادهم صحبت اكثر رجال الله في جبل لبنان وكانوا
يوصوني اذا رجعت الى ابناء الدنيا فعظهم باربع
قل لهم من يكثر الكلام لا يجد لذة العبادة ومن
ينم كثيرا لا يجد في عمره بركة ومن طلب رضا
الناس فلا ينتظر رضا الرب ومن يكثر الفضول
والغيبة فلا يخرج من الدنيا على دين الاسلام وعن
سهل انه قال جامع الخير كله في هذه الخصال الاربع وبها

[illegible] المسالة [illegible] قال ابراهيم بن ادهم

الخاص
وبهما صارت الابدال ابدالا اغماص البطون الصمت
والاعتزال عن الناس وسهر الليل وقال بعض
العارفين الشبع راس مالنا ومعناه ان ما يحصل لنا من
فراغة وسلامة وعبادة وحلاوة وعلم نافع بسبب
الجوع والصبر عليه لله تعالى واما القلب
فحسبك ان اصل الكل ان فسد فسد الكل
وان اصلحته صلح الكل اذ هو الشجرة وساير الاعضاء
اغصان ومن الشجرة يشرب الاغصان وبصلح ويفسد
وانه الملك وساير الاعضاء تبع واركان فاذا صلح
الملك صلح الرعية واذا فسد فسدت الرعية
فاذن صلاح العين واللسان والبطن وغيره دليل
على صلاح القلب وعمرانه فاذا رايت فيه خللا
وفسادا فاعلم ان ذلك من خلل القلب وفساد وقع
ثم بل الفساد فيه اكثر فاصرف عنايتك اليه اكثر
فاصلحه يصلح الكل مرة فتستريح ثم امره دقيق
عسير اذ هو مبني على الخواطر وهي ليست تحت
يدك والامتناع من اتباعها يحوج طاعتك نفسه
اقبح المشقة ولهذا المعنى صار اصلاحه اشد على اهل

الاجتهاد والاهتمام بامره اكثر عند ذوي البصاير
وعن ابي يزيد انه قال عالجت قلبي عشرا ولساني عشرا
ونفسي عشرا وكان قلبي اصعب الثلاثة فهذه
هذه ثم عليك بالاهتمام بالخصال الاربع التي ذكرناها قف
من الامل والعجلة في الامور والحسد والكبر وانما
خصصنا هذه الاربعة من بين ساير الخصال في هذه
المواضع وخصصنا بالاحتراز منها لانها على القرا
خاصة اذ هي تعتري ساير الناس عموما والقرا
خصوصا فيكون اقبح واشنع ترى الرجل القاري
بطول الامل ويعد نية خير فيوقعه في الكسل
والتواني في العمل وتراه يستعجل في تحصيل منازل
الخير فينقطع عنها او في اجابة دعاء صالح فيحرم ذلك
او في الدعاء على احد بسوء فيندم على ذلك كما ذكر
عن نوح عليه السلام وتراه يحسد نظراه على ما
اتاهم الله من فضله حتى ربما يبلغ منه ذلك مبلغا
يحمله على قبايح وفضايح لا يقدم عليها فاسق ولا فاجر

ولهذا قال سفين الثوري رحمه الله ما اخاف على ديني
الا القرا والعلما فاستنكروا ذلك منه فقال
ما انا قلته انما قاله ابرهيم النخعي وعن عطا قال لي
الثوري احذروا القراء احذروني معهم فلو خالفت
اخاهم في رمانة فاقول انها حلوة ويقول انها
حامضة ما امنت ان يسعى بدمي الى سلطان جاير
وعن مالك بن دينار اني اقبل شهادة القراء على جميع
الخلق ولا اقبل شهادة بعضهم على بعض لاني وجدتهم
حسادا وعن الفضيل انه قال لابنه اشتر لي
دارا بعيدة عن القراء مالي وللقرا ان ظهرت مني زلة
يقتلوني وان ظهرت علي نعمة حسدوني ولذلك تراه
يتكبر على الناس ويستخف منهم مصعرا لخده معبسا
وجهه كانما يمن على الناس بما يصلي زيادة ركعتين
كانما جاءه من الله تعالى منشور من الجنة والبراءة
من النار وكانه استيقن السعادة لنفسه والشقاوة
لساير الناس ثم مع ذلك يلبس لباس المتواضعين من

شهادة القرا بعضهم على بعض [?]

صوف وغيره ويتماوت وهذا لا يضاهي الترفع والتكبر
ولا يلايمه بل يناقضه ولكن الاعمى لا يبصر ذلك ان
فرقد السبخي دخل على الحسن وعليه كساء وعلى الحسن
حلة فجعل يلمسها فقال الحسن ما لك تنظر الى ثيابي ثياب
اهل الجنة وثيابك ثياب اهل النار بلغني ان اكثر اهل النار
اصحاب الاكسية ثم قال الحسن جعلوا الزهد في ثيابهم
والكبر في صدورهم والذي يحلف به لاحدكم
بكسائه اعظم كبرا من صاحب المطرف بمطرفه
والى هذا المعنى يشير ذو النون حيث قال

تصوف فادعى بالصوف جهلا ... وبعض الناس يلبسه مجانه
يريك مهانة ويريك كبرا ... وليس الكبر من شكل المهانة
تصوف كي يقال له امين ... وما يعني تصوفه الامانة
ولم يرد الاله به ولكن ... اراد به الطريق الى الخيانة

فاحذر ايها الرجل من هذه الافات الاربع لا سيما الكبر
فان الثلاثة الاولة مداحض لو زللت فيها الوقعت

في العصيان والكبر مدحض لو وقعت وقعت في
بحار الكفر والطغيان فلا تكن كابليس وفتنته حديث
انه ابى واستكبر وكان من الكافرين والرجوع الى الله
تعالى عز وجل ان تعصيه جميعا بحسن نظره انه جواد كريم
فصل دليله الاثر انك اذا نظرت بعقلك ايها بلغ
الرجل تعرفت ان الدنيا لا بقا لها وان نفعها لا يفي
بضررها وتعبها من كد البدن وشغل القلب
في الدنيا والعذاب الاليم والحساب الطويل في الاخرة
زهدت في فضولها فلا تاخذ منها الا ما لا بد منه في عبادة
ربك وتدع التنعم والتلذذ الى الجنة دار النعيم المقيم
في جوار رب العالمين الملك القادر الغني الكريم وعلمت
ان الخلق لا وفا لهم وان مؤنتهم اكثر من معونتهم فيما يغنيك
تركت مخالطتهم الا فيما لا بد لك منه تنتفع بخيرهم
وتجتنب ضرهم وتجعل صحبتك لمن لا تخسر في صحبته
ولا تندم على خدمته وتمسك بكتابه وملازمتك اياه خ وامسك
فيكون لك بكل حال وترى منه كل جميل وافضال وتحبه

عليه كل نائبة في الدنيا والاخرة كما قال عيسى ابن
مريم احفظ الله تجده امامك حيثما اتجهت وعلمت
ان الشيطان خبيث قد تجرد لمعاداتك فا
بربك القادر القاهر هذا الكلب اللعين ولا
تغفل عن مكايده ومصايده تطرده بذكر الله تعالى
ولا تبال بذلك فانه يتبين اذا ظهرت عزيمة اللذين
الرجال وانه كما قال تعالى انه ليس له سلطان على الذين امنوا
وعلى ربهم يتوكلون ولقد صدق ابو حازم فيما قال
ما الدنيا يا ابليس اما الدنيا فما مضى عني فما بقي لي حرانه
فاماني ولنا الشيطان فوالله لقد اطيع فيما نفع وعصى مما فما
فيما ضر وعلمت جهالة هذه النفس وحملها الى
ما يضرها ويهلكها فنظرت لها رحمة لها
نظر العقلاء العلماء الذين ينظرون في العواقب لا نظر
الجهال والصبيان الذين ينظرون الى الحال ولا يبطنون
لغايلة الاذى ويرقون من مرارة الدواء فالجمتها بلجام
التقوى بان تمنعها عما لا احتياج اليه بالحقيقة من فضول
كلام ونظر تلبيس بخصلة فائدة من طول امل او عجل

أو حسد لمسلم أو تكبر في غير موضع أو أكل لمحض شهوة
وشره وتعطيها ما ليس لها منه بد ولا تخاف منه
ضررا إذ لا ضرورة إلى ذلك قد وسع الله تعالى الأمر
على عباده رحمة وأغناهم عن [illegible] ما شرهم في أمر
دينهم فأي حاجة إلى [illegible] الأمر كما قال بعض
الصالحين إن [illegible] سوى أهون شيء إذا رابني شيء تركته
فإن النفس [illegible] تلين وتتعود ما عودتها وإنه كما قال القائل
فالنفس راغبة إذا رغبتها ° وإذا ترد إلى القليل تقنع

وقال آخر

هي النفس ما حملتها تتحمل ° وقال آخر

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى ° فإن أطمعت تاقت وإلا تسلت

فإذا علمت ما وصفناه كنت من الزاهدين في الدنيا
الراغبين في الآخرة واعلم أن ما سمي باسم الزاهد فقد
سمي بألف اسم ممدوح وكنت من المفردين المنقطعين
إلى الله سبحانه وتعالى الذين هم أهل الأنس وخدم رب
العزة فيكون كما قال القائل

تشاغل قوم بدنياهم ° وقوم تخلوا بمولاهم

فألزمهم باب مرضاته ° وعن سائر الخلق أغناهم

وكنت من المجاهدين في الله تعالى الخواص من عباده الذين
قال فيهم سبحانه إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكنت
من المتقين الذين لهم جنات الدارين [illegible]
أفضل من كثير من الملائكة [illegible] إذ ليس لهم شهوة
يدعوهم إلى قبيح ولا نفس خبيثة وكنت [illegible] قطعت هذه
العقبة الطويلة الشاقة وراءك وتنفذ العوائق
كلها إلى مقصودك ولا يهولنك فإن مع الاستعانة
بالله تعالى والاعتصام به لهين ونسأل الله التوفيق
وهو خير مسؤول أن يمدك وإيانا بحسن توفيقه وعونه
وتيسيره فإنه الكافي لكل هم والاستعانة به في كل
مقصد فبيده الخلق والأمر وهو على كل شيء قدير هذا ما
أوردنا ذكره في هذا الباب ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم والله أعلم

الباب الرابع

في العقبة الرابعة وهي عقبة العوارض

ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله بكف العوارض

الشاغلة عن عبادة الله تعالى فتيسر سبيلها لئلا
تشغلك عن مقصودك وقد ذكرنا انها اربعة احدها
الرزق [illegible] النفس بذلك وانما كفايته بالتوكل
فعليك [illegible] على الله سبحانه وتعالى في موضع الرزق
والحاجة بكل حال وذلك لامرين احدهما للتفرغ للعبادة
فان من لا يتوكل فلا بد من اشتغاله عن عبادة الله
بسبب الحاجة والرزق والمصلحة اما ظاهرا واما باطنا اما
بطلب وكسب بالبدن كعامة الراغبين واما بذكر ووسوسة
بالقلب كالمجتهدين المتعلقين والعبادة تحتاج الى فراغ القلب
والبدن ليحصل حقها والفراغ لا يكون الا للمتوكلين بل ارى
بقول كل من هو ضعيف القلب لا يكاد يطمئن قلبه
الا بشي معلوم فلا يكاد يتم له امر خطير من دنيا واخرة
وكثيرا ما سمعت من شيخي ابي محمد يقول انما الامور
تمشي في العالم لرجلين متوكل او متهور قلت انا وهذا
الكلام جامع في معناه فان المتهور يقصد الامور على قوة
عادة وجراة قلب لا يلتفت الصارف يصرفه
او خاطر يضعفه تجري الامور والمتوكل يقصد الامور

على قوة وبصيرة فكما لا يغتر لطمانينته بوعد الله
شجاعته وتمام ثقته بضمانه فلا يلتفت الى الناس بخوفه
ولا شيطان بوسوسته فيفوز بمقاصده ويظفر بمطالبه
واما المتعلق الضعيف ابدا من نكول او تردد وتحير
يحير [illegible] الحاجة نفسه بما يعود من
صاحبه لا يكاد ينفك عن [illegible] تتقاعد نفسه عن
الامور وانقطعت همته فلا يكاد يقصد امرا شريفا
وان قصد فلا يكاد يظفر ولا يتم له ذلك الا ترى اصحاب
الهمم من ابناء الدنيا لم ينالوا مرتبة كبيرة ومنزلة
خطيرة الا بانقطاع قلوبهم عن انفسهم واموالهم واهليهم
اما الملوك فيباشرون الحروب ويكادحون الاعدا
اما هلكا او ملكا حتى يحصل لهم مرتبة الملك وعقد
الولاية وقيل ان معوية لما نظر الى العسكر يوم صفين
قال من اراد خطيرا خاطر بعظيمته واما التجار فيركبون
المهالك برا وبحرا ويطرحون انفسهم في المقاطع شرقا
وغربا ويوطنون انفسهم على احد الامرين اما فوت الارواح
واما حصول الارباح حتى يحصل لهم بذلك كل ربح عظيم

وماله جسيم واما الشوقي الذي ضعف قلبه ورق
عزمه فلا يكاد يقطع القلب عن علاقته من نفسه
وماله [illegible] من بيته الى دكانه طول عمره ولا يصل
الى [illegible] [illegible]يفة كالملوك ولا الى [illegible] كالى الحاطرين
فان نال [illegible] [illegible]وقه رجا على بضاعته [illegible] درهما فذلك له
كثير وذلك لتعلق قلبه [illegible] بشي معلوم [illegible] في ابنا بهما
واما ابناء الاخرة [illegible] [illegible] مالهم [illegible] [illegible]ه التي هي
التوكل وقطع القلب عن العلائق [illegible] لما احلموها وحصلوها
حقها تفرغوا للعبادة [illegible] [illegible] [illegible]نوا من المتفردين عن الخلق
والسياحة في [illegible] الارض واقتحام الفيافي واستيطان الجبال
والشعاب فكانوا اقويا العباد ورجال الدين واحرار الناس
وملوك الارض بالحقيقة يسيرون حيث شاوا ويقصدون
الامور العظام علما وعبادة كما يشاوون لا علاقة لهم ولا
حاجة دونهم فكل الاماكن لهم واحد وكل الازمان عندهم
واحد واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من
سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما في يد الله اوثق
منه بما في يده وعن سليمان الخواص لو ان رجلا توكل على

الله بصدق النية لاحتاج اليه الامرا ومن دونهم
فكيف يحتاج ومولاه الغني الحميد وعن ابرهيم
الخواص قال [illegible] [illegible] [illegible] انا في البادية كان [illegible]
شيبة [illegible] قال [illegible] الى اين قال الى مكة
قلت بلا زاد [illegible] ولا راحلة فقال يا [illegible] ضعيف اليقين
الذي يقدر [illegible] [illegible] السموات والارض يقدر ان
يوصلني الى مكة بلا زاد ولا راحلة فلما دخلت
مكة اذا هو في الطواف يقول
يا نفس سيحي ابدا يا نفس موتي كمدا ولا تحبي الا
الجليل الصمدا فلما راني قال يا شيخ انت بعد على ذلك
الضعف وقال ابو مطيع لحاتم الاصم بلغني انك
تقطع المفاوز بالتوكل من غير زاد قال زادي اربعة
اشيا قال ما هي قال ارى الدنيا والاخرة مملكة لله
تعالى وارى الخلق كلهم عبيد الله عز وجل وارى قضا
الله نافذا في خلقه في جميع ارض الله ولقد صدق من
قال
اريح الزهاد في روح وراحة قلوبهم عن الدنيا مزاحة

اذا ابصرتهم ابصرت قوما تلوك الارض شيمتهم سماحه
والتمام الثاني الذي اقتضى التوكل على الله عز وجل في هذا
الشان الذي فيه ترك الخطر العظيم والامر
الكثير قلت اليس الله تعالى قرن الرزق بالخلق
فقال تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم فدل ان الرزق
من الله عز وجل لا من غيره كالخلق ثم لم يكتف بالدلاله
حتى وعد ذلك عز وجل ان الله هو الرزاق ثم لم يكتف
بالوعد حتى ضمن فقال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ثم لم ١٤ الارض
يكتف بالضمان حتى اقسم فقال فورب السما والارض
انه لحق ثم لم يكتف بذلك كله حتى امر بالتوكل وابلغ
وانذر فقال وتوكل على الحي الذي لا يموت وقال وعلى الله
فتوكلوا ان كنتم مومنين فمن لم يعتبر قوله ولم يكتف
بوعده ولم يطمين لضمانه ولم يقنع بقسمه ثم لم يبال بامره
ووعده ووعيده فانظر ماذا يكون حاله واية محنة
تجي من هذا وهذه والله مصيبة شديدة ونحن منها
في غفلة عظيمة وقال الصادق الامين صلى الله عليه
وسلم لابن عمر كيف انت اذا بقيت في قوم يخبان

في عدم الاهتمام بالرزق

رزق سنتهم لضعف اليقين وعن الحسن لعن الله اقواما
اقسم لهم ربهم فلم يصدقوه وقالت الملايكة عند نزول
هذه الاية فورب السما والارض هلكت بنو ادم
اغضبوا الرب حتى اقسم الرب على ارزاقهم وعن
اويس القرني رضي الله عنه لو عبدت الله عبادة
اهل السما والارض لا يقبل الله منك حتى تصدقه
قيل وكيف تصدقه قال تكون امنا مما تكفل الله عز
وجل من امر رزقك وترى جسدك فارغا لعبادته
ولقد قال هرم بن حيان لاويس ابن تامرني ان اقيم
فاومى بيده الى الشام فقال كيف المعيشة بها قال اف
لهذه القلوب لقد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة
وبلغنا ان شبابا تابوا على يد ابي يزيد البسطامي فسال
ابو يزيد عن حاله قال تلتفت عن القبور فلم ازل
وجوههم الى القبلة الا رجلين فقال ابو يزيد شاكين
اولئك هم الرزق حولت وجوههم عن القبلة وذكر
في بعض اصحابنا انه راى رجلا من اهل الصلاح فسال
عن حاله قال هل سلمت بايمانك قال انما تسلم الايمان
المتوكلين قال الله تعالى ان يصلحنا ولا يواخذنا بما
فعلنا

عن اهله انه ارحم الراحمين فهذه هذه العقبة فان قلت
فاخبرنا ما حقيقة التوكل وحكمه وما يلزم العبد في امر
الرزق فاعلم انما يتبين هذا باربعة فصول بيان
لفظ التوكل وموضعه وحده وحصنه فاما
اللفظ فانما هو التوكل من يتفعل من الوكالة فالتوكل
على احد هو ان يتخذه بمنزلة الوكيل القايم بامره
الضامن لصلاحه الكافي له من غير تكليف
واهتمام فيه جملته واما الموضع فاعلم ان التوكل اسم
يطلق في ثلثة مواضع احدها في موضع القسمة
وهو الثقة بالله تعالى فانه لا يفوتك ما قسم لك
فان حكمه لا يتبدل فهذا واجب بالسمع والثاني
في موضع النصرة وهو الاعتماد والثقة بنصر الله عز
وجل اذا انصرته وجاهدت قال الله تعالى ان تنصروا
الله ينصركم وقال تعالى وكان حقا علينا نصر المومنين
وهذا واجب بالوعد والثالث في موضع الرزق
والحاجة فان الله عز وجل متكفل لك بما يقيم
بنيتك لخدمته ويتمكن به من عبادته قال الله
تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال الصادق الامين

[illegible]

٨١

صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم
كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وهذا
فرض لازم على العبد بدليل السمع والعقل جميعا وهذا
هو الاشهر والاغلب منه اعني التوكل في موضع
الرزق وهو المقصود في هذا الفصل فموضع التوكل هو
الرزق المضمون [illegible] العلم بالله تعالى وانما ينفتح
لك هذا ببيان اقسام الرزق فاعلم ان الرزق اربعة
اقسام مضمون ومقسوم ومملوك وموعود فالمضمون
هو الغذاء وما به قوام البنية دون ساير الاسباب
والضمان من الله تعالى بهذا النوع والتوكل يجب بازايه
بدليل العقل والشرع لان الله تعالى كلفنا خدمته
وطاعته بابداننا وضمن ما يسد خلل البنية لنقوم
بما كلفنا وقال بعض المشايخ الكرامية كلاما استحسنه
على اصله ان ضمان ارزاق العباد واجب في حكمة
الله تعالى لثلثة اسباب احدها انه سيد ونحن العبيد
وعلى السيد كفاية مؤونة العبيد كما ان على العبيد
خدمة السيد والثاني انه خلقهم محتاجين الى الرزق

فقد علم الكرامية في الرزق

ولم يجعل لهم سبيلا الى طلبه اذ لا يدرون ما هو رزقهم
واين هو ومتى هو ليطلبوه بعينه في مكانه وفي
وقته ليصلوا اليه فوجب ان يكفيهم امر
ذلك ويوصلهم اليه والثالث انه كلفهم الخدمة
وطلب الرزق عنها شاغل فوجب ان يكفيهم
المؤنة ليتفرغوا الى الخدمة وهذا كلام من لم
يحط باسرار الربوبية والقايل بان الله عز وجل عليه
واجب تائه وقد اوضحنا الكلام فيه ولنرجع
الى مقصودنا من غرضنا واما الرزق المقسوم فهو ما
قسم الله سبحانه وتعالى وكتبه في اللوح المحفوظ مما
ياكله ويشربه ويلبسه كل واحد بمقدار مقدور
ووقت موقت لا يزيد ولا ينقص ولا يتقدم ولا يتاخر
عما كتب بعينه قال النبي صلى الله عليه وسلم الرزق
مقسوم مفروغ ليس تقوى تقي بزايده ولا فجور فاجر
بناقصه واما المملوك فما يملك كل واحد من اموال
الدنيا الا على حسب ما قدر الله عز وجل قسم له
ان يملكه وهو من رزق الله تعالى قال الله تعالى انفقوا

مما رزقناكم اي مما ملكناكم واما الموعود فهو ما وعد
الله تعالى المتقين من عباده بشرط التقوى حلالا من
غير كد قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب فهذه اقسام الرزق
والتوكل انما يجب بازاء المضمون منها فاعلم واما حد
التوكل فقد قال بعض شيوخنا انه الاتكال اتكال القلب
الى الله تعالى بالانقطاع اليه والاياس عما دونه وقال بعضهم
حفظ القلب مع الله تعالى في موضع المصلحة بترك تعلقه
على شيء دونه وقال الشيخ ابو عمرو التوكل التعلق والتعليق
والتعلق ذكر قوام بنيتك من الله قبل الله تعالى والتعليق
ذكر قوامها عن دون الله تعالى والاقاويل عندي
ترجع الى اصل واحد وهو ان توطن قلبك على قوام بنيتك
وسد رمقك وكفايتك انما هو من عند الله تعالى لا باحد
دون الله ولا بعطاء من الدنيا ولا بسبب من الاسباب ثم
الله تعالى ان شاء سبب لك مخلوقا او حطاما وان شاء كفى
بقدرته دون الاسباب والوسائط واذا ذكرت
ذلك بقلبك وتوطنت عليه وانقطع القلب عن المخلوقين

والاسباب عرة الى الله سبحانه وتعالى فقد حصل التوكل حقه
نهذ لحده واما حصن التوكل الباعث هو ذكر ضمان
الله تعالى وحصن حصنه ذكر جلال الله وكماله في
علمه وقدرته وتنزاهته عن الخلف والسهو والعجز
والنقص فاذا واظب العبد على هذه الاذكار بعثته
على التوكل على الله عز وجل في امر الرزق فان قيل هل يلزم
العبد طلب الرزق بحال ما فاعلم ان الرزق المضمون الذي
هو الغذا والقوام لا يمكننا طلبه اذ هو شي من فعل
الله سبحانه بالعبد كالحيوة والموت لا يقوى العبد على
تحصيله ولا دفعه واما المقسوم من الاسباب فلا
يلزم العبد طلبه اذ لا حاجة للعبد الى ذلك وانما حاجته
الى المضمون وهو من الله عز وجل وفي ضمان الله عز وجل واما
قوله وابتغوا من فضل الله المراد العلم والثواب وقيل بل
هو رخصة اذ هو امر وارد بعد الحظر فيكون
بمعنى الاباحة لا بمعنى الايجاب والالزام فان قيل لكن
هذا الرزق المقسوم اسباب فهل تلزمنا الاسباب قيل
له لا يلزمك ذلك اذ لا حاجة للعبد اليه اذ الله تعالى

يفعل بسبب وبغير سبب فمن اين يلزمنا طلب السبب
ثم ان الله تعالى ضمن كل ضمانا مطلقا من غير شرط الطلب والكسب
قال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ثم كيف
يصح ان يامر العبد بالطلب ما لا يعرف مكانه فيطلبه
اذ لا يعرف اي سبب منها رزقه والذي يتناوله لا غير
والذي يصير سبب غذائه وتربيته لا غير فو احد منا لا (ما الواحد)
يعرف ذلك السبب بعينه من اين يحصل له فلا يصح
تكليفه فتامل راشدا فانه بين ثم حسبك ان الانبيا
صلوات الله عليهم والاوليا المتوكلين لم يطلبوا رزقا في
الاكثر والاعم وتجردوا للعبادة وبالاجماع انهم لم يكونوا
تاركين لامر الله ولا عاصين له في ذلك فتبين لك ان
طلب الرزق واسبابه ليس بامر لازم للعبد فان قيل
هل يزيد الرزق بالطلب وهل ينقص بترك الطلب فكلا
فانه مكتوب في اللوح المحفوظ مقدر موقت ولا تبديل
لحكم الله ولا تغيير لقسمته وكتابه هذا هو الصحيح
عند علمائنا خلاف ما ذهب اليه بعض اصحاب
حاتم وشقيق قالوا ان الرزق لا يزيد ولا ينقص بفعل العبد

ولكن المال يزيد وينقص وهذا فاسد لان الدليل في الموضعين
واحد وهو الكتابة والقسمة واليه الاشارة
بقوله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما
آتاكم ولو كان بالطلب يزيد وبالترك ينقص لكان
للاسى والفرح موضع اذ هو قصر وتوانى حتى فاته او
جد وشمر حتى حصله وقال صلى الله عليه وسلم للسايل
هاك ولو لم تاتها لاتتك فان قيل فالثواب ايضا في اللوح
المحفوظ ثم يلزمنا طلب الثواب وترك موجب العقاب فهل
يزيد بالطلب او ينقص بالترك فاعلم ان طلب الثواب
انما وجب من حيث ان الله امر به امرا حتما
مطاعا واوعد على تركه ولم نضمن الثواب على غير فعل
منا فزيادة الثواب والعقاب بفعل العبد والفرق
بينهما في نكتة واحدة وهي ما قاله بعض علمائنا ان
المكتوب في اللوح قسمان قسم هو مكتوب
مطلقا من غير شرط وتعليق وهو الارزاق والاجال اما
ترى كيف ذكرهما الله تعالى مطلقا غير مشروط قال
الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها

مسالة

وقال فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
وقال صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم اربعة قد فرغ الله
منهن الخلق والخلق والرزق والاجل وقسم مكتوب
بشرط تعلق بشروط بفعل العبد وهو الثواب والعقاب
اما ترى كيف ذكرهما الله تعالى في كتابه معلقا مشروطا
بفعل العبد قال الله تعالى ولو انهم امنوا واتقوا لكفرنا
عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم وهذا بين
فاعلمه فان قيل فنحن نجد الطالبين يجدون الارزاق
والاموال والتاركين يعدمون ويفتقرون قيل له كانك
لا تجد مع ذلك طالبا محروما مفتقرا او تاركا غانما مرزوقا
غنيا بلى ان هذا هو الاكثر لتعلم ان ذلك انما هو تقدير العزيز
العليم وتدبير الملك العظيم وانشد ابو بكر محمد بن الصادق
الصقلي الواعظ بالنشابور شعر

وكم قوي قوي في تقلبه — مهذب الراي عنه الرزق منحرف
وكم ضعيف ضعيف في تقلبه — كانه من خليج البحر يغترف
هذا دليل على ان الاله له في الخلق سر خفي ليس ينكشف

فان قلت فهل تدخل البادية بلا زاد فاعلم انه ان كان

ق

لك قوة القلب بالله عز وجل والثقة البالغة بوعده
تعالى فادخلوا الافكر كالعوام بعلا ينفهم وقد سمعت
الامام ابا المعالي رحمة الله عليه يقول من جرى
مع الله عز وجل على عادة الناس جرى الله معه
على ما هو عادة الناس في كفاية المؤنة وهذا الكلام
حسن جدا الحق وفيه فوايد لمن تامل فان قيل اليس
الله تعالى قال وتزودوا فان خير الزاد التقوى فاعلم ان فيه
قولين احدهما انه زاد الاخرة ولذلك قال خير الزاد
التقوى ولم يقل حطام الدنيا واسبابها والثاني انه كان
قوم لا ياخذون زادا في طريق الحج اتكالا على
الناس ويسألون ويلحون ويؤذون الناس فامر
بالزاد اشارة تنبيه على ان اخذ من مالك خير من اخذ مال
الناس والاتكال عليهم وكذلك نقول فان قلت
فالمتوكل هل يحمل الزاد معه في الاسفار فاعلم انه ربما
يحمل ولا يعلق القلب به بانه لا محالة رزقه وفيه
قوامه انما يعلق القلب بالله عز وجل ويتوكل عليه

شهو

شهو صح

نظر في هذا الكتاب المبارك يونس بن الحاج
بن الحاج سليمان الدوعاني في سنة
خمس سبعمائة غفر الله له وللوالدين
ولجميع المسلمين امين يا رب العالمين
ولد الولد المبارك عمر بن يونس في سنة ... سبعمائة
ولد الولد المبارك يوسف بن يونس
في ... عمر حلوان بن
رمضان المبارك في سنة ثلاث سبعمائة

ويقول ان الرزق مقسوم مفروغ عنه والله تعالى ان
شا اقام بنيتي بهذا او بغيره وربما يحمل بنية اخرى
بان يعين مسلما او نحو ذلك وليس الشان في اخذ
الزاد وتركه انما الشان في القلب ان لا يتعلق
القلب الا بوعد الله عز وجل وحسن كفايته
وضمانه فكم من حامل الزاد وقلبه مع الله دون
الزاد وكم من تارك الزاد وقلبه مع الزاد دون
الله تعالى فالشان اذن في القلب فافهم هذه
الاصول تكف المؤنة ان شاء الله تعالى فان قيل
فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يحمل الزاد وكذلك
الصحابة والسلف رضي الله عنهم فلا جرم ان مباح
ذلك غير حرام وانما الحرام تعلق القلب
بالزاد وترك التوكل على الله عز وجل فافهم ذلك
ثم ما ظنك برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث
قال الله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت أعصاه
في ذلك وعلق قلبه بطعام وشراب او دراهم او
دنانير كلا وحاشا ان يكون ذلك بان كان

قلبه مع الله عز وجل وتوكل عليه كما امره فانه الذي
لم يلتفت الى الدنيا باسرها ولم يمد يده الى مفاتيح
خزائن الارض كلها وانما كان اخذ الزاد منه ومن
السلف الصالح بنيات الخير لا بميل قلوبهم عن الله عز وجل
الى الزاد المعتبر والقصد الذي اعلمناك فانتبه
من رقدتك فان قلت ايهما افضل اخذ الزاد ام
تركه فاعلم ان هذا يختلف باختلاف الحال
ان كان مقتدى به يريك ان اخذ الزاد مباح او
ينوي به عون مسلم او اعانة ملهوف ونحو ذلك
فالاخذ افضل وان كان منفردا قوي القلب بالله
عز وجل مما يشغله الزاد عن عبادة الله تعالى
فالترك افضل فتفهم هذه الجملة واحتفظ راشدا
وبالله التوفيق العارض الثاني في الاخطار
والمخوفات وارادتهما وارتكابهما وقصدها وانما
كفايتهما بالتفويض فعليك بتفويض الامر كله
الى الله عز وجل وذلك لامرين احدهما لطمانينة
القلب في الحال فان الامور اذا كانت خطيرة

صلاحها م

مبهمة لا يدري صاحبها امر فسادها فيكون مضطرب
الحال هائم النفس لا يدري تقع في صلاح او في فساد فاذا
فوضت الامر الى الله تعالى علمت انك لا تقع الا في
صلاح وخير فتكون آمنا من الخطب والخطر لا المخافة مطمئن القلب في الحال وهذه الطمانينة في الامر
والراحة في الوقت غنيمة عظيمة وكان شيخنا
يقول في مجالسه كثيرا دع التدبير الى من خلقك
تسترح وقد انشد في ذلك

ان من كان ليس يدري أفي المحبوب صنع له او المكروه
لجدير بان يفوض ما يعجز عنه الى الذي يكفيه
الاله البر الذي هو بالرافة احنى من امه وابيه

والثاني من الامرين حصول الصلاح والخير في الاستقبال
وذلك لان الامور بالعواقب مبهمة فكم من شر في صورة
خير وكم من نفع في ضر وكم من سم في حلية شهد وانت
الجاهل بالعواقب والاسرار فاذا اردت الامور قطعا
فاخذت منها باختيارك وتحكمك فما اسرع ما تقع في هلاك
ولا تشعر ولقد حكي ان بعض الصالحين كان

والآفة م

يسأل الله تعالى ان يريه ابليس فقيل له سل الله
العافية فابى الا ذلك فاظهره الله تعالى له فلما رآه
العابد قصده بالضرب فقال له ابليس
لولا انك تعيش مائة سنة لاهلكتك وعاقبتك
فاغتر بقوله وقال في نفسه ان عمري بعيد
فافعل ما اريد ثم اتوب فوقع في الفسق وترك العبادة
وهلك فهذا انما يهلك على ترك الحكم في ارادتك
والنجاح في مطلوباتك ويحذرك طول الامل ايضا فانه
الآفة العظيمة ولقد صدق القائل

اياك المطامع والاماني فكم امنية جلبت منية

واذا فوضت الامر الى الله سبحانه وسالته ان يختار
لك ما فيه صلاحك لم تلق الا الخير والسداد ولا
تقع الا على الصلاح قال الله تعالى حكاية عن العبد
الصالح وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد
فوقاه الله سيئات ما مكروا اما ترى كيف اعقب
تفويضه الوقاية من الاسواء والنصر على الاعداء
وبلوغ المراد فتامل موفقا ان كنت لبيبا معي

الوصف التفويض وحكمه فاعلم ان هاهنا فصلين بهما
يتضح الكلام احدهما موضع التفويض والثاني معناه وحده
وضده اما موضعه فاعلم ان المراد ان ثلثة مراد تعلم
يقينا انه فساد وشر لا شك فيه البتة كالنار
والعذاب في الافعال كالكفر والبدعة والمعصية
فلا تميل الى مراد ارادة ذلك والثاني مراد تعلم
قطعا انه خير كالجنة والايمان والسنة ونحو ذلك
فلك ان تريدها بالحكم لا موضع للتفويض فيه اذ لا خطر
فيه ولا شك انه خير وصلاح والثالث مراد لا تعلم
يقينا ان لك فيه صلاحا وفسادا وذلك نحو
النوافل والمباحات فهذا موضع التفويض فليس لك ان
تريدها قطعا بل بالاستثناء وشرط الخير والصلاح
فان تريدها ارادتك بالاستثناء فهو تفويض وان
اردت دون الاستثناء فهو طمع مذموم منهي عنه
فموضع التفويض اذن كل مراد فيه للخطر وهو ان لا
تستيقن صلاحك فيه واما معنى التفويض قال بعض
شيوخنا هو ترك اختيار ما فيه خاطرة الى المختار

في معنى التفويض

المدبر العالم بمصلحة الخلق وعبارة الشيخ ابي محمد
السجزي هو ترك اختيار الخاطرة على المختار ليختار
لك ما هو خير لك وقال الشيخ ابو عمرو هو ترك الطمع
والطمع ارادة الشي الخاطر بالحكم فهذه عبارات
المشايخ والذي نقوله ان التفويض ارادة ان يحفظ الله
عليك مصالحك فيما لا تأمن فيه الخطر وضد التفويض
الطمع والطمع في الجملة يجري على وجهين احدهما في
معنى الرجا بان يريد شيا لا خطر فيه او بخاطرة بالاستثناء
وذلك ممدوح غير مذموم كما قال تعالى والذي اطمع ان
يغفر لي خطيئتي يوم الدين انا نطمع ان يغفر لنا ربنا
خطايانا وهذا القسم ليس مما نحن فيه بسبيل هنا
والثاني طمع مذموم قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم
والطمع فانه فقر حاضر وقيل هلاك الدين وفساده
الطمع وملاكه الورع قال شيخنا الطمع المذموم
شيان ان يكون القلب الى منفعة مشكوكة والثاني

ارادة الشيء مخاطرة بالحكم وهو الارادة تقابل التفويض
لا غير فتعلم ذلك وان محض التفويض فهو ذكر الامور
وامكان الهلاك والفساد فيهما وحصن حصنه ذكر
عجزك عن الاحتصار عن ضروب الخطر والامتناع عن الوقوع
فيهما لجهلك وغفلتك وضعفك والمواظبة على هذين
الذكرين تحملك على تفويض الامور كلها الى الله تعالى
والتحفظ عن الحكم فيهما والامتناع عن ارادتهما الا بشرط
الخير والصلاح فيهما فهذه هذه وبالله التوفيق فان قيل
وما هذا الخطر الذي توجب التفويض لاجله
في الامور فاعلم ان الخطر في الجملة خطران خطر الشك
وانه يكون اولا يكون وانك تصل اليه اولا
تصل اليه وهذا يحتاج الى الاستثناء وتقع في باب
التمني والامل والثاني خطر الفساد بان لا تستيقن
فيه الصلاح لنفسك وهذا الذي يحتاج فيه الى التفويض
ثم اختلف عبارات الائمة في الخطر فقال بعضهم
ان الخطر في الفعل هو ان يكون دونه نجاة ويمكن
ان يجامعه ذنب فالايمان والسنة والانتقام

لا يجامعهما ذنب فاذن يصح ارادة الايمان والسنة
والانتقام بالحكم وقال الاستاذ الخطر في الفعل
ما يمكن ان يعترض فيه ما يكون الاشتغال
بالعوارض اولى من الاقدام على ذلك الفعل وذلك يقع في
المباحات والسنن والفرائض الا ترى ان من يقف
عليه وقت الصلوة وقصد اداها فعرض له
حريق او غريق يمكنه الاشتغال بانقاذه كان اولى
من الاشتغال على صلوته فلا يصح اذن ارادة المباحات
والنوافل وكثير من الفرائض بالحكم فان قيل كيف
يصح ان يفترض على عباده شيئا ويوعدهم على تركه
ثم لا يكون لهم صلاح في فعله فاعلم ان شيخنا قال
ان الله عز وجل لا يامر العبد بشيء الا وفيه صلاحه
اذا تجرد عن العوارض ولا يضمن غلبته فعلا ترضا
يجيب لا يعدل لمعرفة ذلك الا دله فيه صلاح وانه ربما
يتسبب له عذر لاجله يكون العدول عن المامورين
اولى من الاشتغال بالاخر كما ذكرنا فيكون العبد

في ذلك معذورا بل مأجورا الا بترك هذا الغرض بل
يفعل الذي هو اولى ولقد سمعت الامام يقول
ان الذي افترض الله تعالى على عباده من الصلوة
والصوم والحج ونحوه فيهما صلاح العبد لا محالة
وصحف ارادتهما بالحكم قال فاتفق علماؤنا على ذلك
نبقي المباحات والنوافل ادرنا في هذا الحكم فاعلم
ذلك فانه من غوامض الباب وبالله التوفيق فان قيل
هل يامن المفوض الهلاك والفساد والدار دار محنة
فلنعلم ان في الاغلب لا يفعل بالمفوض الا الصلاح وقد
يفعل به في النادر غير الصلاح ولذلك زعم الخذلة نفع
عن منزلة التفويض ولا صلاح للعبد في الخذلان
والوقوع عن منزلة التفويض وبه قال الشيخ ابو عمرو
وقيل لا يفعل بالمفوض الا ما فيه صلاحه فيما فوض
الى الله سبحانه والخذلان والقصور عن منزلة التفويض
مما لا ينفع فيه التفويض اذ لا شك في فساد ذلك
والتفويض انما ينفع فيما يشك في فساده وصلاحه

وهذا اولى القولين عند شيخنا اذ لولا ذلك لما قويت
الباعثة على التفويض فان قيل فهل يجب ان يفعل
بالمفوض ما هو الافضل فاعلم ان الايجاب مستحيل في
حق الله سبحانه فلا يجب لعباده عليه شي وقد
يفعل بالعبد الاصلح دون الافضل حكمة منه فعله
صح الا ترى قد قدر للنبي صلى الله عليه وسلم ولاصحابه ان
ناموا طول الليل الى طلوع الشمس في بعض الاسفار
حتى فاتتهم الصلوة الليل وصلوة الفجر والصلوة
افضل من النوم وربما يقدر للعبد الغنى والنعمة في الدنيا
وان كان الفقر افضل ويقدر له الاشتغال بالازواج
والاولاد وان كان التجرد لعبادة الله عز وجل
افضل فانه هو بعباده خبير بصير وهذا كما ان الطبيب
الحاذق الناصح يختار للمريض ماء الشعير وان كان
ماء السكر افضل وانفس لكن لما علم ان صلاح علته
في ماء الشعير والمقصود للعبد النجاة من الهلاك لا
الفضل والشرف مع الفساد والهلاك فان قيل هل يكون

ان الصحيح عند علمائنا انه يكون مختلا

المفوض مختارا فالحكم لا يقدح في تفويضه ذلك لان
المعنى فيه اذا كان له صلاح في المفضول والافضل
فهو يريد من الله تعالى ان يسبب له الافضل كما
ان المفوض المريض يقول للطبيب اجعل دواي ما
السكر دون ما الشعير اذا كان لي صلاح
في كليهما ليحصل لي الفضل والصلاح جميعا فكذلك
دوا العبد اذا سال الله تعالى ان يجعل صلاحه فيما
هو الافضل ويسبب له ذلك ليجمع لي الفضل والصلاح
جميعا ولكن بشرط انه ان اختار الله تعالى له الصلاح
في غير الافضل ان يكون راضيا بذلك فان قيل
فلماذا كان للعبد ان يختار الافضل وليس له ان
يختار الاصلح فاعلم ان الفرق بينهما ظاهر وهو ان
العبد يعرف الافضل من المفضول ولا يعرف الصلاح
من الفساد لبريده بالحكم ثم معنى اختياره الافضل
ان يريد من الله تعالى ان يجعل صلاحه فيما هو
الافضل ويختار له ذلك ويقدره لا ان للعبد تحكما
في شي من ذلك فاعلم فهذه جملة مرد فافي هذا العلم

واسراره ولولا ان الحاجة ماسة اليه لما تعرضنا
لايراده لانه يلاطم بحار علوم المكاشفة مع اني
اقتصرت على النكتة المقنعة في هذا الكتاب
وقصدت الايضاح لينتفع به فحول العلماء والمبتدئون
ان شا الله تعالى العارض الثالث
القضاء وورود انواعه وانما كفايته في الرضا فعليك
ان ترضى بقضاء الله عز وجل وذلك لامرين احدهما التفرغ
للعبادة لانك اذا لم ترض بالقضاء فتكون مهموما
مشغول القلب ابدا تابها لما ذا كان كذا ولما لا يكون
كذا فاذا اشتغل القلب بمثل هذه الهموم فكيف
تتفرغ للعبادة اذ ليس له الا قلب واحد وقد ملاه
من الهموم وما كان من امر الاشيا وما يكون فيها فاي
موضع يبقى فيه لذكر العبادة وذكر الاخرة ولقد
قال شقيق ان حسرة الامور الماضية وتدبير الاتية
قد ذهب ببركة ساعتك هذه والثاني من الامرين
خطرها في السخط من غضب الله تعالى ولقد روينا

بشي

خ صدق

قف

في الاخبار ان نبيا من الانبياء شكى بعض ما ناله من المكروه
الى الله عز وجل فاوحى الله تعالى اليه اتشكوني ولست
باهل ذم ولا شكوى هكذا بدو شانك في علم الغيب
فبم تسخط قضائي اتريد ان اغير الدنيا لاجلك او ابدل
اللوح المحفوظ بسببك فاقضي ما تريد دون ما اريد
ويكون ما تحب دون ما احب فبعزتي حلفت
لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى لاسلبنك ثوب
النبوة ولاوردنك النار ولا ابالي قلت فليسمع
العاقل هذه السياسة العظيمة والوعيد الهائل مع
انبيائه واصفيائه فكيف مع غيرهم ثم استمع قوله تعالى
ان تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى فهو امر حديث
النفس وتردد القلب فكيف من يصرخ ويستغيث
ويشكو وينادي الويل والصراخ من ربه الكريم المحسن
على رؤوس الملا ويتخذ له اعوانا واصحابا وهذا لمن
سخط مرة فكيف بمن هو السخط على الله عز
وجل جميع عمره وهذا لمن شكا اليه فكيف بمن شكى

فلم

في

الى غيره نعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات
اعمالنا ونساله ان يعفو عنا ويغفر لنا سوادينا ويصلحنا
بحسن نظره انه ارحم الراحمين فان قيل فما معنى
الرضاء بالقضا وحقيقة ذلك فاعلم ان علماءنا قالوا الرضا
ترك السخط والسخط ذكر غير الذي قضى الله سبحانه بانه
اولى به واصلح له فيما لا نستيقن فساده وصلاحه
هذا شرطه فاعلم ذلك فان قلت اليس الشرور
والمعاصي بقضاء الله وقدره فكيف يرضى العبد الشر
ويلزمه ذلك فاعلم ان الرضا انما يلزم بالقضاء وقضا الشر
ليس بشر وانما الشر هو المقضي فلا يكون رضا
بالشر وقد قال شيخنا شيوخنا رحمهم الله المقتضيات
اربع نعمة وشدة وخير وشر فالنعمة يجب الرضا فيها
بالقاضي والقضا والمقضي وعليه الشكر من حيث انها
نعمة والشدة يجب فيها الرضا بالقاضي والقضا والمقضي ويجب
عليه الصبر من حيث انه شدة والخير يجب فيه
الرضا بالقضاء والقاضي والمقضي عليه وعليه ذكر

في على ال
بالقضا

المنة من حيث انه وفقه له والشر يجب عليه
الرضا بالقضاء والقاضي والمقضي من حيث انه مقضي
لا من حيث انه شر وكونه مقضيا يرجع الى القضا
والقاضي بالحقيقة وهذا كما انك ترضى بمذهب المخالف
ان يكون معلوما لك لا ان يكون مذهبا لك ثم كونه
معلوما يرجع الى العلم فالرضا والمحبة انما يكون بالحقيقة
للعلم بمذهب المخالف لا لمذهبه فكذلك المقضي بالشر
فان قلت فالراضي هل يكون مستزيدا قيل لك نعم
بشرط الخير والصلاح لدعوى الحكم فلا يخرجه ذلك عن
الرضا بل يدل على الرضا فهو اولى لان من اعجبه شيء ورضي
ذلك استزاد منه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
حضر اللبن يقول اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وفي وارزقنا
غيره يقول وزدنا خيرا منه وفي موضع من [illegible] ضعفين
لم يدل على انه غير راض بما قدر الله تعالى له فان قلت فلم
يذكر النبي صلى الله عليه وسلم الاستثنا بشرط الخير
والصلاح فاعلم ان هذه الامور انما يكون بالقلب انما اللسان
عبارة عن ذلك فلا يعتبر بترك عبارته مع حصوله بالقلب

الشدايد والمصايب

فاعلم ذلك العارض الرابع
وانما كفايتها بالصبر فعليك بالصبر في المواطن وانما ذلك
لامرين احدهما الوصول الى العبادة وحصول المقصود منها
فان مبنى امر العبادة كله على الصبر واحتمال المشقات
فمن لم يكن صبورا لم يصل الى شيء منها بالحقيقة ومن ذلك ان
من قصد عبادة الله وتجرد لها فقد استقبلته شدايد
ومحنة ومصايب من وجوه احدها انه لا عبادة الا وفي
نفسها مشقة وكذلك كل هذا الترغيب فيه ووعد
الثواب عليه اذ لا يتاتى فعل العبادة الا بقمع الهوى وحض
النفس اذ هي زاجرة عن الخير والرشد ومخالفة الهوى
وقهر النفس من اشد الامور على الانسان وثانيها ان العبد
اذا فعل الخير مع المشقة لزمه الاحتياط له حتى لا يفسد عليه
والابقا على العمل اشد من العمل وثالثها ان الدار دار محنة فمن
كان فيها فلا بد من الابتلاء بشدايدها ومصايبها وذلك
علة اتستملها من المصيبة في الاهل والقرابات والاخوان من
والاصحاب بالموت والفقد والفراق وفي النفس بانواع المحن

والاوجاع وفي العرض بقال الناس اياه والطعن فيه والازدرا
به والغيبة والكذب عليه وفي المال بالذهاب
والزوال ولكل واحد من هذه المصايب لذعة وحرقة
من نوع غير نوع الاخر فيحتاج الى الصبر عليهما كليهما والا
فيمنعه الجزع والتلهف من التفرغ للعبادة وربما ان
طالب الاخرة اشد ابتلاء واكثر محنة ابدا ومن كان
الى الله اقرب فالمصايب له في الدنيا اكثر والبلا عليه
اشد الا ترى قوله صلى الله عليه وسلم اشد الناس
بلاء الانبيا ثم الاوليا ثم العلما ثم الامثل فالامثل فاذن من قصد
الخير وتجرد لطريق الاخرة استقبلته هذه المحن
فاذا لم يصبر عليها ولا يكون بحيث لا يلتفت اليها انقطع
عن الطريق واشتغل عن العبادة فلا يصل الى شي من ذلك
ولقد اعلمنا الله سبحانه بالتقاء الحزن والمصايب والابتلا بنا
بما اخفى ذكره واكده قال تعالى لتبلون في اموالكم
وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
ومن الذين اشركوا اذى كثيرا ثم قال وان تصبروا
وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وكانه يقول

من كان الى الله اقرب فالمصايب له في الدنيا اكثر

وطنوا انفسكم على انه لابد لكم من انواع البلاء فان تصبروا
فانتم الرجال وعزايمكم عزايم الرجال فاذن من عزم
على عبادة الله تعالى تجب اولا ان يعزم على الصبر
الطويل ويوطن نفسه على احتمال المشاق العظيمة
المتواليه الى الموت والا فقد قصد الامر بغير التته
واتاه من غير جهته ولقد ذكر ذكر عن الفضيل قال
من عزم على قطع طريق الاخرة فليجعل في نفسه
اربعة الوان من الموت الابيض والاحمر والاسود
والاخضر فالموت الابيض الجوع والاسود ذم الناس
والاحمر مخالفة النفس الشيطان والاخضر الرقاع
بعضها على بعض والثاني من الامر ان بما في الصبر من
خير الدنيا والاخرة فمن ذلك النجاة والنجاح قوله
تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب اي ومن يتق الله بالصبر يجعل
له مخرجا من الشدايد ومنها الظفر بالاعداء قال الله
تعالى فاخبر ان العاقبة للمتقين ومنها الظفر
بالمراد قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على

فما على الموت [illegible]

فی

بني اسرائيل بما صبروا وقيل كتب يوسف في جواب
يعقوب عليهما السلام ان آباءك صبروا فظفروا فاصبر كما صبروا
تظفر كما ظفروا وفي هذا المعنى قال الشاعر
لا تيأسن وان طالت مطالبه اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
اخلق بذي ان يحظى بحاجته ومدمن القرع للابواب ان يلجا
ومنها التقدم على الناس والامامة قال الله تعالى وجعلناهم
ائمة يهدون بامرنا لما صبروا ومنها ثناء الله تعالى قال الله
تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب ومنها
البشارة والصلوة والرحمة قال الله تعالى وبشر الصابرين
الى قوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ومنها
المحبة من الله تعالى قال الله تعالى ان الله يحب الصابرين
ومنها الدرجات العلى في الجنة قال الله تعالى اولئك
يجزون الغرفة بما صبروا ومنها الكرامة العظيمة
قال الله تعالى سلام عليكم بما صبرتم ومنها ثواب
بلا غاية ولا نهاية خارج عن اوهام الخلق وعدهم
وتحصيلهم قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير
حساب فسبحانه من سيد مبجل ما اكرمه وكل هذه

الكرامات في الدنيا والآخرة بعضها لحلي ثلثة فبان
لك ان خير الدنيا والآخرة في الصبر قال النبي صلى الله عليه
وسلم ما اعطى احد من عطاء خيرا من الصبر
وعن عمر رضي الله عنه جميع خير المؤمن في صبر ساعة
واحدة ولقد احسن القائل حيث يقول
الصبر مفتاح ما يرجى وكل خير به يكون
اصبر وان طالت الليالي فربما امكن الحرون
وربما نيل باصطبار ما قيل هيهات لا يكون وعن بعضهم
صبرت وكان الصبر مني سجية وحسبك ان الله اثنى على الصبر
فعليك باعتبار هذه الخصلة الشريفة وبذل المجهود
فيها تكن من الفائزين فان قلت فما حقيقة الصبر
وحكمه فاعلم ان لفظ الصبر من طريق اللغة الحبس
قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم اي
احبس نفسك معهم وانما يوصف الله تعالى بالصبر
على معنى حبس العذاب عن المؤمنين فلا يعجلهم ثم
المعنى الذي من مساعي القلب سمي صبرا لانه حبس النفس

باغتنام

عن الجوع والجزع فيما قال العلماء ذكر اضطرار الى الشدة
وقيل بل ارادة الخروج عن الشدة بالحكم والصبر تركه وحصن
الصبر ذكر مقدار الشدة ووقتها وانها لا تزيد ولا تنقص ولا
تتاخر ولا تتقدم ولا فايدة في الجزع بل فيه الضرر والخطر
وحصن هذا الحصن ذكر عوض الله تعالى عليه وكريم
الاجر في ذلك لديه فهذه هذه فصل
فعليك بقطع هذه العقبة الشديدة المنيعة بدفع
هذه العوارض الاربعة وازاحة علتها لئلا تدعك (خ عللها)
تذكر فذلك مقصود كل من العبادة وتتفكر فيها فضلا عن
ان تدركها وتحصلها وان لكل واحد منها شغلا اشغالا
عاجلا واجلا ثم ان اعظمها واعضلها امر الرزق
وتدبيره فانه البلية الكبرى لعامة الخلق
اتعب نفوسهم وشغلت قلوبهم واكثرت همومهم
وغمومهم وضيعت اعمارهم واعظمت تبعتهم واوزارهم
وعدلت بهم عن باب الله عز وجل وخدمته الى خدمة
الدنيا وخدمة المخلوقين فعاشوا في الدنيا في ظلمة
في غفلة وتعب ونصب ومهانة وعلاء وذل وقدموا

الاخرة فقاليس بين ايديهم الحساب والعذاب ان لم
يرحم الله بفضله فانظر كم آية انزل الله تعالى في
ذلك وكم ذكر من وعده وضمانه وقسمته في ذلك
ولم يزل الانبياء والعلماء يعظون الناس ويبينون
لهم الطرق ويصنفون لهم الكتب ويضربون
لهم الامثال ويخوفونهم بالله تعالى وهم مع ذلك
لا يهتدون ولا يتقون ولا يطمئنون بل هم في
غمرة من ذلك لا يزالون يخافون ان يفوتهم
غدا او عشاء واصل ذلك كله قلة التدبر لآيات الله
عز وجل وقلة التفكر في صنايع الله وترك التذكير
لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم وترك الاتامل
لاقاويل لا قوال الصالحين مع الاسترسال
لوساوس الشيطان والاصغا الى كلام الجاهلين
والاغترار بعادات الغافلين حتى يمكن الشيطان (بعادات)
منهم ورسخت العادات في قلوبهم فيودي
ذلك الى ضعف القلب وقلة اليقين واما الاخيار
الذين هم اولوا الابصار وارباب الجد والاجتهاد
ابصروا طريق السما فلم يعبأوا باسباب الارض واعتصموا

بحبل الله فلم يكترثوا بعلائق القلب ووثقوا بآيات
الله عز وجل وابصروا طريقة فلم يلتفتوا الى
وساوس الشيطان والخلق والنفس فاذا وسوس
لهم شيطان او نفس او انسان بشي قاموا معه
بالمناقشة والمدافعة والمخالفة حتى الخلق عنهم
وانعزل عنهم الشيطان وانقادت
لهم النفس واستقام لهم الطريق المستقيم على ما ذكر
عن ابرهيم بن ادهم انه لما اراد ان يدخل البادية
اتاه الشيطان يخوفه ان هذه بادية مهلكة ولا
زاد معك ولا سبب فعزم على نفسه ان يقطع البادية
على تجرده ذلك وان لا يقطعها حتى يصلي تحت كل
ميل من اميالها الف ركعة ووفا بما عزم عليه وبقي
في البادية اثني عشر سنة حتى ان الرشيد في بعض
تلك السنين رآه تحت ميل يصلي فقيل هذا ابرهيم
بن ادهم يصلي فاتاه فقال كيف تجدك يا ابا اسحق فانشا
ابرهيم يقول

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع
وعن بعض الصالحين انه كان في بعض البوادي
فوسوس له الشيطان بانك متجرد وهذه بادية
لا عمران فيها ولا ناس فعزم على نفسه بان يمضي على
تجرده وان يترك الطريق حتى لا يقع باحد من الناس
ولا ياكل شيئا حتى يجعل في فيه السمن والعسل
ثم عدل عن الشارع ومر على وجهه قال فسرت
ما شاء الله فاذا بقافلة قد اضلت الطريق وهم
يستبرون فلما ابصرتهم رميت نفسي الى الارض لعلهم
لا يبصروني فيسترهم الله عز وجل حتى وقفوا علي
وغمضت عيني فدنوا مني وقالوا هذا منقطع
غشي عليه من الجوع والعطش فهاتوا عسلا وسمنا
نجعل في فيه لعله يفيق فاتوا بسمن وعسل فشددت
فمي واسناني فاتوا بسكين ليعالجوا فمي فضحكت وفتحت
فمي فلما راوا ذلك قالوا امجنون انت قلت لا والحمد لله

ربي واخبرتهم ببعض ما جرى لي مع الشيطان
وعن بعض مشايخنا قال نزلت في بعض اسفاري مسجدا
ايام التعلم وكنت مجردا على عادة اوليائنا فوسوس
الشيطان ان هذا مسجدا بعيد عن الناس لو صرت
الى مسجد بين الناس لرآك اهله وقاموا بكفايتك
فقلت لا ابيت الا ههنا وعلى عهد الله ان لا اكل
شيا الا الحلوا ولا اكل حتى يوضع في فمي لقمة لقمة وصليت
العتمة واغلقت الباب ثم لما مضى شطر من الليل اذا انا
بانسان يدق الباب ومعه سراج فلما اكثر الدق
فتحت الباب فاذا بعجوز معها شاب وقد دخلت
ووضعت بين يدي طبقا من الخبيص وقالت هذا
الشاب ولدي صنعت له هذا الخبيص وجرى بيننا
كلام فحلف ان لا ياكل حتى ياكل معه رجل غريب
وقالت هذا الغريب الذي في المسجد فكل رحمك
الله واخذت تضع في فمي لقمة وفي فم ولدها لقمة
فحمدت الله وامثالهما من نحو هذا في الصالحين ومنامهما تهم
الشيطان فان لك في ذلك فوايد ثلاثة احدها ان

وفه و النفس

تعلم ان الرزق لا يفوتك من قدر له الحال والثانية
ان تعلم ان امر الرزق والتوكل لهم جدا وان للشيطان
فيه غوايل ووساوس عظيمة حتى ان مثل اولئك
الائمة الزهاد لم يتخلصوا من ذلك ولم ييأس عنهم
الشيطان بعد طول الملك الرياضات وكثرة
المجاهدات التي سبقت لهم حتى يحتاجوا الى دفعه
بهذه المناقضات ولعمري ان من جاهد النفس
والشيطان سبعين سنة لا بأس ان يوسوس له
كما يوسوس لمبتدي في العبادة بل الغافل لم
يجتهد ساعة في الرياضة ولو ظفر به لفضحه
واهلكه فهلك الغافلين المغترين وفي ذلك عبرة
لاولي الابصار والثالثة ان تعلم ان الامر لا يتم
الا بالجد المحض والمجاهدة البالغة فانهم كانوا
لحما ودما وبدنا وروحا مثلك بل كانوا اضعف
ابدانا واضعف اركانا وارق عظاما منك ولكن
كانت لهم قوة العلم ونور اليقين رحمهم الله الذي
حتى قووا على مثل تلك المجاهدات نحو تلك المعاملات

فانظر لنفسك رحمك الله وايانا وداوها من هذا الداء
المعضل لعلك تفلح ان شاء الله فصل
ثم اعلم بعد هذه الجملة اني اجد كذلك نكتتين
اذا وجدتهما تمكنت في القلب اذا تذكرتهما
وتكفيك مؤنة هذا الباب وتدع كل حيلة ومحنة من
الخلق ان تاملتهما وعملت بهما والله الموفق الاولى
ان تعلم ان الله عز وجل ضمن الرزق لعباده في كتابه
فقد ضمن رزقك وتكفل لك به فما تقول لو وعدك
ملك من ملوك الدنيا انه يضيفك الليلة ويعشيك
وانت حسن الظن به انه صادق ولا يكذب ولا
يخلف الوعد بل لو وعدك بذلك سوقي او يهودي
او نصراني او مجوسي عندك مستور بظاهره
غني في معاملته الستة تثق بوعده وتطمئن
بقوله ولا تهتم بعشائك تلك الليلة اتكالا عليه فما
لك وقد وعدك الله سبحانه وتعالى وضمن لك رزقك
وتكفل به بل اقسم عليه في غير موضع وانت لا
تطمئن بوعده ولا تسكن الى قوله وضمانه كلا

تنظر الى قسمه بل يضطرب قلبك ويهتم فيا لها من
فضيحة لو رأيت ويا لها من مصيبة لو علمت وعن
علي بن ابي طالب عليه السلم انه قال اتطلب
رزق الله من عند غيره فما وتصبح من خوف العواقب امنا
وترضى بصراف ان كان مشركا ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا
فلهذا المعنى يجر هذا الامر الى الشك والشبهة
ويخاف على صاحبه والعياذ بالله سلب المعرفة
واليقين ولهذا قال سبحانه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مومنين وعلى الله فليتوكل المومنون فحسب المومن
المهتم لامر دينه هذه النكتة الواحدة ولا
حول ولا قوة الا بالله الثانية انك تعلم ان الرزق
مقسوم صح ذلك في كتاب الله عز وجل واخبار رسوله
الصادق صلى الله عليه وسلم وتعلم ان قسمته لا
تتغير ولا تتبدل فان اتهمت القسمة او جوزت نقصانها
فذلك باب الكفر تفرعه نعوذ بالله وان علمت
انه حق لا تتغير فاي فايدة في الاهتمام والطلب
الا الذل والهوان في الدنيا والشقاوة والخسران

مكتوب

في الآخرة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم على ظهر الحوت
والهوى رزق فلان بن فلان فلا يزداد الحرص الا جهدا
ولذلك يقول شيخنا ان ما قدر لك لما ضغك ان تمضغاه
فلا يمضغه غيرك فكل رزقك وتحمل بالعز ولا تاكله
بالذل وهذه نكتة مقنعة للرجال الثالثة ما
سمعت من شيخي الامام يحكي عن الاستاذ انه كان
يقول انما نفعني في امر الرزق اني تذكرت وقلت
لنفسي اليس هذا الرزق للحيوة والعيش والميت
ما يصنع بالرزق فاذا كان حيوة العبد في خزانة
الله تعالى وبيده ان شا يعطيني وان شا يمنعني وهو
غيب عني موكول الى الله تعالى يدبره كيف يشا
فانا ساكن النفس بذلك وهذه نكتة لطيفة
مقنعة لاهل التحقيق الرابعة ما ذكرنا في هذا الفصل
ان الله تعالى ضمن رزق العبد ولم يضمن الا الرزق
الموعود الذي هو الغذا والتربية وفيه
القوام والعلة واما الاسباب من الطعام والشراب
فالعبد اذا تجرد لعبادة الله تعالى وتوكل على الله

عز وجل فربما يحبس عنه الاسباب فلا يعبا
لذلك ولا يضجر لما علم من حقيقة الامر ان الضمان
لقوام البنية والتوكل على الله عز وجل انما هو
في هذا المعنى لا غير والمنتظر من الله عز وجل فان
الله عز وجل لا محالة يمده بالقوة ليقوم بحق العبادة
والخدمة ما دام له اجل يكفيه وتكليف
بالعبادة وهذا هو المقصود والله تعالى قادر على ما
يشا ان شا اقام بنية عبده بطعام وشراب او بطين
وتراب او بتسبيح وتهليل كالملايكة وان شا بغير
هذا كله فليس مطلوب العبد الا القوام والقوة
للعبادة ليس الاكل والشرب وشدة الشهوة ونيل
اللذة فلا اعتبار بالاسباب اذن ولهذا المعنى قوين
الزهاد والعباد على الاسفار وطي الايام والليالي فمنهم
من لم ياكل عشرة ايام ومنهم من لم ياكل شهرا وشهرين
وهو على قوته ومنهم من يستف الرمل فيجعله غذا
نحو ما ذكر عن الثوري رحمة الله انه تعذر نفقته
عليه فمكث خمسة عشر يوما يستف الرمل وقال ابو

معويه رايت ابرهيم بن ادهم ياكل الطين عشرين يوما
عن الاعمش قال قال لي ابرهيم التيمي ما اكلت منذ شهر
قلت منذ شهر قال ولا شهرين الا ان انسانا ناشدني
على عنقود من عنب فاكلته فانا اشتكي بطني قلت انا
ولا تعجب من ذلك فان الله تعالى القدرة على ما يشاء هذا
مريض تراه لا ياكل شهرا وهو حي يعيش والمريض على
كل حال اضعف نفسا وارق طبعا من القوي واما الذي
يموت جوعا فذلك اجل الحضرة كالذي يموت شبعا
ولقد بلغني عن ابي سعيد الخراز انه قال كان حالي
مع الله ان يطعمني في ثلثة ايام فدخلت البادية
فمضت علي ثلثة ايام ما طعمت فلما كان اليوم
الرابع وجدت ضعفا فجلست مكاني فاذا بهاتف
يقول يا ابا سعيد ايما احب اليك سبب او قوة
قلت القوة القوى فقمت من وقتي ذلك فاستقللت ما
ثمت اثني عشر يوما ما طعمت ولا وجدت الما
لذلك فاما اذا راى العبد احتباس الاسباب عنه
وعلم من نفسه التوكل على الله عز وجل فليستيقن
ان الله تعالى يمده بالقوة فلا يضجرن لذلك بل احفه

ان شكر الله تعالى على ذلك شكرا كثيرا فان
له المنة والصنع واللطف اذ رفع عنه المونة
واعطاه المعرفة وحصل له الاصل والمقصود ودفع
عنه الثقل والواسطه وخرق له علايق العادة
واراه طريق القدرة وان شبه حاله بحال الملايكة
ورفعه عن حال البهايم والعامة في تلك الكرامة
فتامل هذا الاصل الكبير تغتنم الربح العظيم ان شا
الله تعالى قلت ايضا ولعلك ان تقول انك اطنبت
في هذا الاصل خلاف شرط الكتاب فاقول لعمر الله
انه لقليل في جنب ما يحتاج اليه في المعنى اذ هو اهم
شان في العبادة بل عليه مدار امر الدين والدنيا
والعبودية فمن له همة في هذا الشان فليتمسك
بذلك وليراعه حقه والا هو عن المقصود بمعزل والذي
يدلك على تصيرة علما الاخرة العارفين بالله عز وجل
انهم بنوا امرهم على التوكل على الله والتفرغ لعبادته
وقطع العلايق كلها فلم صنفوا من كتاب وكم
ادخروا بوصية وقبض الله لهم اعوانا من السادة

واصحابا يتمشى لهم الخير المحض ما لم ننمش لطايفة من طوايف
الائمة الازهاد الكرامية على اصول غير مستقيمة
وما زلنا اعزة ما دمنا على منهاج ايمتنا نخرج عن معابدنا
ومدارسنا كل خير اما امام في العلم كالاستاذ ابي
اسحق وابي حامد وابي الطيب وابن فورك من شيخنا
الامام وامثالهم من السادة واما صديق في العبادة كابي
اسحق الشيرازي وابي سعد الصوفي المقدسي
وغيرهم ممن فاق الائمة علما وزهدا حتى صعبت القلوب
وتلطخنا بشي من العلائق التي ضررها اكثر من نفعها
وتزلجت الامور وتقاعدت الهمم وطارت البركات وزالت
اللذات والحلاوات فلا يكاد يصفو لاحد عبادة
وتحصل لهم علم وحقيقة وان اللمعة التي تظهر منا الان
لبينت مما بقي على منهاج اسلافنا وشيوخنا المتقدمين
كالحارث المحاسبي ومحمد ومحمد بن ادريس الشافعي رضي الله
عنهما والمزني وحرملة وغيرهم من ايمة الدين رضي الله
عنهم فهم كما قيل
فما صحبوا الايام الا تعففا
وما وجدوا من حب بعدهم ابدا

افاضل صديقين اهل ولاية الى سيد السادات فقد جعلوا
تحلل عقد الصبر من كل صابر وما جلبت الايام من عقدهم عقدا
وكنا في الصدر الاول ملوكا نصرنا سوقه وكنا فرسانا
نصونا رجاله ولبتنا لا ينقطع الطريق عزة والله المستعان
على المصايب والمسؤول ان لا يسلبنا هذا الرمق انه
جواد كريم منان رحيم ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم واما التفويض فنتامل فيه اصلين
احدهما انك تعلم ان الاختيار لا يصلح الا لمن كان
عالما بالامور بجميع جهاتها ظاهرها وباطنها حالها
وعاقبتها والا فلا يامن ان يختار الفساد والهلاك
على ما فيه الخير والصلاح الا ترى انك لو قلت
لبدوي او قروي غمر انتقد لي هذه الدراهم
وميز بين جيدها ورديها فانه لا يهتدي لذلك ولو قلت
لسوقي غير صيرفي يعتبر ايضا فلا تامن اذن
الا ان تعرضهما على الصيرفي الخبير بالذهب والفضة
وما فيهما من الخواص والاسرار وهذا العلم المحيط بالامور
من جميع الوجوه لا يصح الا لرب العالمين فلا يستحق اذن
احد الا يكون له الاختيار والتدبير الا الله وحده

لا شريك له ولذلك يقول عز وجل وربك يخلق ما يشاء ويختار
ما كان لهم الخيرة ثم قال وربك يعلم ما تكن صدورهم
الآية وحكي ان بعض الصالحين قيل له قال الله سل
تعط وكان موفقا فقال ان عالما بجميع الوجوه يقول
لجاهل من جميع الوجوه سل تعط ايش اعلم ماذا يصلح
لي فاساله ولكن اختر لي انت فهذه هذه تلك
ما تقول لو قال لك رجل اني اقوم بجميع امورك
وادبر ما تحتاج اليه من مصالحك فوض الامر كله
الي واشتغل انت بشانك التي تعنيك وهو عندك اعلم
اهل زمانك واحكمهم واقواهم وارحمهم واتقاهم واصدقهم
واوفاهم الست تغتنم ذلك وتعده اعظم نعمة وتقدم
له اوفر شكر واجمل ثناء ثم اذا اختار لك شيئا لا تعرف
وجه الصلاح فيه افلا تتهمه لذلك كيف ما كان الامر بل
تثق وتطمئن الى تدبيره عالما انه لا يختار لك الا ما
هو الخير وما ينظر لك الا الصلاح كيف ما كان
الامر بعد ما وكلت الامر اليه وسلمت لك فما لك اذن
الا تفويض الامور الى رب العالمين وهو الذي يدبر الامر
من السماء الى الارض فهو اعلم كل عالم واقدر كل قادر

وارحم كل رحيم واغنى كل غني ليختار لك بلطيف علمه وحسن
تدبيره ما لا يبلغه علمك ولا يدركه فهمك واشتغل انت
١٦٥ بشانك الذي يعنيك في عاقبتك واذا اختار لك امرا
لا تعلم وجه تيسره رضيت بذلك واطمانت نفسك اليه
فكيف ما كان فهو الصلاح والخيرة فتامل راشدا
ان شاء الله تعالى واما الرضا بالقضاء
فقائل فيه اصلين مقنعين لا مزيد عليهما احدهما ان في
الرضا من الفايدة في الحال والمآل اما الفايدة في الحال
فراغ القلب وقلة الصبر من غير فايده ولذلك قال
بعض الزهاد اذا كان الهم حقا فالهم فضلة واصله الخير
الماثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابن
مسعود ليقل همك ما قدر ياتك وما لم يقدر لم ياتك هذا
هو الكلام الجامع النبوي النافع في قلة لفظه
وكثرة فايدة معناه واما الفايدة في المآل فثواب
الله تعالى ورضوانه لقوله تعالى رضي الله عنهم
ورضوا عنه واما السخط من الهم والحزن والحصر والضجر
في الحال ومن الوزر والعقوبة في الآخرة بلا فايدة

اذ القضا نافذ فلا ينصرف بهمك وسخطك
كما قيل ما قد مضى يا نفس فاصبري له ولك الامان
من الذي لم يقدر والعاقل لا يختار الهم بلا فا
الوزر والعقوبة على راحة القلب وثواب
الجنة

الاصل الثاني

ما في السخط
من عظيم الخطر والكفر والنفاق الا ان يتداركه
الله عز وجل وتامل قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما نفي الايمان واقسم
على من سخط قضا الله تعالى وروينا ان الله تعالى يقول
من لم يرض بقضايي ولم يصبر على بلايي ولم يشكر
نعمايي فليتخذ ربا سوايي قيل كانه يقول هذا لا
يرضانا ربا حين سخط فليتخذ ربا اخر يرضاه وهذا
غاية التهديد والوعيد لمن غفل عن الله عز وجل لقد
صدق بعض السلف لما قيل له ما العبودية والربوبية
قال للرب ان يقضي وللعبد ان يرضى فاذا قضى
الرب ثم يرض العبد فما هنالك عبودية ولا ربوبية

الجامع على ما ذكر ان عليا رضوان الله عليه عزى
رجلا فقال ان صبرت جرت عليك المقادير
وانت ماجور وان جزعت جرت عليك المقادير
وانت مازور ثم اقول جملة الامر ان تقطع القلب
عن العلايق المالوفة ومنع النفس عن العادة
الراسخة بالتوكل المحض على الله عز اسمه وترك
التدبير في الامور وتفويضها الى الله تعالى من غير
علم بما هو انشر فيها وكبح النفس عن السخط
والجزع مع تسارع النفس اليه واكراهها على الجام
الرضا وتجرع شربة الصبر مع نفرتها عن ذلك الامر
مر وعلاج شديد وحمل ثقيل ولكنه تدبير
سديد وطريق مستقيم له عاقبة محموده واحوال
شديدة مسعوده وما تقول في الوالد المشفق
الغني اذا منع ولده العزيز رطبة او تفاحة ياكلها
وهو ارمد ويسلمه الى المعلم الفظ الغليظ البايس
ويحبسه طول النهار ويضجره ويحمله الى
الحجامة فيوجعه ويقلقله اترى منع بخلا منه كيف
ولكن

هو يعطي الاجانب ويوسّع عليهم اهوانا بهذا الولد
كيف وهو يكتب له جميع ما في يديه او فصلت بذلك
انعامه وايذاءه لبغض له كيف وهو قرة عينيه به
وثمرة فؤاده لو هبّت عليه الريح لعزّت عليه كلا
ولكن لما علم ان صلاحه في ذلك وان بهذا التعب
القليل يصل الى خير كثير ونفع عظيم وما تقول
في الطبيب الناصح والحبيب اذا منع المريض الدنف
شربة ماء وهو ظمآن يتلظى كبده او يسقيه شربة
اهليلج كريهة تجزع عن ذلك نفسه وطبعه اترى
ان ذلك مكاراة وايذا كلا بل نصح واحسان لما علم
يقينا ان في اعطا شهوته ساعة هلاكه وعطبه
راسا وفي منع ذلك شفاءه وبقاءه فتامل ايها الرجل
اذا حبس الله تعالى عنك غنيا او درهما فتعلم يقينا
انه يقدر ويملك ما تريد ويقدر على ذلك ايصاله
اليك وله الجود والفضل ويعلم حالك فلا يخفى عليه
شيء ولا عدم ولا عجز ولا خوف تعالى الله عن ذلك
وتقدس فانه اغنى الاغنياء واقدر القادرين واعلم

العلماء واجود الاجودين فتعلم اذن بالحقيقة انه لم يمنعك
الا لصلاح واختيار كيف وهو الذي يقول خلق لكم
ما في الارض جميعا وهو الذي جاد عليك بمعرفته فهي
التي لا شيء في جنبها الدنيا باسرها وفي الخبر المشهور
ان الله تعالى يقول اني لاذود اوليائي عن نعيم الدنيا الغرّة
كما يذود الراعي الشفيق ابله عن مبارك الغرة واذا
ابتلاك بشدة فاعلم يقينا انه غني عن ابتلائك وامتحانك
عالم بحالتك بصير بضعفك وهو بك رؤوف رحيم
اما تسمع قوله صلى الله عليه وسلم الله ارحم بعبده من
الوالدة الشفيقة بولدها فاذا اعلمت انه لم ينزل بك
هذا المكروه الا لصلاح لكن جهلت به انت وهو
عليم بذلك فلهذا المعنى تراه يكثر ابتلا اوليائه
واصفيائه الذين هم اعزة عباده حتى يقول صلى الله عليه
وسلم اذا احب الله قوما ابتلاهم ويقول اشد الناس
بلا الانبيا ثم الشهدا ثم الامثل فالامثل واخبار ايات الله
تعالى تحبس عنك الدنيا ويكثر عليك الشدايد والبلوى

فاعلم أنك عزيز عنده وأنك عنده بمكان فإنه يسلك
بك طريق أوليائه فإنه يراك ولا تحتاج إلى ذلك أما تسمع
قوله تعالى واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا بل أعرف
منته عليك فيما يحفظ عليك من صلاحك ويكثر من
أجرك وثوابك ويبلغك منازل الأبرار والأعزة عنده
فكم ترى من عواقب جميلة ومواهب كريمة والله
تعالى علينا التوفيق بفضله وفي الجملة إذا علمت
يقينا أن الله تعالى ملي بضمان رزقك الذي لا بد لك منه
في بقائك دنيا وقيامك بعبادته القادر على ما يشاء كيف
يشاء وهو البصير بحاجتك حالا فحالا وساعة فساعة
اتكلت على ضمانه الحق ووعده الصادق وسكن قلبك
لذلك وأضربت عن ذكر العلائق والأسباب وتعليق
قلبك بها إذ العلائق لا تغنيك ولا تكفيك دون
الله وإنه ييسر أكلها وشربها ثم هو الذي يمرئها
ويهضمها ثم هو الذي يلحقك قوتها ونفعها ويدفع عنك
ثقلها وضرها وهو تعالى يغنيك ويكفيك دونها إذا شاء

فالأمر كله إليه وحده لا شريك له تتوكل عليه لا
غير فكذلك تترك التدبير في أمورك إلى من يدبر
السماء والأرض وتدع نفسك عن كل شيء لا يبلغه علمك وعن
من أمر يكون غدا أو لا يكون فإنه كيف يكون
وتكف عن لعل ولو إذ ليس فيه إلا شغل القلب وتضييع
الوقت ولعله تكون أمور لم تخطر ببالك فيكون
ما سبق من فكرك وتدبيرك وجعلك الوقت العزيز فيه
لغوا بلا فائدة بل خسران تندم عليه وتغبن فيه بمكان
شغل القلب وتضييع العمر في ذلك وفي هذا المعنى لبعض الزهاد — ناصح

سبقت مقادير الإله وحكمها   فأرح فؤادك من لعل ولو

وقال آخر

فلعل ما تخشاه ليس بكائن   ولعل ما ترجوه ليس يكون

سيكون ما هو كائن في وقته   وأخو الجهالة متعب محزون

وتقول لنفسك في الجملة بأنفسنا لن يصيبنا إلا ما كتب الله
لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون وهو حسبنا
ونعم الوكيل إذ هو قدير لا نهاية لقدرته حكيم لا نهاية
لحكمته رحيم لا نهاية لرحمته ومن كان بهذه الصفة

فحقيق ان تتكل عليه وتفوض الامر كله اليه
فعليك بالتفويض وكذلك توطن قلبك على ان ما
يقضي الله عز وجل لك فهو الاوفق والاصلح وان
ذلك لا يبلغ علمنا كيفيته وسره وتقول يا
نفس المقدر كاين لا محالة فلا فايدة في التسخط
والخيرة فيما يصنع الله تعالى فلا وجه للتسخط الست
تقولين رضيت بالله ربا فكيف لا ترضين بقضايه
والقضا من شان الربوبية وحقها فعليك بالرضا
وكذلك اذا اصابتك مصيبة وحل بك مكروه
وراعي نفسك عند ذلك وتضبط قلبك حتى لا يجزع
ولا يظهر منك شكاية وقلق لا سيما عند الصدمة
الاولى فان الشان هنالك ان النفس متسارعة جدا
الى عادة الجزع عند ذلك وتقول يا نفس هذه قد
وقعت فلا حيلة في دفعها وقد دفع الله تعالى ما
هو اكثر منها فان انواع البلا في خزاينه كثيرة
وان هذه ستنقضي فلا تبقى وانه سبحانه سينقشع
فتجلدي يا نفس قليلا تجدي سرورا طويلا
وثوابا جزيلا بعد ان لا دفع للنازل ولا فايدة في

الجزع ولا مصيبة في الحقيقة مع العزا والصبر
تشتغل شانك بالاسترجاع وقلبك بتذكر ما يحصل
١٢٤ لك عند الله تعالى من الاجر وتذكر صبر اولي العزم
على المصايب العظام من الانبيا والاوليا والاعزة
على الله تعالى واذا حبس عنك الدنيا في وقت فتقول
يا نفس هو اعلم بالحال وارحم بك واكرم وانه
الذي يطعم الكلب في خسته ويطعم الكافر
في عداوته وانا عبده الموحد ساوي عنده
رغيفا ايضا فاعلم بالحقيقة انه لم يحبس ذلك عنك
الا لنفع عظيم وسيجعل الله بعد عسر يسرا
فاصبر قليلا ترى العجب من لطف صنعه اما سمعت
القايل

توقع صنع ربك سوف ياتي ... بما تهواه من فرج قريب
ولا تجزع اذا ما آتاك خطب ... فكم في الغيب من عجب عجيب (نابـ خ)

وقال آخر

اذا اشتدت بك العسرى ففكر في الم نشرح
فعسر بين يسرين اذا ذكرته فافرح

فاذا اجريت هذه الاذكار ونحوها وواظبت عليها
بالتكرير والتمرين فان ذلك يهون عليك اذا
كانت لك همة واجتهاد زمانا غير طويل وقد دفعت هذه
العوارض الاربعة عن نفسك وكفيت مؤنتها وصرت
عند الله من المتوكلين المفوضين الراضين بقضائه الصابرين
على بلائه وحصلت لنفسك راحة القلب والبدن في الدنيا
وعظيم الثواب والاجر في العقبى وجليل القدر والحشمة
عند رب العالمين فتجتمع لك خير الدنيا والاخرة وتستقيم
لك طريق العبادة اذ لا عائق ولا شاغل وكنت حينئذ قد
قطعت هذه العقبة العسيرة والله تعالى المسؤول ان يمدك
وايانا بحسن توفيقه فان الامر كله بيده وهو ارحم الراحمين

الباب الخامس

في العقبة الخامسة وهي عقبة البواعث

ثم عليك يا اخي بالسير اذا استقام لك الطريق وسهل السبيل
وارتفعت العوائق وزالت العوارض ولا يحصل لك السير
المستقيم الا باستشعار الخوف والرجا والتزامها حقهما
على حدهما اما الخوف انما يجب التزامه لامرين احدهما
الزجر عن المعاصي فان هذه النفس الامارة بالسوء ميالة

الى الشر طاعة الى الفتنة فلا تنتهيا ذلك الا بتخويف عظيم
وتهديد بالغ وليست هذه في طباعها حرة يمنعها الوفا بمنعها
الحيا عن الجفا وانما هي كما قال القايل العبد يقرع بالعصا والحر
يكفيه الملامة والتدبير في امرها ان تقرعها ابدا
بسوط التخويف قولا وفكرا نحو ما ذكر عن بعض الصالحين
ان نفسه رغبت الى معصية فانطلق ونزع ثيابه وجعل
يتمرغ في الرمضا ويقول لنفسه ذوقي فنار جهنم اشد حرا
امن هذه اي جيفة بالليل بطالة بالنهار والثاني ان
لا تعجب بالطاعات فتهلك بل تتبعها بالعيب والذم والنقص
من الاسواء والاوزار التي فيها ضروب الاخطار وذلك نحو
ما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو اخذني وعيسى
ابن مريم اخذنا بما كسبت هاتان لعذبنا عذابا لم يعذب احدا
واشار باصبعيه وعن الحسن انه كان يقول ما يؤمن احدنا
ان يكون قد اصاب ذنبا فطبعت عليه باب المغفرة
دونه فهو يعمل في غير معمل وعن ابن سماك فيما يعاتب نفسه
تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين وتطمعين في
الجنة هيهات هيهات ان للجنة قوما اخرين ولهم اعمال غير ما

تعملين ثمنه واشالها مما يلزم العبد تذكيرها
للنفس وتكريرها عليها ليلا تغتر بطاعة او يقع
في معصية وبالله التوفيق واما الرجا فانما يؤثر
استشعاره لانه باعث للبعث على الطاعات
ذلك ان الخير ثقيل والشيطان عنه زاجر والهوى
الى ضده داع وحال اهل الغفلة من عامة الناس
في متطبع مشاهد والثواب الذي تطلب به
عن الجنة غايب وامل الوصول اليه فيما يحسبه
بعيد واذا كان الحال هذه الحالة فلا ينبعث
النفس الى الخير ولا ترغب فيه حقه ولا تهتز له الا بامر
هذه تقابل كل الموانع وتساويها بل تزيد عليها وذلك
الامر هو الرجا القوي في رحمة الله تعالى والترغيب
البالغ في حسن ثوابه وكريم اجره ولقد قال
شيخنا الحزن يمنع عن الطعام والخوف يمنع من الذنوب
والرجا يقوي على الطاعات وذكر الموت
يزهد في الفضول في الثاني ليهون عليك احتمال
الشدايد والمشقات واعلم ان من عرف ما يطلب

هان عليه ما يبذل ومن طلب شيا ورغب
فيه حق رغبته احتمل شدته ولم يبال بما يلقى
من موونته ومن احب احدا حق محبته احب
ايضا احتمال محنته حتى انه ليجد بتلك المحنة
ضربا من اللذة الا ترى مشتاق العسل لا يفكر
بلسع النحل لما يذكر من حلاوة العسل والاجير
لا يعبا بارتقا السلم الطويل مع الحمل الثقيل طول النهار
الصايغ المريد لما يذكر اخذ درهمين بالعشي وان
الفلاح لا يفكر بمقاساة الحر والبرد ومباشرة
الشقا والكد طول السنة لما يتذكر البيدر
اوان الغلة فكذلك يا اخي العباد الذين هم اهل
الاجتهاد اذا ذكروا الجنة في طيب مقيلها وانواع
نعيمها وحليها وحللها وساير ما اعد الله تعالى لاهلها
هان عليهم ما احتملوا من تعب في عبادة اوقاتهم
في الدنيا من لذة ونعمة وذلة او نقمة نالهم من ضرر وشقوة
ولقد حكي ان اصحاب سفين الثوري كلموه فيما كانوا
يرون من خوفه واجتهاده ورثة حاله فقال يا اخوتا ذلو

نقصت من هذا الجهد فلتستمد ذلك بفضل الله ان شا
الله تعالى قال شقيق كيف لا اجتهد وقد بلغني
ان اهل الجنة يكونون في منازلهم فيتجلى لهم نور تضي
له الجنان الثمان فيظنون ان ذلك نور من جهة الرب
سبحانه فيخرون ساجدين فينودوا ان ارفعوا روسكم
ليس الذي تظنون انما هو نور جارية تبسمت في
وجه زوجها وانشا يقول
ما ضر من كان الفردوس مسكنه ماذا تحمل من بوس واقتار
تراه يمشي كئيبا خائفا وجلا الى المساجد يمشي بين اطمار
يا نفس ما لك من صبر على النار قد حان ان تقبلي من بعد ادبار
قلت فاذا كان ملاك امر العبودية على الامرين
القيام بالطاعة والانتهاء عن المعصية وذلك لا يتم
مع هذه النفس الامارة بالسوء الا بترغيب وترهيب
وترجية وتخويف فان الدابة الحرون تحتاج الى قائد
يقودها والى سائق يسوقها واذا وقعت في مهواة
فربما تضرب بالسوط من جانب ويلوح لها بالشعير
من الجانب الاخر حتى تنهض وتتخلص مما وقعت

فيه وان الصبي العرم لا ياتي الى الكتاب الا بترجية
من الوالدين وخوف من المعلم فكذلك هذه النفس
دابة حرون وقد وقعت في مهواة الدنيا فالخوف سوطها
وسائقها والرجا شعيرها وقائدها واما الصبي العرم
فحمله الى كتاب العبادة والتقوى فذكر النار والعقاب
تخويفها وذكر الجنة والثواب ترجيتها وترغيبها فلذلك
يلزم العبد الطالب للعبادة والرياضة ان تشعر النفس
بالامرين اللذين هما الرجاء والخوف والا فلا تساعد النفس
كل تجوح على ذلك ولهذا المعنى اتى الذكر الحكيم بمجموع الامرين
الوعد والوعيد والترغيب والتهديد وابلغ في واحد منهما
فذكر من الثواب العظيم ما لا صبر عنه وذكر من العقاب
الاليم ما لا صبر عليه فعليك اذا بالتزام هذين
المعنيين تحصل لك من مراد العبادة ويسهل عليك احتمال
المشقة والله تعالى ولي التوفيق بفضله فان قلت
فما حقيقة الرجاء والخوف وحكمهما فاعلم ان الخوف والرجا
عند علمائنا يرجعان الى قبيل الخواطر واما المقدور
للعبد منهما فكما قالوا الخوف وجدة في القلب عن ظن
مخوف

مكروه يناله والخشية نحوه لكن الخشية تقتضي
ضربان الاستعظام والمهابة وضد الخوف الجراة ولكن
قد يقابل بالامن يقال خائف وامن وخوف وامن
لان الامن الذي يجري على الله عز وجل والحقيقة ان
الجراة تضادة وتقدمات الخوف على الله عز وجل
اربع ذكر الذنوب الكثيرة التي سبقت وكثرة الخصوم
الذين مضوا الى المظالم وانت مرتهن لم تتبين لك
الاخلاص بعد والثانية ذكر شدة العقوبة
التي لا طاقة لك بها والثالثة ذكر ضعف
ضعف نفسك عن احتمالها والرابعة ذكر قدرة الله تعالى
عليك متى شاء وكيف شاء اما الرجا فهو ابتهاج القلب
بمعرفة فضل الله تعالى والاستروحة الى سعة رحمة الله
وهذا من جملة الخواطر غير مقدور للعبد ورجاه مقدور
للعبد وهو تذكر فضل الله تعالى وسعة رحمته وقد
سمى ايضا ارادة الخاطرة بالاشتيار رجا والمراد من
هذا الباب هو الاول وهو التذكر على حسب
الابتهاج والاستروح وضده اليأس وهو تذك

ر ان رحمة الله تعالى وفضله وقطع القلب عن ذلك
وهو معصية محضة وهذا الرجا فرض اذا لم يكن
للعبد سبيل الى الامتناع عن اليأس الا به والا فهو
بعد اعتقاد الجملة في فضل الله سبحانه وسعة رحمته
وتقدمات الرجاء اربع ذكر سوابق فضله اليك
من غير قدم او شفيع والثانية ذكر ما وعدك من
جزيل ثوابه وعظيم كرامته حسب فضله وكرمه
دون استحقاقك اياه بالفعل اذ لو كان على حسب
الفعل لكان اقل كل اقل شي واصغر والثالثة
ذكر كثرة نعمة الله عليك في امر دينك ودنياك
في الحال من انواع الامداد والالطاف من غير استحقاق
او سوال والرابعة ذكر سعة رحمة الله وسبقها
غضبه وانه الرحمن الرحيم الغني الكريم الرؤوف
بعباده المومنين فاذا واظبت على هذين النوعين من
الاذكار افضى بك الى استشعار الخوف والرجاء بكل
حال والله تعالى ولي التوفيق بمنه وجوده
فصل ثم عليك ايها الرجل بقطع عقبه

العقبة في تمام الاحتياط والتحرز وجد الرعاية فانها
عقبة دقيقة المسلك خطرة الطريق وذلك ان
طريقها بين طريقين مخوفين مهلكين احدهما طريق الامن
والثاني طريق الياس وطريق الخوف والرجاء وهو
الطريق العدل بين طريقين الجائرين فان غلب
علىك الرجا حتى فقدت الخوف البتة وقعت
في طريق الامن ولا يامن مكر الله الا القوم
الخاسرون وان غلب الخوف حتى فقدت الرجا
البتة وقعت في طريق الياس ولا ييأس من
روح الله الا القوم الكافرون فان انت كنت
بين الرجا والخوف واعتصمت بهما جميعا سلكت الطريق
العدل المستقيم التي هي سبيل اوليا الله سبحانه واصفيايه
الذين وصفهم بقوله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات
ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين فاذن
ظهرت لك في هذه العقبة طرق ثلثة طريق
الامن والجراة وطريق الياس والقنوط وطريق الخوف
والرجاء متوسطة بينهما فان ملت عنه تقدم الى

بسبيل او يسارك وقعت في المهلكين وهلكت مع
الهالكين ثم الشان ان الطريقين الجائرين المهلكين
اوسع مجالا واكثر اعتبارا واسهل سلوكا من الطريق
العدل لانك اذا نظرت من جانب الامن رايت من سعة رحمة
الله تعالى وكثرة فضله وغاية جوده ما لا يبقى لك معه
خوف فتتكل الى ذلك بمرة وتامن وان نظرت
من جانب الخوف رايت من عظيم سياسة الله عز وجل
وكثرة هيبته ودقة امره ومناقشته مع اوليايه
واصفيايه ما لا يكاد يبقى معه رجا فتياس بمرة
وتقنط فتحتاج اذن ان لا تنظر الى سعة رحمة الله
فقط حتى تامن ولا الى عظيم الهيبة والمناقشة فقط
حتى تقنط وتياس بل تنظر الى هذا والى هذا جميعا
وتاخذ من هذا بعضا ومن هذا بعضا فتركب بينهما
طريقا دقيقا وتسلك ذلك لتسلم فان طريق الرجاء المحض
سهل واسع عطف عاقبته ويوديك الى الامن والخسران
وان طريق الخوف المحض واسع عريض وعاقبته يوديك
الى الضلال والطريق العدل بينهما طريق الخوف والرجاء

وان كان ذنبك عشرا فانه سبيل سالم ومنهج بين
يودي الى الغفران والاحسان ثم الى الجنان والرضوان
ولقاء الملك الرحمن سبحانه اما تسمع قوله تعالى في ابناء
هذا السبيل يدعون ربهم خوفا وطمعا ثم قال تعالى
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا
يعملون فتامل هذه الجملة جدا وتشمر وتنبه
للامر فانه لا يجي بالهوينا والله الموفق ثم اعلم انه لا
يتاتى لك سلوك هذا الطريق وحمل هذه النفس الجموح
الكسلى على الخير باجتناب المحبوب عندها واكتساب
الطاعات الثقيلة عليها الا بالتحفظ لثلثة اصول
والتذكر لها على سبيل الدوام من غير فترة ولا غفلة
احدها ذكر قوله تعالى في الترغيب والترهيب
والثاني ذكر قوله تعالى في الاخذ والعفو والثالث
ذكر جزائه العباد في المعاملة من الثواب والعقاب
وتفصيل كل اصل منه يحتاج الى شرح كثير
ولاجله صنفنا كتاب تنبيه الغافلين ونحن نشير

في معاملة

في هذا الكتاب الى كلمات توصلك الى المقصود
ان شاء الله تعالى

الاصل الاول

في اقواله تعالى تذكر ايها الرجل ما في الكتاب العزيز من
ايات الترغيب والترهيب والترجية والتخويف فمن
ايات الرجاء قوله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله تعالى ان
الله يغفر الذنوب جميعا ومن يغفر الذنوب الا الله غافر
الذنب وقابل التوب وهو يقبل التوبة عن عباده ويعفو
عن السيئات كتب ربكم على نفسه الرحمة ورحمتي
وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ان الله بالناس
لرؤف رحيم وكان بالمومنين رحيما فهذه ونحوها
ايات الرجاء ومن ايات الخوف والسياسة يا عباد فاتقون
افحسبتم انما خلقناكم عبثا ايحسب الانسان ان يترك سدى
ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز
به وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وبدا لهم من الله ما لم
يكونوا يحتسبون وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا نسال الله تعالى ان يسلمنا برحمته ومن الايات

اللطيفة الجامعة بين الخوف والرجاء قوله نبئ عبادي
اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم
لئلا يستولي عليه الرجا بمرة وقوله تعالى شديد العقاب
ذي الطول لئلا يستولي عليه الخوف بمرة
واعجب من ذلك قوله تعالى من خشي الرحمن بالغيب
علق الخشية باسم الرحمن دون اسم الجبار او
المنتقم والمتكبر ونحوه ليكون الخشية مع ذكر
الرحمة لئلا يستولي عليه الخوف بمرة واعجب من ذلك
قوله تعالى من خشي الرحمن بالغيب علق الخشية باسم مكرر
الرحمن دون اسم الجبار او المنتقم او المتكبر ونحوه مكرر
ليكون الخشية مع ذكرى الرحمة ولا يكون الخشية
نظير قلبك بمرة تكون تخويفا في تامين وتحريكا
في تسكين كما يقال اما تخشى الوالدة الرحيمة اما تخاف الوالد
الشفيق اما تحذر الامير الكريم والمراد بذلك ان يكون
الطريق عدلا ولا تذهب الى امن وقنوط جعلنا
الله واياكم من المتدبرين لهذا الذكر الحكيم برحمته
العالمين عافية انه الجواد الكريم الاصل الثاني

في افعاله ومعاملاته اما من جانب الخوف فانظر الى عبده
ابليس ماذا لقي من الفتنة فلم يترك موضع قدم الا وسجد
لله تعالى فيه سجدة ثم ترك له امرا واحدا فطرده
عن بابه وضربه بوجهه ولعنه الى يوم الدين واعد
له عذابا عظيما ابد الآبدين حتى يروى ان الصادق
الامين صلى الله عليه وسلم راى جبريل عليه السلام متعلقا
باستار الكعبة وهو يصرخ الهي لا تغير اسمي ولا تبدل
جسمي ثم آدم صفيه الذي خلقه بيده واسجد له ملائكته
وحمله على اعناقهم الى جواره وانبسط فاكل اكلة واحدة
لم يؤذن له فيها فنودي لا يجاورني من عصاني وامر الملائكة
الذين حملوه بشره يرجونه من السماء الى السماء حتى بكى
على ذلك ثلاث مائة سنة واخذه من البلاء والهوان ما اخذه
وبقيت ذريته في تبعات ذلك على الابد ثم ان نوحا
شيخ المرسلين صلوات الله عليهم الذي احتمل في امر دينه
ما احتمل لم يقل الا كلمة واحدة على غير وجهها نودي
فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من
الجاهلين حتى يروى في بعض الاخبار انه لم يرفع راسه الى

السماء حيا من الله عز وجل اربعين سنة ثم ان ابرهيم
الخليل صلوات الله عليه لم يكن منه الا هفوة واحدة فلم
خاف وتضرع وقال والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين حتى روي انه كان يبكي من شدة الخوف
فيرسل الله تعالى اليه الامين جبريل عليه السلم فيقول
يا ابرهيم هل رايت خليلا يعذب خليله فيقول
يا جبريل اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلته ثم موسى
بن عمران صلوات الله عليه لم يكن منه الا لطمة
واحدة عن حدة فلم خاف واستغفر وقال
رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ثم في زمانه بلعم بن
باعورا كان اذا نظر يرى العرش وهو المعني بقوله
واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها
ولم يعمل اية واحدة مال الى الدنيا ميلة واحدة وترك
لولي من اولياء الله حرمة واحدة سلبه معرفته
وجعله بمنزلة الكلب المطرود ونعته في تيه الضلال
والهلاك الى الابد حتى سمعت بعض العلما يقول انه
كان في اول امره بحيث يكون في مجلسه اثنا عشر
الكلب

الف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه ثم صار
بحيث اول من صنف كتابا وذكر فيه ما استحق
به اللعن نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سخطه وعذابه
الاليم وقطيعة حال خذلانه الذي لا طاقة لنا به
فانظر بحيث الدنيا وشومها ماذا تجلب
للعلماء خاصة فتنبه فان الامر خطير والعمر
قصير وفي العمل تقصير والناقد بصير فان ختم
بالخير اعمالنا واقالنا عثراتنا فما ذلك عليه بعسير بعزيز ثم
ان داود عليه السلم خليفته في الارض اذنب ذنبا
واحدا فبكى على ذلك حتى نبت العشب في الارض
من دموعه وقال الهي اما ترحم بكائي وتضرعي فاجيب
يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكائك فلم يقبل توبته
اربعين يوما وقيل اربعين سنة ثم يونس عليه الصلوة
والسلم غضب غضبة واحدة في غير موضعها فحبسه
في بطن الحوت تحت قعر البحار اربعين يوما وهو
ينادي لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين

وسمعت الملائكة صوته فقالوا الهنا نسمع
صوتا معروفا من موضع مجهول فقال تعالى ذلك
عبدي يونس فشفعت فيه الملائكة ثم سمع
ذلك غيره اسمه تعالى وذا النون اذ ذهب
مواظبا مغاضبا فنسبه الى حد تسبيحه ثم قال فالتقمه
الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين
للبث في بطنه الى يوم يبعثون ثم ذكر نعمته
ومنته تعالى لولا ان تداركه نعمة من ربه
لنبذ بالعراء وهو مذموم فانظر الى هذه الشبا
ايها المسكين وكذلك هلم جرا الى سيد المرسلين
اكرم خلقه عليه يقول فاستقم كما امرت
ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون
بصير حتى كان عليه السلم يقول شيبتني سورة
هود واخواتها قيل يعني هذه الاية واشكالها في
القران وقال تعالى واستغفر لذنبك الى ان من
عليه بالغفران فقال ووضعنا عنك وزرك

الذي انقض ظهرك وقال ليغفر لك الله ما
تقدم من ذنبك وما تاخر فيقول افلا اكون
عبدا شكورا وكان صلى الله عليه وسلم يقول
لو اني وعيسى اخذنا بما كسبت هاتان تعذبنا
عذابا لم يعذب به احدا من العالمين وكان
صلى الله عليه وسلم يصلي الليل ويبكي ويقول
اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من
سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك ثم الصحابة رضي
الله عنهم الذين هم خير قرن في خير امة كان
يبدو شيء منهم من المزاح فنزل قوله تعالى الم يان
في للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما
نزل من الحق ثم وضع من هذه الامة مع كونها
مرحومة الحدود والاسباب والمشاشات
العظيمة حتى كان يونس بن عبيد لا يامن من يقول م
ان يقطع في خمسة دراهم من عضو مثل ان يكون
غالبه هكذا عدا ناس الله الكريم الرحيم

ان لا يعاملنا الا بمحض كرامته انه ارحم الراحمين
واما جانب الرجا فحدث عن رحمة الله تعالى الواسعة ولا
حرج وبين الذي يعرف غايتها والحسن وصفها فانه الذي
يهدم كفر ستين سنة بايمان ساعة قال الله
تعالى للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
اي سبق اما ترى امر سحرة فرعون الذين جاوا لحربه
وحلفوا بعزة عدوه لما قالوا انا امنا عن صدق
القلوب كيف قبلهم ووهب لهم جميع ما سلف ثم
كيف جعلهم رؤس الشهدا في الجنة ابد الابدين
بعد ان عرفوه ووحدوه ساعة بعد ذلك الكفر
والضلال والفساد فكيف حال من افنى في توحيده عمره
لا يرى لذلك اهلا في الدارين غيره اما ترى اصحاب
الكهف وما كانوا عليه من الكفر طول اعمارهم اذ
قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض والتجاوا
اليه كيف قبلهم واعزهم واكرمهم فقال تعالى
ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكيف

اعظم في الحرمة والبسهم المهابة والحشمة حتى يتولى
لاكرم الخلق عليه لو اطلعت عليهم لوليت
منهم فرارا بل كيف اكرم كلبا تبعهم حتى ذكره
في كتابه العزيز مرات ثم جعله في الانبيا محبوبا
ويدخله الجنة في الاخرة مكرما فهذه فضله
مع كلب خطا خطوات مع قوم عرفوه ووحدوه
اياما معدودة من غير عبادة او خدمة فكيف مع
عبده المومن الذي خدمه ووحده وعبده سبعين
سنة ولو عاش سبعين الف سنة كان قصده قاصدا
العبودية اما سمعت كيف عاتب ابرهيم عليه السلم
في دعائه على المجرمين بالهلاك وكيف عاتب موسى
عليه السلم في امر قارون فقال استغاث بك
قارون فلم تغثه وعزتي لو استغاث بي لاغثته
وعفوت عنه وكيف عاتب يونس عليه السلم في شان
قومه فانك تحزن على شجرة يقطين انبتها في
ساعة وايبستها في ساعة ولا تحزن على مائة الف

قبل عذرهم وصرف عذاب العظيم عنهم

او يزيدون ثم كيف عاتب سيد المرسلين كما روي
انه دخل من باب بني شيبة فراى قوما يضحكون
فقال لم تضحكون لا اراكم حتى اذا كان عند الحجر رجع
اليهم القهقرى فقال جاءني جبريل عليه السلم فقال
يا محمد ان الله عز وجل يقول لم تقنط عبادي من رحمتي
نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله ارحم بالعبد من الوالدة الشفيقة
بولدها وفي الخبر المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم ان
الله عز وجل مائة رحمة فواحدة منها قسمها بين الجن والانس
والبهائم فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وادخر تسعة (وادخر منها)
وتسعين لنفسه يرحم بها يوم القيامة عباده واذ
قد اعطاك من الرحمة الواحدة كل هذه العطايا
الكريمة العزيزة من معرفته سبحانه والكون من هذه
الامة المرحومة ثم معرفة السنة والجماعة الى ما يوما
لديك من النعم الظاهرة والباطنة فهو حقيق من كرمه
وفضله العظيم ان يتم ذلك فان من بدا بالاحسان

فعليه الاتمام ويجعل من تسع وتسعين رحمة لك الحظ
الاوفر نسال الله تعالى ان لا يخيب املنا في فضله
العظيم بفضله ومنه انه السيد الكريم الجواد الرحيم

الاصل الثالث في ذكر ما وعد واوعد

في المعاد فلنذكر في ذلك الاحوال الاربعة الموت والقبر
والقيامة والجنة والنار وما في كل مقام منها من الخطر
للمطيعين والعاصين المقصرين والمجتهدين اما
الموت فاذكر فيه حال رجلين احدهما ما روي عن ابن
شبرمة انه قال دخلت مع الشعبي على مريض نعوده
وهو لما به وعنده رجل يلقنه لا اله الا الله فقال
الشعبي ارفق به فتكلم المريض فقال ان تلقني او لم تلقني
فاني لا ادعها ثم قرا والزمهم كلمة التقوى وكانوا
احق بها واهلها فقال الشعبي الحمد لله الذي نجا صاحبنا
والاخر قد حكي ان تلميذ الفضيل ابن عياض حضرته
الوفاة فدخل عليه الفضيل فجلس عند راسه وقرا يس فقال

يا ابنا ندلا تقرا هذه فسكت ثم لقنه فقال قل
لا اله الا الله قال لا اقولها لاني برئ منها ومات
على ذلك فدخل الفضيل منزله وجعل يبكي اربعين يوما
لم يخرج من البيت ثم راه في النوم وهو يسحب به الى
جهنم فقال باي شي نزع الله المعرفة عنك وكنت
اعلم تلاميذي فقال بثلثه اشيا اولها النميمة فاني
قلت لاصحابي خلاف ما قلت لك والثاني بالحسد
حسدت اصحابي والثالث كان بي علة فجيت الى كان
الطبيب فسالته عنها فقال اشرب في كل سنة قدحا
من خمر فان لم تفعل تبقى بك العلة فكنت اشربه نعوذ
بالله من سخطه الذي لا طاقة لنا به ثم اذكر حالة
رجلين احدهما ما حكي عن عبد الله بن المبارك انه لما
احتضر نظر الى السماء فضحك وقال لمثل هذا فليعمل
العاملون وسمعت امام الحرمين يحكي عن الاستاذ
ابي بكر انه قال كان لي صاحب ايام التعليم

وكان مستبدا بالكثير الجهد في التعليم تعبا متعبدا
وكان يحصل له مع الاجتهاد الا القليل وكنا
نتعجب من حاله فمرض فلزم مكانه بين الاولياء في
الرباط ولم يدخل الى بيت المرضى وكان يجتهد
مع مرضه واشتدت به الحال وانا بجانبه فبينما
هو اذ شخص ببصره الى السماء ثم قال لي يا ابن فورك
لمثل هذا فليعمل العاملون وتوفي عند ذلك رحمه الله فيجيب
واما الاخر فهو ما روي عن مالك بن دينار رحمه الله
انه دخل على جار له احتضر فقال يا مالك جبلان
من نار بين يدي اكلف الصعود عليهما فسالت
اهله فقالوا له مكيالان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر
فدعوت بهما فضربت احدهما بالاخر حتى كسرتهما
ثم سالت الرجل فقال ما يزداد الامر الا اعظاما علي
واما القبر والحال بعد الموت فاذكر فيه رجلين
احدهما ما ذكر عن بعض الصالحين انه قال رايت سفين
الثوري في النوم بعد موته فقلت له كيف حالك

يا ابا عبد الله فاعرض عني وقال لبئس هذا زمان
الكني فقلت له كيف حالك يا سفين فانشا يقول
نظرت الى ربي كفاحا فقال لي هنيا رضاني عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما اذا الليل قد دجا بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر اردته وزرني فاني عنك غير بعيد
والرجل الثاني ما روي ان بعضهم روي في المنام شاحب اللون
مغلولة يداه الى عنقه فقيل ما فعل الله بك فانشا يقول
تولى زمان لعبنا به وهذا الزمان بنا يلعب
وحال الاخرين احدهما ما روي ان بعض الصالحين قال كان
لي ابن استشهد ولم اره في المنام الى الليلة توفي عمر بن عبد
العزيز اذ نزل الي تلك الليلة فقلت يا بني الم تك ميتا قال لا
ولكني استشهدوا انا حي عند الله ارزق فقلت ما
جابك فقال نودي في اهل السماء الا يبقى نبي ولا صديق
ولا شهيد الا حضر الصلوة على عمر بن عبد العزيز فجئت
لاشهد الصلوة ثم جئتكم لاسلم عليكم واما الاخر
فما روي عن هشام بن حسان انه قال مات لي ابن حدث

غ عياناً

خ ريده

فرايته في النوم فاذا هو شيب فقلت يا بني ما هذا الشيب
فقال لما قدم علينا فلان زفرت جهنم لقدومه
زفرة لم يبق احد الا شاب منه نعوذ بالله الرحيم من
العذاب الاليم واما القيامة فتامل قول الله تعالى
يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين
الى جهنم وردا فواحد يخرج من قبره فاذا البراق
على راس القبر والتاج والحلل فيلبس ويركب
الى جنات النعيم لا يخلو من عزة يمشي الى الجنة برجله
واخر يخرج من قبره فاذا الزبانية والانكال
لا يخلو الشقي يمشي الى النار برجله بل يسحب
الى سواء الجحيم بوجهه نعوذ بالله من سخطه ولقد
سمعت بعض العلماء يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا كان يوم القيامة تخرج قوم من
قبورهم لهم نجب يركبونها لها اجنحة خضر
تطير بهم في عرصات القيمة حتى اتوا على حيطان

امة محمد فيقولون

الجنة فاذا رأتهم الملائكة فقال بعضهم لبعض من
هؤلاء فيقولون من انتم ومن اي الامم انتم فيقولون
نحن من امة محمد صلى الله عليه وسلم فتقول الملائكة
هل حوسبتم فيقولون لا فيقولون اعطيتمونا شيا
فنحاسب عليه وفي خبر اخر ما ملكنا فنعدل ولا
نجور ولكن عبدنا ربنا فدعانا فاجبناه فينادي مناد
صدق عبادي ما على المحسنين من سبيل والله غفور
رحيم اما تسمع قوله تعالى افمن يلقى في النار خير ام
من ياتي امنا يوم القيامة فاعلم فاعظم برجل يشاهد
تلك الاهوال والزلازل والوقايع وهو يدخل قلبه
فزع ولا يكون على قلبه قفل نسأل الله تعالى ان يجعلنا
واياكم من اولئك السعداء وما ذلك عليه جل ثناؤه
بعزيز اما الجنة والنار فقابل بينهما ايتين من
كتاب الله تعالى احدهما قوله تعالى وسقيهم
ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان
سعيكم مشكورا وقال حكاية عن اخرين ربنا اخرجنا

فيقولون لا ... [illegible]

منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون
وروي انهم عند ذلك كلابا يتعاوون في النار نعوذ يصيرون
بالله الرؤوف الرحيم من العذاب الاليم فان الامر
كما قال يحيى بن معاذ رحمة الله عليه لا ندري اي
المصيبتين اعظم فوت الجنان ام دخول النيران
اما الجنة فلا صبر عنها واما النار فلا صبر عليها وعلى
كل حال فوت النعيم ايسر من مقاساة الجحيم ثم
الطامة الكبرى والمصيبة العظمى هي الخلود اذ لو
كان على كل حال منقطعا لكان الامر هينا ولكن
النيران في ابد بلا امد فاي قلب يحتمل ذلك واي
نفس تصبر على ذلك وكذلك قال عيسى عليه السلام ذكر
الخلود يقطع قلوب الخائفين وذكر عبد الخير
ان اخر من يخرج من النار رجل يقال له هناد عذب
الف عام ينادي يا حنان يا منان [illegible]
وقال ليتني كنت هنادا فتعجبوا من قوله [illegible] اليس
يوما يخرج قلت فرجع الامر كله الى الاصل

وهو الرزية التي تقصم الظهور وتصفر الوجوه
وتقطع القلوب وتذيب الاكباد وتدمي العيون
من العباد وهي الخوف في المرء نزع المعرفة فهذه الغاية
التي ينتهي اليها خوف الخايفين وتبكي عليها اعين
الباكين ولقد قال بعضهم ان الغموم ثلثة غم
الطاعة ان لا تقبل وغم المعاصي ان لا تغفر وغم
المعرفة ان لا تسلب وقال وغم المخلصون بل الغم
كله واحد بالحقيقة وهي غم المعرفة وكل غم
دونه اد له انقضا ولقد بلغنا عن يوسف بن اسباط
انه قال دخلت على سفين فبكى ليلة اجمع
فقلت بكاوك هذا من على الذنوب فقال
الذنوب اهون على الله من هذا وانا اخشى ان سلبني
الله الاسلام نسال الله ربنا المنان الا يبتلينا بمصيبة
الاسلام وان يتم علينا كثير نعمه وان يتوفنا على ملة
الاسلام انه ارحم الراحمين وقد ذكرنا سبب سوء الخاتمة
ومعناه في كتاب احياء علوم الدين فتامل هذه الجملة

فان التفصيل اكثر من هنالك فان الخوض فيه ها هنا خرج الى الاكثار
ياتي عليه الوهم والذكر لعلك تفلح بعون الله وحسن توفيقه
فان قلت اي الطريقين اسلك طريق الخوف
او طريق الرجاء يقال لك بل المركب بينهما فلقد قيل
من غلب عليه الرجا صار مرجيا بل زعم لخاف عليه
ان يصير مرجيا حرميا ومن غلب عليه الخوف صار جزوريا
والمراد ان لا ينفرد باحدهما دون الاخر فان بالحقيقة
الرجا الحقيقي لا ينفك باحدهما دون الاخر عن الخوف
الحقيقي والخوف الحقيقي لا ينفك عن الرجاء ولذلك قيل
مع الرجا كله لاهل الخوف الا الامن والخوف كله
لاهل الرجاء الا الياس فان قلت فهل يكون
احدهما ارجح واكثر ذكرا الجال فاعلم ان العبد اذا
كان صحيحا قويا فالخوف اولى واذا مرض وضعف لا سيما
اذا اشرف على الاخرة فالرجا اولى هكذا سمعت
العلما يقولون قلت وذلك لما روي ان الله تعالى يقول
انا عند المنكسرة قلوبهم من مخافتي فيصير رجاوه

في ذلك الوقت لانكسار قلبه وخوفه المتقدم زمان
الصحة والقوة والامكان ولذلك يقول لهم لا تخافوا
ولا تحزنوا فان قلت اليس قد جاء من الاخبار الكثيرة
في حسن الظن بالله والترغيب في ذلك فاعلم ان من حسن
الظن بالله تعالى التحذر عن معصية الله الحذر من معصيته
والخوف وخاف والاجتهاد من عقابه والحث الجنة الذي
في خدمته واعلم ان هاهنا اصلاً اصيلا ونكتة عزيزة
يغلط فيها الكثير من الناس وهو ان الفرق بين الرجا
والامنية ان الرجا يكون على اصل والتمني لا يكون على اصل — اصل
مثاله من زرع واجتهد وجمع بيدرا ثم يقول ارجو ان يحصل
لي مائة قفيز فذلك منه رجا والاخر لا يزرع زرعا
ولا يعمل يوما فذهب ونام وغفل سنة فاذا جات وقت
البيادر يقول ارجو ان يحصل لي مائة قفيز فيقول
له من اين لك هذا الرجا وانما ذلك امنية بلا اصل فكذلك
العبد اذا اجتهد في عبادة الله والانتهاء عن معصية الله
تعالى قال ارجو ان يتقبل الله هذا اليسير ويتمم

(ويعفوا)
هذا التقصير ويعظم الثواب ويغفر عن الزلل اي حسن
الظن فهذا منه رجا واما اذا غفل ذلك وترك الطاعات
وارتكب المعاصي ولم يبال بسخط الله ورضاه ووعده
ووعيده ثم اخذ يقول ارجو من الله الجنة والنجاة من
النار فذلك منه امنية لا حاصل تحتها سماها رجا
وحسن ظن وذلك خطا وضلال فان قلت فما يبين هذا
الاصل ما روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم الكيس
من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من
اتبع نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل وفي ذلك يقول
الحسن البصري ان اقواما الهتهم اماني المغفرة
حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة يقول اني
احسن الظن بربي وكذب لانه لو احسن الظن
بربه لاحسن العمل له ثم تلا قوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم
ارديكم فاصبحتم من الخاسرين وعن جعفر الضبعي قال رايت
ابا ميسرة العابد وقد بدت اضلاعه من الاجتهاد فقلت
يرحمك الله ان رحمة الله واسعة فغضب وقال هل

(margin: والاجتهاد [?])

رايت مني ما يدل على القنوط ان رحمة الله قريب من
المحسنين قال جعفر فابكاني قوله فاذن كل الرسل والابدال
والابدال والاولياء مع كل هذا الاجتهاد في الطاعة والحذر
عن المعصية ناشئ تقول ما كان لهم حسن الظن بالله تعالى
بلى فانهم كانوا عارفين بسعة رحمة الله عز وجل واحسن
ظنا بجوده منك ولكن علموا ان ذلك دون الاجتهاد امنية
وغرور فاعتبر بهذه النكتة وتامل وانتبه من رقدتك
والله تعالى ولينا التوفيق فصل وجملة الامر
انك اذا تذكرت سعة رحمة الله عز وجل التي سبقت غضبه
ووسعت كل شيء ثم كنت من هذه الامة المرحومة
الكريمة على الله تعالى ثم غاية فضله العظيم وكمال
جوده القديم ثم جعل عنوان كتابه اليك بسم الله الرحمن
الرحيم ثم كثرة اياديه اليك ونعمه عليك ظاهرة
وباطنة من غير شفيع او قدم سابقة لك وتذكر من
جانب اخر كمال جلاله وعظمته وعظم سلطانه وشدة

١٣١

ثم شدة غضبه الذي لا تقوم له السموات والارض ثم غاية
غفلتك وكثرة ذنوبك وجفوتك مع دقة امره وخطر
معاملته في احاطة علمه وبصره بالعلوم والغيوب
ثم حسن وعده وثوابه الذي لا يبلغ كنهه الاوهام
وشدة وعيده واليم عقابه الذي لا يحتمل ذكره
القلوب تارة تنظر الى فضله ورحمته ورأفته
وتارة تنظر الى نفسك في جفواتها وجناياتها نادى
بك جميع ذلك الى الخوف والرجاء وكنت قد سلكت
السبيل الشارع القصد وعدلت عن الجانبين
المهلكين الامن واليأس ولا تتيه فيهما مع التائهين
ولا تهلك مع الهالكين وشربت الشراب
الممزوج العدل فلا تهلك ببرودة الرجاء
بحرارة الخوف الصرف فكاني بك وقد وصلت
الى المقصود غانما وسلمت امن العيش سالما وقد
وجدت النفس وقد انبعثت الطاعة ودامت في الخدمة
ليلا ونهارا من غير فترة ولا غفلة واجتنبت المعاصي

خ تودى

والمجاري وهجرتها كما قال نوف بن نوف اذا ذكر
الجنة طال شوقه واذا ذكر النار طار نومه وصرت
حينئذ من الاصفياء الخواص العابدين الذين وصفهم
الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات الاية
وكنت قد خلفت هذه العقبة الخطيرة باذن الله
تعالى حسن توفيقه فكم لك من حلاوة وصفوة في الدنيا
وكم لك من ذخر كريم واجر عظيم في العقبى فالله سبحانه
مسؤل ان يمدك واياي بحسن توفيقه وتسديده انه
ارحم الراحمين واجود الاجودين ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم

الباب السادس

في العقبة السادسة وهي عقبة القوادح

ثم عليك يا اخي ايدك الله واياي بحسن توفيقه بعدما
استتب لك التحصيل واستقام لك المسير بتيسير سعيك
صيانته عما يفسده ويضيعه عليك وانما ذلك
باقامة الاخلاص وذكر المنة والاجتناب عن ضده
لا سيما احدهما لمه نعله من العابدين وهو حسن بالقبول

من الله تعالى ووفور الثواب عليه والا فيكون مردودا
ذاهب الثواب كلا او بعضا على ما روي في الحديث
المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه
يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملا فاشرك
فيه غيري فنصيبه له فاني لا اقبل الا ما كان
لي خالصا وقيل ان الله تعالى يقول لعبده يوم القيامة
اذا التمس ثواب عمله الم نوسع لك في المجالس الم
تكن الموسوم في الدنيا الم نرخص بيعك وشراءك الم
نكرم هذا واشباهه من الخطر والضرر قلت
من خطر الدنيا فضيحتان ومصيبتان اما الفضيحتان
فاحديهما فضيحة السر وهو انه اليوم على رؤوس
الملائكة وذلك كما روي ان الملائكة تصعد
بعمل العبد مبتهجين فيقول الله تعالى ردوه الى سجين
فانه لم يردني به فيفتضح ذلك العبد والعمل
والثانية فضيحة العلانية وهي يوم القيامة على

روس الخلائق روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
المرائي ينادي يوم القيامة باربعة اسما يا كافر يا
فاجر يا خاسر ضل سعيك وبطل اجرك ولا
خلاق لك التمس الاجر ممن كنت تعمل له يا
مخادع وروي انه ينادي منادي يوم القيمة تسمع
الخلائق اين الذين يعبدون الناس قوموا خذوا
اجوركم ممن عملتم له فاني لا اقبل عملا خالطه شي واما
المصيبتان فاحدهما فوت الجنة وذلك بما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان الجنة تكلمت وقالت
انا حرام على كل بخيل ومرائي والخبر يحتمل معنيين
احدهما ان هذا البخيل من يبخل بهذا القول
وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله ومن
المرائي من يرائي باقبح الريا وهو المنافق الذي يرائي
بايمانه وتوحيده وفي هذا القول ترجيه والثاني
ان من لم ينته عن البخل والريا ولم يراع نفسه
نفسه خطر ان يجعه شوم ذلك بنفع في الكفر
فيفوته الجنه راسا والعياذ بالله والمصيبة الثانية

دخول النار وذلك لما روي عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان اول من يدعى يوم القيامة
رجل جمع القران ورجل قاتل في سبيل الله
ورجل كثير المال فيقول الله تعالى للقاري
الم اعلمك ما انزلت على رسولي فيقول بلى يا رب
فيقول فما عملت فيما علمت فيقول يا رب قمت به
اناء الليل واطراف النهار فيقول الله عز وجل كذبت
وتقول الملائكة كذبت ويقول الله تعالى
بل اردت بذلك ان يقال فلان قاري
فقد قيل ذلك فيوتى بصاحب المال فيقول الله
تعالى الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد
فيقول بلى يا رب فيقول فما عملت فيما اتيتك
فيقول كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله تعالى
بل اردت كذبت وتقول الملايكة كذبت
فيقول الله تعالى بل اردت ان يقال فلان جواد
فقد قيل ذلك فيوتى بالذي قتل في سبيل الله فماذا
فعلت فيقول امرت بالجهاد في سبيل الله فقاتلت

حتى تقتل فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة
كذبت بل اردت ان يقال فلان جري فقد
قيل ذلك ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ركبتي وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق
الله تسعر بهم نار جهنم وعن ابن عباس رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
النار واهلها يعجون من اهل الرياء قيل يا رسول الله كيف
تعج النار قال من حر النار التي يعذبون بها وفي هذه
الفضيحة بلاغ لاولي الابصار والله تعالى ولينا
الهداية بفضله فان قيل فاخبرنا بحقيقة الاخلاص
والرياء وحكمهما وتاثيرهما في العمل فاعلم ان الاخلاص
عند علمائنا اخلاصان اخلاص العمل واخلاص
طلب الاجر فاما اخلاص العمل فهو ارادة التقرب الى الله سبحانه
وتعالى وتعظيم امره واجابة دعوته والباعث
عليه الاعتقاد الصحيح وضد هذا الاخلاص
النفاق وهو التقرب الى غير الله وقال شيخنا
النفاق هو الاعتقاد الفاسد الذي هو للمنافق في الله عز

الفضايح

وجل وليس هو من قبيل الارادات لعلة ذكرناها
في موضعها واما الاخلاص في طلب الاجر فهو ارادة
نفع الاخرة بعمل الخير وكان شيخنا يقول انه ارادة
نفع الاخرة بذكر ما يعد من خيره بحيث يرجى
به نيل المنفعة وقد شرحنا هذه الشرائط وقال
الحواريون لعيسى بن مريم عليهما السلام ما الخالص
للاعمال قال الذي يعمل لله تعالى لا يحب ان يحمده
عليه احد وهذا تعرض لترك الدنيا وانما خصه
بالذكر لانه اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص
وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال من الكدورات
وقال الفضيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان
الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل في
هذا كثيرة ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف
الحقيقة وقد قال سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم
اذ سئل عن الاخلاص فقال تقول ربي الله عز وجل ثم
تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا
ربك وتستقيم في عبادته كما امرت وهذه اشارة الى

قطع ما سوى الله عز وجل عن مجرى النظر وهو الاخلاص
حقا وضد الاخلاص الريا وهو ارادة نفع الدنيا
بعمل الاخرة ثم الريا ضربان ريا محض وريا تخليط
والمحض ان تريد به نفع الدنيا ونفع الاخرة وهذا
حدهما واما تاثيرها فان اخلاص العمل ان يجعل الفعل
قربة واخلاص طلب الاجر ان يجعله مقبولا وافر الاجر
والتعظيم والنفاق يحبط العمل ويخرجه عن كونه قربة
مستحقا عليه الثواب بالوعد من الله عز وجل فالريا المحض لا
يكون من المعارف عند بعض العلما وان كان ابطل نصف
الثواب وعند اخرين قد يكون الريا المحض من المعارف
فانه يذهب بنصف الاضعاف والتخليط يذهب
بربع الاضعاف والصحيح عند شيخنا ان الريا المحض لا يكون
من المعارف مع تذكره الاخرة ويكون مع السهو والخسران
من تاثير الريا رفع القبول والنقصان في الثواب
وان لا تقدير له بنصف او ربع وشرح هذه المسايل
يطول وقد شرحنا في كتاب الاحياء شرحا مستقصيا
واشبعنا القول في اسرار معاملات الدين فان قلت

فما موضع الاخلاص وفي اي طاعة يقع ويجب فاعلم ان بعض
الاعمال عند العلماء ثلثه قسم يقع فيه
الاخلاصان جميعا وهو العبادات الظاهرة
الاصلية وقسم لا يقع فيه اخلاص شي منهما وهي
العبادات الباطنة الاصلية وقسم يقع فيه اخلاص
طلب الاجر دون اخلاص العمل وهو المباحات
الماخوذة للعدة وقال شيخنا ان كل عمل يحتمل
الصرف الى غير الله من العبادات الاصلية يقع
فيها الاخلاصان العمل فاما اخلاص طلب الاجر قال
مشايخ الكرامية انه لا يقع في العبادات الباطنة
اذ لا يطلع عليها احد غير الله سبحانه وتعالى فامتنع فيها
دواعي الريا لم يحتج الى اخلاص طلب الاجر وكان
شيخنا يقول اذا اراد غير الله تعالى بالعبادات الباطنة
الدنيا فهو ايضا ريا قلت انا فلا يبعد اذن
ان يقع في كثير من العبادات الباطنة الاخلاصان
وكذلك النوافل يجب فيها الاخلاصان جميعا عند

الشروع واما المباحات المتخذة للعدة فيقع فيه
اخلاص من طلب الاجر دون اخلاص العمل اذ هي لا تصلح
ان تكون بنفسها قربة بل هي عدة على القربة
فان قلت هذا موضعهما فبين لنا وقتهما من العمل فاعلم
ان اخلاص العمل مع الفعل يقارنه لا محالة ولا يتاخر
عنه واما اخلاص طلب الاجر ربما يتاخر عنه وعند
بعض العلماء يعتبر فيه وقت الفراغ من العمل فاذا
فرغ عجل الاخلاص اذ ربما فقد انقضى الامر ولا يمكنه استدراكه
بعد وعند غيرنا من مشايخ الكرامية ما لم ينل المنفعة
المطلوبة بالريا يمكنه اقامة الاخلاص في ذلك
العمل فاذا نال المطلوب فقد فات وقال بعض
العلماء ان الفريضة يمكن اقامة الاخلاص فيها الى الموت
فاما النوافل فلا سبيل الى ذلك قال والفرق بينهما ان
الله تعالى ادخل العبد في الفريضة فمامول منه
التفضل والتيسير فيه واما النفل فالعبد ادخل فيه
نفسه وتكلفه فطولب بحزم ما تكلف فات

في هذه المسئلة فائدة وهي ان من شق عليه الريا
او ترك الاخلاص في عمل يمكنه استدراك ذلك ولا يجبر
على احد الوجوه التي ذكرنا والمقصود من نقل
مذاهب الناس في هذه الدقائق علمنا بقلة العاملين
وقلة الرغبة في سلوك هذا الطريق والتقريب
على المبتدي في العبادة فان لم تجد لعلته دواء في
هذا القول وجدته في الاخر لاختلاف الاغراض
على الاعمال واما بيانها فافهم راشدا ان شاء الله تعالى
فان قلت لكل عمل يحتاج الى اخلاص بمفرده فاعلم
انه قد اختلف في ذلك فقيل انه يجب لكل عمل
اخلاص بمفرده وقيل انه يجوز تناول اخلاص
بجملة من العبادات اما العمل ذو الاركان كالصلوة
والوضوء يكفيها اخلاص واحد لان بعضها متعلق
ببعض صلاحا وفسادا فصار كشيء واحد
فان قلت ان اراد بعمله الخير من الله تعالى ولا يريد
من الناس شيئا من مدحة او سمعة او منفعة ليكون

ذلك ريا فاعلم انه محض الريا فان علماونا
الاعتبار في الريا بالمراد لا بالذي يحسنه فان
كان مراده بذكر من عمل الخير نفعا دنيويا فانه ريا سوا
ارادته من الله تعالى او من الناس فالله تعالى ومن كان
يريد حرث الدنيا نوته منها الا وبعض الاعتبار
بلفظة الريا واشتقاقه من معنى الروية وانما سميت
هذه الارادة الفاسدة بهذا الاسم لانه اكثر ما تقع تكون
من قبل الناس ورويتهم فافهم فان قلت اذا كان
القصد في الدنيا التي يريدها من الله تعالى التعفف
عن الناس والقوة على العبادة ايكون ذلك ريا فاعلم
ان التعفف ليس في كثرة المال والحطام انما هو
في القناعة والثقة بكفاية الله سبحانه واما القوة
على عبادة الله تعالى فاذا كان مراده ذلك فلا
تكون ريا وكذلك ما يتصل بامر الاخرة
واسبابها وتصير لطفا كذلك فان اريد بعمل الخير
هذا النوع لا تكون تلك الارادة ريا لان هذه الامور

تصير بتلك النية خيرا وتصير في حكم اعمال الاخرة
ولا يكون ارادة الخير ريا وكذلك ان اردت ان يكون
لك تعظيم عند الناس او هيبة عند المشايخ والايمه
يكون قصدك بذلك التمكن من تاييد مذهب
الحق والرد على اهل البدع والنشر للعلم او حض الناس
على العبادة ونحو ذلك دون ان تقصد بذلك شرف
النفس من حيث هي او دنيا ينالها فان هذه كلها
ارادات جميلة وثواب محمود لا يدخل شي منها
في باب الريا اذ المقصود منها امر الاخرة بالحقيقة
فاعلم ان التي سالت بعض مشايخنا لعبادة اوليانا
من قراة سورة الواقعة في ايام العسرة اليس المراد
بذلك ان يدفع تلك الشدة عنهم ويوسع عليهم شي
من الدنيا على ما جرت العادة فكيف يصح ارادة متاع
الدنيا بعمل الاخرة فقال في جوابه كلاما
معناه ان المراد منهم ان يرزقهم الله تعالى قناعة

او قوتا يكون لهم عدة على عبادة الله تعالى وقوة على
درس العلم وهذه من جملة ارادات الخير دون الدنيا
واعلم ان هذه السيرة اعني قراة هذه السورة
عند الشدة في امر رزق والخصاصة انما هو شي
ورد به الاخبار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم
وعن الصحابة رضي الله عنهم حتى كان ابن مسعود
رضي الله عنه حين عوتب في امر ولده في ان
لم يترك لهم الدنيا شيئا قال لقد خلفت لهم سورة
الواقعة ومن ذلك الاصل جرى هذه الخصلة في
بين علمائنا والافاضل من الاولياء عند الله تعالى لشدة
في امر الدنيا او سعة الذين يعتقدون ضيق الدنيا
وعسرها ويتفاءلون بذلك فيما بينهم ويعدونه
من الله تعالى نعمة عظيمة ويخافون اذا بدا لهم سعة
من الدنيا التي لا يعدها اكثر الناس الا الضيق
والشدة واشتد الحياء من الله تعالى ومصيبة كيف

وبطانتهم الاسفار والطي في عموم الاحوال وكثير
منهم يقولون الجوع راس مالنا فهذا اوضع اهل التصوف
وهو مذهبي ومذهب اشياخي وبذلك جرت سيرة
سلفنا واما تنصير بعض المتأخرين فلا يعتبر به وانما
ذكرنا هذا الفصل لئلا يغتر بهم مخالف جهلا منه
بمقاصد القوم في امورهم او يغلط فيهم مبتدي علم
القلب لا يأخذ من العلم حقه بانه كيف يليق هذا
بحال اهل الزهد والتجرد وارباب الصبر والرياضة — الصدر خ
ولم يعلم ان هذا شي ماخوذ من السنة ثم المقصود حصول
القناعة والعدة لا اتباع الشره والشهوة او الضعف
عن احتمال العقة والشدة واكثر ما يرى في عقب ذلك
قناعة في القلب وتفقد كلب الجوع وضعفه وسلوة عن
الطعام وتهنئه على ذلك من اعتقد به فاعلم هذه الجملة
موفقا

الفادح الثاني العجب

وانما يلزمك — العجب
اجتنابه لامرين احدهما لانه يحجب التوفيق والتاييد من الله
تعالى فان المعجب مخذول واذا انقطع عن العبد التوفيق

والتاييد ما اسرع ما يهلك ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
المرء بنفسه والثاني انه يفسد العمل الصالح ولذلك قال
المسيح يا معشر الحواريين كم من سراج قد اطفاته
الريح وكم من عابد افسده العجب واذا كان
المقصود والفايدة العبادة وهذه الخصلة تحرم
العبد حتى لا يحصل له خير فان حصل قليل قليل من
ذلك يفسده حتى لا يبقى بيده شي فحقيق ان يحذر من
ذلك ويتحفظ والله عز وجل ولينا التوفيق والعصمة
فان قلت فما حقيقة العجب ومعناه وما تاثيره وحكمه
فبين لنا ذلك فاعلم ان حقيقة العجب استعظام العمل
الصالح وتفصيله عند علمائنا ذكر العبد حصول
العمل الصالح بشي دون الله عز وجل او الناس او النفس
قالوا وقد يكون العجب مثلثا بان يذكر ذلك من
هذه الثلاثة جميعا النفس والخلق والشي ومثنى بان يذكر
من اثنين وموحدا ان يذكر من واحد وضد العجب

حقيقة العجب

ذكر المنة وهو ان يذكر انه بتوفيق الله عز وجل
وانه الذي شرفه وعظم ثوابه وهذا الذكر فرض
عند دواعي العجب نفل في ساير الاوقات واما تاثير العجب
في العمل قال بعض اصحابنا ينتظر بالاحباط فان تاب
قبل موته سلم والا احبط والذي ذهب محمد بن صابر
شيخ الكرامية والاحباط عنده ان تذهب عن العمل
جميع الاشيا الحسنه حتى لا يستحق بذلك ثوابا ولا مدحة
البتة وفي قول غيره هو ذهاب الاضعاف لا غير فان
قلت كيف يلتبس على العبد العارف ان الله تعالى
هو الذي وفق للعمل الصالح وعظم قدره واكثر ثوابه
بفضله ومنته فاعلم ان ها هنا نكتة لطيفة
مخبرة شريفة وهو ان الناس في العجب ثلثة اصناف
صنف هم المعجبون بكل حال وهم المعتزلة والقدرية
الذين لا يرون لله تعالى عليهم منة في افعالهم وينكرون
العون والتوفيق الخاص واللطف وذلك شبهة استولت
عليهم وصنف هم الذاكرون للمنة بكل حال وهم
المتقون لا يعجبون بشي من الاعمال وذلك لبصيرة

اكدروا بهما وتأييد خصوا به والثالث المخلطون
وهم عامة اهل السنة تارة يتنبهون فيذكرون منة
الله تعالى وتارة يغفلون فيعجبون وذلك لمكان
الغفلة العارضة والفترة في الاجتهاد والنقص
في البصيرة فان قلت كيف حال المعتزلة والقدرية
في افعالهم فاعلم ان في ذلك اختلافات فقيل انها محبطة
لمكان حبط اعتقادهم وقيل لا يحبط عمل باعتقاد
الجملة من فرق الاسلام حتى تخص كل عمل بالحجاب كما
ان اعتقاد اهل السنة لا يمنع العجب والرياء في كل
عمل حتى تخصه بذكر منة فان قيل فهل سوى العجب
والرياء من قادح في العمل قيل له اجل ان فيه لقوادح
سواهما الا انا خصصناهما بالذكر لانهما الاصل الذي
يدور عليهما معظم الباب وقد قال بعض المشايخ ان حق
العبد ان يحفظ في العمل من عشرة اشياء النفاق
والرياء والتخليط والمن والاذى والندامة والعجب
والحسرة والتهاون وخوف ملامة الناس وذكر
شيخنا ضد كل خصلة منها واضدادها بالعد فضد

بلغ مقابلة

١٤٥

النفاق اخلاص العمل وضد التخليط التفريط وضد
المن تسليم العمل لله تعالى وضد الاذى تحصين
العمل وضد الندامة تثبيت النفس وضد العجب
ذكر المنة وضد الحسرة اغتنام الخير وضد
التهاون تعظيم التوفيق وضد خوف الملامة الخشية وعلم
ان النفاق يحبط العمل والرياء يوجب رده والمن والاذى
يحبطان يحبطان الصدقة اصلا في الوقت وعند
بعض المشايخ ببطلان اضعافها واما الندامة فانها
تحبط العمل في قولهم جميعا والعجب يذهب اضعاف العمل
والحسرة والتهاون يخفف العمل فيذهب زينته
قلت فالقبول والرد عند التحصيل يرجعان
الى خبر يجب من التعظيم والاستحقاق والاحباط ابطال
منافع يكون بالفعل بسببه ثم تارة يكون ابطال
الثواب واخرى ابطال التضعيف والثواب منفعة
يقتضيه الفعل بعينه وقرائنه واحواله والتضعيف
زيادة تقع على هذا والزيادة زيادة تحصل بمقتضى قرائن
واحوال اخر كالاحسان الى احد من اهل الخير ثم الى الولد

ثم الى نبي من الانبياء في الشيء يكون زمانه ولا يكون
بضعيف فهذا التهذيب ما تحققت في هذه المعاني
فافهم وبالله التوفيق فصل ثم عليك بقطع
هذه العقبة المخوفة ذات المقاطع والمتالف
في غاية التحرز فان صاحب بضاعة الطاعات
قد قطع كل تلك العقبات وتحمل تلك المشقات حتى حصل
بضاعة من الطاعات العبادة عزيزة شريفة فانه
لا يخاف على بضاعته تلك الا في هذه العقبة فان
فيها مقاطع يحذر ان تسلب فيها بضاعته ومتالف
يحذر ان يبدو منها آفات تفسد عليه طاعته
ثم اعظمها خطرا واعمها وقوعا هذان المقطعان
اللذان هما الرياء والعجب فلنذكر كل واحد اصولا
مقنعة نجردها لك لعلك تكفى مؤنتهما باذن الله
تعالى اما الرياء فاذكر اولا قول الله تعالى الله الذي
خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل
الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير كان
الله تعالى يقول اني خلقت السموات والارض
وما بينهما في كل هذه الصنائع والبدائع والكيفية
بنظرك لتعلم اني قادر عليم ثم عليم وانت تصلي

١٤١

ركعتين مع ما فيهما من المعايب والتقصير فلا تكفي
بنظري اليك وبعلمي وثنائي عليك وشكري لك حتى
تحب ان تعلم الخلق ليدخل بذلك ايكون
ذلك وفاء ايكون ذلك عقلا برضاه احد لنفسه
وعملا افلا تعقل الاصل الثاني ان من كان
له جوهر نفيس يمكنه ان ياخذ بثمنه
الف الف دينار فباعه بفلس اليس ذلك يكون
خسرانا عظيما وغبنا فظيعا ودليلا بينا على خسة
الهمة وقصور العلم وضعف الراي ورقة العقل
وما يناله العبد بعلمه من الخلق من مدحه وحطام في
الاضافة الى رضاء رب العالمين وشكره وثنائه
وثوابه لاقل من فلس في جنب الف الف دينار بل في
جنب الدنيا وما فيها واكثر الا يكون من الخسران
المبين ان تفوت نفسك تلك الكرامات العزيزة
الشريفة بهذه الامور الحقيرة الدنية ثم ان كان
لا بد لك من هذه الخسيسة فاقصد انت الاخرة
يتبعك الدنيا بل اطلب الرب وحده يعطيك

الدارين اذ هو مالكهما جميعا ذلك قوله تعالى من كان
يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يعطي الدنيا بعمل
الاخرة ولا يعطي الاخرة بعمل الدنيا فاذا انت
اخلصت النية وجردت الهمة للاخرة
حصلت لك الاخرة والدنيا جميعا وان انت
اردت الدنيا ذهبت عنك الاخرة في الوقت
وربما لا تنال الدنيا كما تريد وان نلتها فلا تبقى فتكون قد
خسرت الدنيا والاخرة فتامل ايها العاقل
الاصل الثالث ان المخلوق
الذي من شانه تعمل ورضاه تطلب لو علم انك تعمل لاجله
لاجله لا يبغضك ويسخط عليك واستهانك
واستخف بك فكيف يعمل العاقل لاجل من لو علم انه يطلب
رضاه لسخط عليه واهانه فاعمل يا مسكين لاجل
من اذا عملت له وقصدته بسعيك وطلبت رضاه
بذلك احبك واكرمك واعطاك حتى ارضاك واغناك
عن الكل فكفاك بهذه هذه فانظر لما ان كنت فانظر

١٤٢

في حيوتكم الدنيا فانه بقدر ما يأخذ من لذات
الدنيا ينقص لكم من لذات الاخرة ولهذا
المعنى ان الله تعالى عرض الدنيا على نبينا
صلى الله عليه وسلم قال ولا انقصك من اخرتك
شيئا خصه بذلك فدل ان لغيره النقصان
الا ان يتفضل الله عليه بذلك ولقد روي
ان خالد بن الوليد اضاف عمر بن الخطاب
رضي الله عنهما وهيا له طعاما فقال عمر هذا لنا
فما للفقراء المهاجرين الذين ماتوا ولم يشبعوا
من خبز شعير قال خالد لهم الجنة يا امير المومنين
قال عمر رضي الله عنه لئن فازوا بالجنة وكان
هذا حظنا من الدنيا فقد باينونا بونا مبينا
وروي ان عمر رضي الله عنه عطش يوما فدعا
بماء فاعطاه رجل اداوة فيها ماء نبيذ فيه تمر
فلما قربها عمر رضي الله عنه من فيه وجد الماء
باردا حلوا فامسك وقال اوه فقال الرجل والله
انه لو نه حلاوة يا امير المومنين فقال عمر رضي الله

عنه ذلك الذي منعني وتحمل لولا الآخرة لشاركتكم
في عيشكم العاشرة الحبس والحساب واللوم
والتعيير في ترك الامر في اخذ الفضول وطلب
الشهوات بان الدنيا حلالها حساب وحرامها
عقاب وزينتها الى تباب فمثله جمله العشرة
في احديها كفاية لمن نظر لنفسه فعليك ايها
الرجل المجتهد بالاحتياط البالغ في القوت كيلا
تقع في حرام او شبهة فيلزمك العذاب ثم
بالاقتصار من الحلال على ما يكون عدة على العبادة
لله تعالى لئلا تقع في شره وتبقى في الحبس والحساب
والله ولينا التوفيق فان قلت فبين اولا
حكم الحرام والشبهة وحدها فاقول لعمري الله
لقد اشبعنا القول فيه في اسرار معاملات
الدين وذكرناه كتابا مفردا من كتب الاحياء
لكنا نشير الى ما كلمات مفردة بحيث يصل
الى فهم الضعيف المبتدي اذ مقصود
هذا الكتاب ان ينتفع به المبتدي في العباد

الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب

١٤٣

فصل الاصل الرابع ان من حصل
له شي يمكن ان يكتسب به رضا اعظم ملك
في الدنيا الا انه يطلب به رضا كناس خسيس بين
الناس فيكون ذلك دليلا على السفه ورداوة
الراي وقلة الحظ له وتعالى الله ما اخسك الى رضا هذا
الكناس مع امكانك من رضا الملك فكيف وقد تخطى الكناس
عليك ففاتك الملك ليهذا حال المرائي فاي حاجة له
الى رضا مخلوق حقير صغير مهين وهو متمكن من
تحصيل رضوان رب العالمين الكافي عن الكل
فان ضعفت الهمة وكلت البصيرة حتى طلبت
رضا المخلوق لا محالة فسبيلك ان تجرد ارادتك
وتخلص عملك لله فان القلوب والنواصي بيده فهو
يميل اليك القلوب ويجمع لك النفوس ويشحن من حبك
الصدور فتنال من ذلك ما لا يناله جهدك وقصدك و
ان لم تفعل وقصدت بعملك رضا المخلوقين دونه
سبحانه فانه يصرف عنك القلوب وينفر عنك النفوس

ويسخط عليك الخلق فيحصل لك بهذا الامر سخط الله
وسخط الناس جميعا فبالله من خسران وحرمان
ولقد ذكر عن الحسن انه قال كان رجل يقول
والله لاعبدن لله عبادة اذكر بها وكان اول
داخل للمسجد واخر خارج منه لا يراه احد حين
الصلوة الا قائما يصلي وصائما لا يفطر ويجلس
الى حلق الذكر فثبت كذلك تسعة اشهر فكان
لا يمر بقوم الا قالوا فعل الله بهذا المرائي وصنع
وقال فاقبل على نفسه وقال اراني في غير شيء لاجعلن عملي
كله لله فلم يزد على عمله الذي كان يعمل قبل ذلك
الا انه تغيرت نيته الى الخير فكان بعد ذلك
يمر بالناس فيقولون رحم الله فلانا الان قد اقبل
الى الخير ثم قرا الحسن ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا قال يحبهم ويحببهم الى المؤمنين
ولقد صدق القائل

يا مبتغي الحمد والثنا في عمل يبتغي الجلالا
من كان يرجو لقاء ربه اخلص من خوفه الفعالا

الخلد والنار في يديه نشر له بعطك الهوى الا يملكون
والناس لا يملكون شيئا فكيف راسهم صلالا
واما التعب فقد ذكر فيه اصولا احدها ان يعمل مصولا
العبد انما صار فضولا له قيمة لما وقع من الله تعالى
موقع الرضا والقبول والا فترى الاجير يعمل طول النهار
بدرهمين والحارس يسهر طول الليل بدانقين وكذلك
اصحاب الصناعات والحرف كل واحد يعمل في الليل
والنهار يكون قيمته ذلك دراهم معدودة فان صرفت
العمل الى الله عز وجل فصمت لله تعالى يوما قال انما
يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وفي الخبر اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهذا يومك الذي
قيمته درهمان مع احتمال التعب العظيم صار له
هذه القيمة الى عشاء ولو قمت ليلة لله فقد قال
الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
جزاء بما كانوا يعملون فهذا الذي قيمته دانقين
ودرهمان صارت له هذه القيمة والقدر

بتاخير عداء بل لو جعلت لله تعالى ساعة تصلي
فيها ركعتين خفيفتين بل نفسا قلت لا اله
الا الله تعالى ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو
مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها
بغير حساب فهذه نفس من انفاسك التي لا
قيمة لها عند اهل الدنيا ولا عندك فلم تضيعها
في لا شيء وكم تمر عليك بلا طائلة صار لها كل القدر
لما انه وقع من رضا الله تعالى تعظم قدرها
وكثرت قيمتها بفضله فحق اذن للعاقل ان يرى
حقارة عمله وقلة مقداره من حيث هو وان لا يرى
الا منة الله تعالى عليه فيما شرف من قدر
واعظم جزائه وان يحذر في عمله من ان يقع على وجه
لا يصلح لله تعالى ولا يقع منه موقع الرضا فيذهب
عنه القيمة التي حصلت له ويعود الى ما كان
في الاصل من الثمن الحقير من دراهم او دوانيق
والحقر والخسر من ذلك مثاله ان العنقود من العنب

والاضبارة من الريحان يكون قيمته في السوق
دانقا وان اهدى واحد الى ملك شيئا من ذلك فوقعت
منه موقع الرضا فيهب له على ذلك الف دينار لما
وقع من الملك موقع الرضا فصار ما قيمته حبة الف
دينار فاذا لم يرض الملك ورده عليه رجع الى قيمته
الخسيسة من حبة او دانق فكذلك الخير فيه فتنبه
وابصر منة الله وصن فعلك عما يشينه عند الله
عز وجل والثاني ان تعلم ان الملك في الدنيا اذا الحذى
على احد خزانة من طعام او كسوة او دراهم او دنانير
تعد وقة فانية فان يستخدمه بضرب الخدم
آناء الليل والنهار مع ما في ذلك الذل الصغار ويقوم
على راسه حتى يجد رجلاه بين يديه اذا ركب
وربما يحتاج ان يكون على بابه طول الليل حارسا
وربما يبدو له عدو فيحتاج ان يقاتل عدوه فيبذل
روحه الذي خلف عنها لاجله كل هذه الخدمة
والكلفة والخطر والضرر لاجل تلك المنفعة النكدة

الحقيرة مع انما الحقيقة من الله عز وجل وانما هو بمنزلة
سبب في ذلك فربك الذي خلقك ولم تكن شيا ثم
رباك واحسن التربية ثم انعم عليك من النعم الظاهرة
والباطنة في دينك ونفسك ودنياك ما لا يبلغ كنهه
فهمك ووهمك قال عز من قايل وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها ثم انك تصلي ركعتين مع ما فيهما من المعايب
والآفات وتطمع مما وعد عليهما في المستقبل من حسن الثواب
وضروب الكرامات حتى تستعظم ذلك وتعجب
فليس هذا من شان عاقل اذا نظرت في هذه
الاصل الثاني ان الملك الذي شانه ان
تخدمه الملوك والامرا وتقوم على راسه السادات
والعظما وتتولى خدمته الالبا والحكما ويطلب مدحته
العقلا والعلما ويمشي بين يديه الاكابر والروسا
اذا اذن لسوقي بمقتضى رافته وعنايته له في بابه حتى
زاحم الملوك والسادات والاكابر والافاضل
في خدمته ويجعل له نعاما من حضرته معلوما وينظر
ومرحمة

الى خدمته بعين الرضا وان كانت مشوشة معيبة
الشر يقال له لقد كثرت على الحقير المنة من هذا
الملك وعظمت عنايته به فان الخدمة منة به
على الملك تلك الخدمة المعيبة ويستعظم ذلك ويعجب به
الا يقال ان ذلك السفيه جدا او مجنون لا يعقل
شيا ولما تقرر هذا فان الهنا سبحانه هو الملك الذي
يسبح له السموات السبع والارضين ومن فيهن وان من
شي الا يسبح بحمده والمعبود الذي يسجد له من في السموات
والارض طوعا وكرها فمن الخدم على بابه جبريل
الامين وميكاييل واسرافيل وعزراييل وحملة العرش
والكروبيون والروحانيون وساير الملايكة
المقربين صلوات الله عليهم الذين لا يحصي عددهم
الا الله رب العالمين في منازلهم الرفيعة وانفسهم
الطاهرة وعباداتهم العظيمة ثم على بابه آدم
ونوح وابرهيم وموسى وعيسى ومحمد خير العالمين
مع ساير الانبياء والرسل صلوات الله عليهم اجمعين

في مراتبهم المنيفة ومناقبهم العزيزة الشريفة
ومقاماتهم الكريمة وعباداتهم الجليلة الخطيرة
ثم من العلماء والائمة والابرار والزهاد رضي الله عنهم
في مراتبهم العظيمة الفاخرة وابدانهم النقية
الطاهرة وعباداتهم الكثيرة الخالصة
المتظاهرة واذل الخدم على بابه ملوك الدنيا
وجبابرتها يخرون على الاذقان ساجدين يعفرون
الوجوه في التراب خاضعين ويرفعون حوائجهم
اليه باكين ضارعين حتى ربما ينظر اليهم
نظرة ويقضي لهم بفضله او يتجاوز عنهم بكرمه
وانه مع هذه العظمة والجلال والملك والكبريا
والكمال فقد اذن لك في حضرته وعبوديته وانت
الذي لو استاذنت على رئيس بلدك فربما لا ياذن
لك وان كلمت امير ناحيتك فربما لا يكلمك
وان سجدت لسلطان بلادك بالارض فربما لا يلتفت
اليك اذن لك جل جلاله حتى تعبده وتثني عليه

وتخاطبه بل يدل عليه بالمسألة وتباسطه فتستقضي
حاجتك وتستكفيه مهماتك ثم انه يرضى بركعتيك
في معاينتها بل يعد من الثواب عليهما ما لا يخطر بقلب
بشر وانت مع ذلك تعجب بهاتين الركعتين
وتستكثر ذلك وتستعظمه ولا ترى منة الله تعالى عليك
في ذلك فما اسوأ من رجل وما اجهلك من انسان والى الله
المستعان واليه المشتكى من هذه النفس الجاهلة
وعليه التكلان فتنبه منه فصل
وعلى وجه آخر الملك العظيم اذا اذن لادخال الهدايا
اليه فيدخل بحضرته الامرا والكبرا والرؤسا
والاغنيا بانواع الهدايا من الجواهر الثمينة والهدايا
النفيسة والاموال الجليلة فان جا بقال بباقة بقل
او قروي بسلة عنب يساوي دانقا او حبة فيدخل
في حضرته وبين اجمال الاغنيا والاكابر بهداياهم
الكثيرة النفيسة وهذا الملك يقبل من الفقير هديته
وينظر اليه بنظر القبول والرضا ويا من له يا نفس خلعة

وكرامة لا يكون ذلك منه غاية الفضل والكرم فان
اخذ ذلك الفقير يتبرك بذلك على الملك ويعجب به ويستعظمه
وينسى ذكر منة الملك الا بفضل ان هذا لعنوت
مضطرب العقل وشعبة شتى الادب عظيم الجهل
فالآن انك اذا قمت ليلة وصليت ركعات فاذا
فرغت فتفكر كم قام لله سبحانه وتعالى في هذه الليلة من
الخدم في اقطار الارض برها وبحرها وجبالها وبلاد
من اصناف المتقين من الصديقين والخائفين
والمشتاقين والمجتهدين والمتضرعين وكم حضرت
في هذه الساعة بباب الله تعالى من عبادة صافية
وخدمة خالصة عن انفس خاشعة والسن
طاهرة وعيون باكية وقلوب عامرة وصدور
نقية وصلوات اركانها بتلك الجهود في
تحسينها واحكامها واخلاصها فلا يكاد يصلح
لحضرة هذا الملك العظيم ولا يليق في جنب
تلك العبادات التي تعرض هنالك كيف وقد كانت
منك عن قلب غافل مختلط بانواع العيوب وبدن

نجس باقذار الذنوب ولسان متلطخ بانواع
المعصية والفضول فكيف يصلح هذا الا ان يحمل
الى تلك الحضرة وكيف يستاهل ان يهدى الى رب
١٤٨ العزة قال شيخنا انظر ايها العاقل هل وجدت قط
صلاة من صلواتك الى السماء كهدية بعثتها الى بيوت
الاغنياء وكان ابو بكر الوراق رحمة الله عليه
يقول ما فرغت من صلاة الا استحييت حين فرغت
منها اشد حياء من امرأة فرغت من الزنا ثم ان الرب
الكريم سبحانه بمحض كرمه وفضله عظم قدر
هاتين الركعتين ووعد عليهما من جزيل الثواب
ما وعد وانت عندك في حرايته فعلت ما علمت
بتوفيقه وتيسيره ومع ذلك تعجب بذلك وتنسى منة الله
عز وجل عليك هذا والله اعجب العجب لا يكاد يذهب
مثله الا على جاهل لا فكرة له وغافل لا ذهن له او قلب
ميت خاو لا خير فيه فهذه هذه نسال الله تعالى
الكفاية بمنه وفضله فصل

خ الرجل

ثم اقول بعد هذه تيقظ من رقدتك ايها الجاهل
في هذه العقبة والا كنت من الخاسرين فان هذه
العقبة اشد واشق واصر واضر عقبة
استقبلتك في هذه الطريق اذ اليها ينتهي ثمرة
كل ما مضى في العقبات فان سلمت غنمت وربحت
وان كانت الاخرى فقد ضاع السعي كله وخاب
الامل وبطل العمل ثم الشان كله انه قد اجتمع في هذه
العقبة هاهنا ثلثة امور الاول ان الامر دقيق خ احدها
جدا والغبن شديد والخطر عظيم اما دقة
الامر فان مجاري الريا والعجب في الاعمال دقيقة
خفية بالغاية فلا يكاد يتنبه لذلك الا كل نحرير
في امر الدين بصير يقظان القلب واني يطلع عليه
الجاهل اللغوب والغافل النوم ولقد سمعت
بعض علمائنا بنيسابور يحكي ان عطا السلمي نسج ثوبا
فاحكمه واحسنه جدا ثم حمله الى السوق فعرضه
فاسترخصه البزاز وقال ان فيه عيب كذا وكذا
فاخذه عطا وجعل يبكي بكاء

شديدا فندم الرجل على ذلك وجعل يعتذر اليه ويبذل
في ثمنه ما يزيد فقال عطا ليس ذلك ما تظن انما انا
عامل في هذه الصنعة وقد اجتهدت في احكام
هذا الثوب واصلاحه وتحسينه حتى لا يوجد
به عيب فلما عرض على البصير بعيوبه اظهر فيه
عيوبا كنت عنها غافلا فكيف اعمالنا هذه اذا عرضت
غدا على الله تعالى كم يبدو فيها من العيوب والنقصان
الذي نحن اليوم عنه غافلون وعن الصالحين قال بعض
كنت ليلة في وقت السحر في غرفة لي شارعة اقرا سورة
طه فلما ان ختمتها اغفيت اغفاءة فرايت شخصا
نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها فاذا فيها سورة
طه تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا
كلمة واحدة فاني رايت مكانها محوا ولم ار تحتها شيئا
فقلت والله لقد قرات هذه الكلمة ولا ادري بها ثوابا
ولا اراها اثبتت فقال الشخص صدقت قد قراتها
وكتبناها الا انا سمعنا مناديا ينادي من قبل العرش امحوها
واسقطوها [illegible] قال فبكيت في منامي فقلت

ثوابها

لم فعلت ذلك فقال بين رجل فرفعت بها صوتك
لاجله فهذه هدية واما شدة الغبن فلان الريا
والعجب انه يقع في لحظة فربما يفسد عليه عبادة
سبعين سنة وحكي ان رجلاً اضاف سفين
الثوري واصحابه فقال لاهله هاتوا الطبق
لا الذي اشتريته في الحجة الاولى بل الذي اشتريت
في الحجة الثانية فنظر اليه سفين وقال مسكين
قد افسدت بهذه الحجتين وحجة اخرى في الغبن
لان اقل طاعة سلمت عن هذا العجب والرياء
يكون لها من الله عز وجل القيمة ما لا نهاية له
واكثر طاعة اذا اصابتها هذه الآفة بقيت
لا قيمة لها الا ان تداركها الله تعالى على ما روي عن
علي عليه السلم انه قال لا يقل الله عملاً البتة وكيف عمل
يقل المقبول وسئل النخعي عن عمل كذا وكذا ما ثوابه
قال اذا قبل لا يحصى ثوابه وعن وهب قال كان
فيمن كان قبلكم رجل عبد الله تعالى سبعين عاماً صائماً
يفطر من سبت الى سبت ... الله ... حاجة

فلم ينقص ما قبل على نفسه وقال ان قبلك انت
لو كان عندك خير قضيت حاجتك فان الله
تعالى جعلكا وقال يا ابن آدم ساعتك التي ازريت على
على نفسك خير من عبادة تلك التي مضت قلت فلينظر
العاقل الى هذا الكلام البين من الغبن ان واحدا
يكدح ويتعب سبعين سنة وآخر يتفكر ساعة
واحدة فيكون فكرة ساعة افضل من سبعين
سنة والخبر البين من الغبن العظيم انك تمكنت
من ساعة خير من سبعين سنة وترك ذلك من غير
حاجة بلى والله انه اعظم الغبن وان اغفاله لاشد
خسراناً وان الخصلة التي لها هذه القيمة يجب ان
تحذر من فواتها وتجتنب ولمثل هذا المعنى انما وقع
نظر اولي الابصار من العباد في مثل هذه الدقائق
واهتموا بمثل هذه الاسرار بمعرفتها ولاثم برعايتها
والحق ... فانيا ولم يغنم كثرة الاعمال
الظاهرات ... الشأن في الصفوة لا في الكثرة

في الواحد هيئة وأحدة خير من ألف خرزة وأما الذين
قل علمهم وكل في هذا الباب نظرهم جهلوا المعاني
واغفلوا ما في القلوب من العيوب واشتغلوا باتعاب
النفوس في الركوع والسجود والامساك عن الطعام
والشراب ونحوه نعزهم العدد والكثرة
ولم ينظروا الى ما في المخ والصفوة وما يغني عدد الجوز
ولا لب فيها نعم رفع السقوف ولم يحكم مبانيها
وما يعقل هذه الحقائق الا العالمون بالله المكاشفون
والله ولي الهداية بفضله واما عظم الخطر فمن
وجوه احدها ملك لا نهاية لجلاله وعظمته وله
عليك نعم لا تعد ولا تحصى وبدن معيب بعيوب
خفية تعرف بافات كثيرة وامر مخوف ان وقع
ذلك مع تسارع النفس اليه فيحتاج ان يستخرج عملا
صالحا صافيا سالما من بدن معيب ونفس مبتلاة الى الشر
امارة بسوء على وجه يصلح لرب العالمين في جلاله
وعظمته وكثرة الائه ومننه ونعمه ثم يقع
الرضاء والقبول والا فقد تكبر الذي
تسمح النفس بقوته بل رغما تصيب مصيبة طاقة لك

سبحانه

١٥١

وبها وهذا والله شان عظيم وخطب جسيم ان جلال
الملك وعظمته بحيث ان الملائكة المقربين
الابرار القائمين بالخدمة حتى ان منهم من هو منذ
خلقه الله تعالى في قيام ومنهم من هو في ركوع ومنهم
من هو في سجود ومنهم من هو في تسبيح وتهليل فلا الساجد
يتم سجوده ولا القائم قيامه ولا الراكع ركوعه
ولا المسبح تسبيحه ولا المهلل تهليله الى نفخة الصور
ثم لما فرغوا من هذه الخدمة العظيمة قالوا باجمعهم سبحانك
ما عبدناك حق عبادتك وهذا سيد المرسلين وخير العالمين
واعلم الخلق وافضلهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
يقول انا لا اقدر ان اثني عليك ثناء انت له اهل فضلا ان
اعدل كما انت له اهل وهو الذي يقول ليس احد يدخل
الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا
ان يتغمدني الله برحمته واما النعمة والايادي فكما قال
الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وعلى ما ردي

انه يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة دواوين
ديوان الحسنات وديوان السيئات وديوان النعم
فلا يوفي بحسنة الا ادّي بنعمة حتى تعم الحسنات
وتبقى السيئات والذنوب فلله تعالى فيهما المشية
واما عيوب النفس وآفاتها فقد قدمناها في ابتداء الامر.
المخوف ان العبد يكدح ويداب سبعين سنه
غافلا عن عيوبه وآفاته فربما لا يكون واحدة منها
مقبولا وربما يتعب اعواما فيفسد بساعة واحدة واعظم
خطرا من ذلك كله انه ربما ينظر الله تعالى الى
العبد وهو يرائي الناس بعبادته وخدمته فجعل
ظاهره وباطنه للخلق فيطرده طرد الامرد له
والعياذ بالله ولقد سمعت بعض العلما يحكي عن الحسن
البصري رحمة الله عليه انه رأى في المنام فسئل
عن حاله فقال اقامني الله عز وجل بين يديه وقال يا حسن
اتذكر يوما كنت تصلي في المسجد اذ رمقك الناس
بابصارهم فزدت تحسينا لصلاتك [illegible] صلوتك

كان لي خالصا لطردتك اليوم عن بابي ولقطعتك
ولقطعتك عني مرة واحدة ولما كان الامر في الجملة
من الدقة والصعوبة الى حد عظيم خطرا ولو الابصا
فيه فخافوا على انفسهم حتى ان منهم من كان يلتفت
الى جميع ما يظهر للناس من اعماله حتى حكي ان رابعة اعماله
قالت ما ظهر من اعمالي لا اعده شيئا وقال الحرير
اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم واخر يقول ان امكنك
ان تجعل لك خبيئا من الخير فافعل فافعل ولقد حكي انه قيل
لرابعة بم ترتجين اكثر ما ترتجين قالت باياسي من
كل عملي وحكي انه اجتمع محمد بن واسع ومالك بن
دينار فقال مالك اما الطاعة او النار فقال محمد بن واسع
اما رحمة او النار فقال مالك ما احوجني الى معلم مثلك
وعن ابي يزيد البسطامي قال كابدت العبادة ثلثين
سنة فسمعت قائلا يقول لي يا ابا يزيد ان خزائنه
مملوة من العبادة ان اردت الوصول اليه فعليك

بالذلة والافتقار وسمعت الاستاذ ابا الحسن يحكي عن
الاستاذ ابي الفضل انه كان يقول اني اعلم ان ما اعمله من
الطاعات غير مقبولة عند الله فقيل له في ذلك فاجاب
اني اعلم ما يختلج اليه من الفعل حتى يكون مقبولا واعلم اني
لست اقوم بذلك فعلمت انها غير مقبولة قيل له فلم تفعلها
قال عسى ان يصلحني الله يوما فتكون النفس معودة
لعمل الخير فلا احتاج ان اعودها ذلك من الراس فهذه حال
هولاء الاعلام وذوي المجاهدات والاخطار
فاطلب لنفسك صحبة من غيرهم مع الاباين وخابت الامال
هيهات ان تدرك بالتواني ساعة كد النفوس وساعد الاقبال ثانية

فصل ثم رأيت ان اثبت
هاهنا الخبر الماثور عن الصادق المصدوق صلى الله عليه
وسلم وقد رويناه في غير كتاب روى ابن المبارك عن رجل
هو خالد بن معدان انه قال لمعاذ رضي الله عنه حدثني
حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم حفظته
وذكرته في كل يوم من شدته ودقته قال نعم ثم

بكى بكاء شديدا طويلا وقال وا شوقاه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والى لقائه بينما انا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ ركب واردفني ثم سرنا فرفع
بصره الى السماء وقال الحمد لله الذي يقضي في خلقه
ما يشا يا معاذ قلت لبيك يا سيد المرسلين قال
احدثك بحديث ان حفظته نفعك وان ضيعته
انقطعت حجتك عند الله تعالى يا معاذ ان الله خلق
سبعة املاك قبل ان يخلق السموات لكل سماء ملكا
وجعل على كل باب من ابواب السما ملكا بوابا على
قدر الباب وجلالته فتصعد الحفظة بعمل
العبد وله نور وشعاع كالشمس اذا بلغ السماء الدنيا
والحفظة تستكثره عمله وتزكيه فاذا انتهى الى الباب
قال الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه
انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من يغتاب
الناس يجاوزني الى غيري ثم يجي الغد بعمل له نور تستكثره
الحفظة وتزكيه حتى اذا انتهوا الى السما الثانية قال الملك

فقفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه هذا اراد به
عرض الدنيا وامرني ربي ان لا ادعه يتجاوز الى غيري
فتلعنه الملايكة حتى يمسي وتصعد الحفظة بعمل
العبد مبتهجا به صدقة وصيام وكثير من البر
فتكثره الحفظة وتزكيه فاذا انتهوا الى السماء
الثالثة قال الملك البواب قفوا واضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه انا الملك صاحب الكبر امرني ربي
ان لا ادع عمله يتجاوز الى غيري انه كان يتكبر على
الناس في مجالسهم وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر
كما يزهر النجوم والكواكب له دوي وتسبيح وصوم
وصلوة وحج وعمرة فاذا انتهوا الى السماء الرابعة قال
الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه
انا الملك صاحب الاعجاب امرني ربي ان لا ادع عمله
يتجاوز الى غيري انه كان اذا اعمل عملا ادخل
العجب فيه وتصعد الملايكة بعمل العبد يزف
كما تزف العروس الى اهلها حتى اذا انتهوا الى السماء الخامسة
فذلك العمل من جهاد وحج له ضوء كضوء الشمس فيقول الملك

انا الملك صاحب الحسد انه كان يحسد الناس
على ما آتيهم الله بفضله فقد سخط ما رضي الله
امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوز الى غيري وتصعد
الملايكه بعمل العبد بضوء تام وصلوة كثيرة
وصيام وحج وعمرة يتجاوز به الى السماء السادسة
فيقول الملك الموكل بالباب انا صاحب الرحمة
اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه لم يرحم
قط انسانا وان اصيب عبد شمت به امرني ربي
ان لا ادع عمله يتجاوز الى غيري وتصعد الملايكة
بعمل العبد بنفقة كثيرة وصوم وصلوة وجهاد وورع
له صوت كصوت الرعد وضوء كضوء البرق فاذا
انتهوا الى السماء السابعة فيقول الملك الموكل بالسماء السابعة
انا صاحب الذكر ان صاحب هذا العمل اراد به
الذكر في المجالس والرفعة عند القرناء والجاه
عند الكبراء امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوز
الى غيري وكل عمل لم يكن لله تعالى خالصا فهو
رياء ولا يقبل الله عمل المرائي وتصعد الحفظة بعمل

العبد من صلوة وزكوة وصيام وحج وعمرة
وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى تشيعه
ملائكة السموات السبع حتى تقطع الحجب
كلها الى الله تعالى بين يدي الرب جل جلاله ويشهدون
له بالعمل الصالح الخالص لله تعالى فيقول الله تعالى
انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على ما
في نفسه انه لم يردني بهذا العمل ولا اخلصه
لي وانا اعلم بما اراد بعمله عليه لعنتي غر الآدميين
وغركم ولم يغررني وانا علام الغيوب المطلع على ما
في القلوب لا يخفى علي خافية ولا يعزب عني
عازبة علمي بما كان كعلمي بما بقي وعلمي بالاولين
كعلمي بالآخرين اعلم السر واخفى فكيف
يغرني عبدي بعمله انما يغر المخلوقين الذين لا
يعلمون وانا علام الغيوب عليه لعنتي وتقول
الملائكة السبعة والثلاثون الاف المشيعون
يا ربنا عليه لعنتك ولعنتنا فتقول اهل السماء عليه
لعنة الله ولعنة اللاعنين ثم بكا معاذ وانتحب

بكاء شديدا وقال يا رسول الله كيف النجاة بما ذكرت قال
يا معاذ بن جبل اقتد بي كيف لي اقتد بنبيك في اليقين
قلت انت رسول الله وانا معاذ بن جبل كيف النجاة
والخلاص قال نعم يا معاذ ان كان في عملك تقصير فاقطع
لسانك عن الوقيعة في الناس وعن اخوانك من حملة
القرآن خاصة وليردك عن الوقيعة في الناس
ما تعلم من عيب نفسك ولا تزك نفسك بوضع اخوانك
ولا ترائي بعملك لتعرف في الناس ولا تدخل
في الدنيا دخولا ينسيك الآخرة ولا تناج رجلا
وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك
خيرات الدنيا والآخرة ولا تفحش في مجلسك حتى
يحذروك من سوء خلقك ولا تمزق الناس بكلامك — خ بلسانك
فتمزقك كلاب جهنم قوله والناشطات
نشطا يقول ينزع اللحم عن العظام قلت يا
رسول الله من يطيق هذه الخصال قال يا معاذ ان
الذي وصفت لك ليسير على من يسره الله عليه

اما يكفيك من ذلك ان تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره
لهم ما تكره لنفسك فاذن قد سلمت قال خالد بن معدان
رحمة الله عليه وكان معاذ لا يكثر من تلاوة بغير
القران كما يكثر من تلاوة هذا الحديث وذكره
في مجلسه فلما سمعت ايها الرجل هذا الحديث العظيم
بناده الكثير خطره في الاثر الذي تطير له القلوب
وتحار له العقول وتضيق عن حمله الصدور
وتجزع من هوله النفوس فاعتصم بمولاك اله العالمين
والزم الباب بالتضرع والابتهال والبكا اناء الليل
واطراف النهار مع المتضرعين والابتهال والبكا المبتهلين
فانه لا ينجو من هذا الامر الا برحمته ولا سلامة
من هذا البحر الا بنظره وعنايته فتنبه من
رقدة الغافلين واعقل الامر حقه وجاهد نفسك
في هذه العقبة المخوفة لعلك لا تهلك مع الهالكين
والله المستعان على كل حال فانه خير معين وهو
تعالى ارحم الراحمين فصل وجملة الامر

انك اذا احسنت النظر فرايت قدر طاعة الله
تعالى ورايت عجز الخلق وضعفهم وجهلهم فلا
تلتفت الفتهم اليهم بقلبك وتكن زاهدا في ثنايهم
ومدحتهم وتعظيمهم الذي لا فايدة تحته ولا ترد
بطاعتك شيا من ذلك ورايت خسة الدنيا
وحقارتها وسرعة زوالها فلا تردها ايضا بطاعتك
من الله عز وجل فتقول يا نفس ثنا رب العالمين وشكره واعزازه
خير ام ثنا المخلوقين العاجزين الجاهلين الذين لا
يعرفون قدر عملك بالحقيقة وما جعلت فيه وما يليق
حقك فيما عملت بل ربما يفضلون عليك من هو
ادون حالا بالف درجة ويضيعونك في احوج
الاوقات ويتركونك وان لم يفعلوا ذلك فماذا عسى
ان يكون بيدهم والى ماذا يبلغ قدرهم ثم هم في قبضة
الله تعالى يصرفهم كيف يشا والى ما يشا فاعقلي ايتها
النفس ولا تضيعي طاعتك العزيزة بهم ولا يفوتك ثنا
من ثناوه كل فخر وعطا من عطاوه كل ذخر ولقد
صدق القايل

سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهن لغير فقدك ضايع
قل يا نفس اجنة الخلد خير ام لقمة من حطام الدنيا
وحرامها النكد الفاني وانت متمكنة
من ان تحصلي بطاعتك هذا النعيم المقيم فلا تكوني
خسيسة الهمة ردية الارادة دنية الافعال اما
ترين الحجر اذا كان يشما او ياقوتا تغلو قيمته ويزداد
قدره فارفعي همتك بعملك كلها الى السماء وحرزي
قلبك لله الواحد القهار الذي بيده الامر كله ولا تضيعي
ما ظفرت به من طاعتك بلا شي وكذلك اذا
احسنت التامل فرايت ايادي الله تعالى ومننه العظام
عليك في هذه الطاعة بان امكنك منها واعطاك الالة
اولا ثم ازاح العوايق حتى تفرغت لهذه الطاعة ثانيا
ثم خصك بالتوفيق والتاييد ويسرها عليك وزينها في
قلبك حتى عملتها ثالثا ثم مع جلاله وعظمته واستغنايه
عنك وعن طاعتك وعن كثرة نعمه عليك اعد لك على
هذا العمل اليسير الثنا الجميل والثواب الجزيل الذي لا
تستحقه رابعا ثم شكرك على ذلك واثنى عليك واحبك به كلـ

خاصا ثم هذه كله بفضله العظيم لا بغيره والا فاني
استحقاق لك واي قدر لعملك الحقير المعيب فاذكري
ايتها النفس منة ربك الكريم الرحيم سبحانه فيما
احسن اليك في هذه الطاعة واستحيي من ان تلتفتي الى
عمل بل الفضل والمنة لله تعالى علينا بكل حال ولا يكون
لك شغل بعد حصول هذه الطاعة الا التضرع والابتهال
الى الله تعالى بان يتقبلها اما تسمعين قول الخليل ابرهيم عليه
السلم لما فرغ من مدحته في بنا بيته كيف ابتهل الى الله
تعالى في ان يتفضل عليه بالقبول فقال ربنا تقبل منا انك انت
السميع العليم فلما فرغ من دعايه قال ربنا وتقبل دعا
فلين من عليك بقبول هذه الطاعة فلقد اكمل المنة واعظم
النعمة في ذلك من سعادة ودولة وعز ورفعة وكم ترى
لذلك من خلعة ونعمة وذخر وكرامة ولين نكن الاخرى
فيا لك من خسران وغبن وحرمان فاهتمي واشتغلي بهذا الشان
واذا واظبت على مثل هذا وكررته على قلبك عند الفراغ
من طاعتك واستعنت بالله عز وجل صرفك عن الالتفات الى الخلق

والنفس وشغلك عن مراياة(؟) واعجاب وبعثك على محض الاخلاص
لله تعالى في الطاعات والتمسك بذكر منة الله تعالى عليك
في جميع الحالات وارجو ان تحصل لك طاعات طاهرة
لا عيب فيهما وخيرات خالصة لا شوب فيهما
وعبادات مقبولة لا نقص فيهما بل مثل هذه الطاعة
وان حصلت في العمر مرة واحدة مثلا لا غير
فانها بالحقيقة لكثيرة لعمري انها وان قل عددها
لقد كثر معناها وعظم قدرها وكثر نفعها وطاب
عقباها والتوفيق لمثلها عزيز والفضل لله تعالى على
العبد لكثير به واي هدية اجل من هدية
يقبلها رب العالمين واي شيء اكرم من شيء يشكره
ويثني عليه رب العالمين فتامل ايها المشكين واياك
ان تكون من المغبونين واذا اجرى الامر على هذه الجملة
كنت من المخلصين لله تعالى الخالصين الذاكرين
لمنته وكنت قد خلفت هذه العقبة وسلمت
من آفاتها وسفت بخيراتها وثمراتها فائزا الى الابد بكرامتها

وسعاداتها وبالله التوفيق

الباب السابع

في العقبة السابعة وهي عقبة الحمد والشكر
عليك وفقك الله واياك الحسن توفيقه بعد قطع
هذه العقبات والظفر بالمقصود من العبادة السالمة
من الآفات بالحمد والشكر على هذه النعمة العظيمة
والمنة الجسيمة وانما يلزمك ذلك لامرين احدهما
لدوام النعم والثاني لحصول الزيادة فاما الحمد دوام النعم
فلان الشكر قيد النعم به تدوم وتبقى وبتركه
تزول وتحول قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى
يغيروا ما بانفسهم وقال جل من قائل ما يفعل الله
بعذابكم ان شكرتم وامنتم وقال صلى الله عليه وسلم
ان للنعم اوابد كاوابد الوحش فقيدوها بالشكر واما لحصول
الزيادة فلما كان الشكر هو قيد النعمة فهو من الزيادة
قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال والذين
اهتدوا زادهم هدى وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا فسيد الحكيم اذا راى العبد قد قام بحق النعمة
فالسيد

قال بعض ... النعم ... فاذا قيدها الشكر ... للعبد ... وفي الخوف

بين عليه بالحري سراه اهلا لها والا انقطع ذلك
عنه ثم النعمة قسمان دنيوية ودينية فالدنيوية
ضربان نعمة نفع ونعمة دفع فنعمة النفع ان
اعطاك المصالح والمنافع وهو ضربان الخلقة السوية
في سلامتها وعافيتها والملاذ الشهية المطعم والمشرب
والملبس والمنكح وغيرها من فوايدها ونعمة الدفع
ان صرف عنك المفاسد والمضار احديهما في النفس
بان سلمك من زمانتها وساير آفاتها وعللها والثانية
دفع ما يلحقك من ضرر من انواع العوائق او يقصدك
بسوء من انس او جن او سبع او هوام ونحوها
واما النعم الدينية فضربان نعمة التوفيق ونعمة
العصمة فنعمة التوفيق ان وفقك اولا للاسلام
ثم للسنة ثم للطاعة ونعمة العصمة ان عصمك اولا
عن الكفر والشرك ثم عن البدعة والضلالة ثم عن
ساير المعاصي وتفصيل ذلك لا يحصيه الا السيد
العالم الذي انعم عليك كما قال وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها اذ ان دوام هذه النعمة كلها بعد ما انعم

عليك بها والزيادة عليها من كل باب منها ما لا يبلغ
وهكذا كلها يتعلق بشيء واحد وهو الشكر والحمد
لله رب العالمين وان خصلة يكون لها كل هذه القيمة
ويكون فيها كل هذه الفايدة لحقيق ان يتمسك عما
من غير اغفال الحال فانه جوهر ثمين وكيميا
عزيز والله تعالى ولي التوفيق بفضله فان قيل فما
حقيقة الحمد والشكر ومعناهما وحكمهما فاعلم ان
العلماء فرقوا بين الحمد والشكر عند التحصيل بان الحمد
اشكال التسبيح والتهليل فيكون من المساعي
الظاهرة والشكر من اشكال الصبر والتفويض
فيكون من المساعي الباطنة لان الشكر يقابل الكفران
والحمد يقابل اللوم لان الحمد اعم واكثر والشكر
اخص واقل قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور
فتبين انهما معنيان متميزان ثم الحمد هو الثناء على الحمد
بالفعل الحسن هذا مقتضى كلام شيخنا واما الشكر
تكلموا في معناه واكثروا فعن ابن عباس رضي الله

عنه انه قال الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح لرب
العالمين في السر والعلانيه والى نحوه ذهب
بعض مشايخنا فقال الشكر هو اداء الطاعات في
الظاهر والباطن ثم رجع الى انه اجتناب المعاصي ظاهرا
وباطنا وقال غيره الشكر الاحتراس عن الاختيار بمعاصي
الله تعالى تحترس عن قلبك ولسانك واركانك حتى لا
تعصي الله بشي من هذه الثلثه بوجه من الوجوه
والفرق بين قوله وبين قول الشيخ انه جعل الاحتراس
معنى ثبوتيا زايدا على الاجتناب عن المعاصي واما
الاجتناب عن المعصية ما هو الا ان تعقل المعصية
عند دواعيها ولا يكون في نفسه معنى يحصل
يكون العبد به مشتغلا وعن الكفران معتصما
وقال شيخنا ان الشكر تعظيم المنعم على مقابلة
نعمته على حد يمنعه عن جفا المنعم وكفرانه ولو
قلت تعظيم المحسن على مقابلة احسانه ليصح ان يكون ها
من الله تعالى الشكر للعبد المحسن وفيه تفاصيل قد شرحنا
في كتاب احياء علوم الدين وغيره لكن التحصيل ان

الشكر من العبد تعظيم منعم من جفا من احسن اليه
وذلك بتذكر احسانه وهو حسن حال الشكر في شكره
وقبح حال الكفر في كفرانه قلت ان اقل ما
يشكر به المنعم نعمته ان لا يتوصل بها الى معصيته
وما اقبح حال من جعل نعمة المنعم سلاحا على عصيانه
تعالى العبد اذ من غرض الشكر في حقيقته ان
يكون له من تعظيم الله تعالى ما يحول بينه وبين معاصيه
على حسب تذكر نعمه فاذا اتى بذلك فقد اتى بما هو الاصل
فيه ثم يقابل ذلك بجد في الطاعة وجهد في القيام
بالخدمة اذ هو من حقوق النعمه فلا بد من الاحتراس عن
المعصية وبالله التوفيق فان قلت فما موضع الشكر
فاعلم ان موضعه دينية ودنيوية على اقدارها
واما الشدايد والمصايب في نفس واهل ومال
فتكلموا في ذلك هل يلزم العبد الشكر عليها قال بعضهم
لا يلزم العبد الشكر عليها من حيث هي وانما يجب فيها
الصبر واما الشكر فهو على النعمه لا غير قالوا ولا شك

الدسا

الا وفي جنبها نعم الله فيلزم الشكر على تلك النعمة المقرنه
به دون نفس الشدة وتلك النعم ما قاله ابن عمر رضي
الله عنه ما ابتليت ببلية الا وكان لله عز وجل
على فيها اربع نعم اذ لم يكن في ديني واذ لم يكن اعظم منها
واذ لم احرم الرضا واذ رجوت الثواب عليها وقد قيل
ايضا من تلك النعم ان تلك الشدة رابلة عبدا به وانها
من الله وان كانت بسبب مخلوق فانه لك علته لا اله عليك
فاذن يلزم العبد الشكر على النعم المقترنة بالشدة
وقال اخرون وهو الاولى عند شيخنا ان شدايد الدنيا
مما يلزم العبد الشكر عليها لان تلك الشدة نعم على
الحقيقة بدليل انها تعرض على العبد منافع عظيمة
ومثوبات جزيلة واغراض كريمة في العاقبة
بتلاشي في جنبها مشقة هذه الشدايد وايه نعمة تكون
اكثر من هذه ومثال ذلك من يتفقل ذو اكربها
من ذا الشدايد ويفصدك ويجمل لعلة عظيمة مخوفة
الخطر فيؤدي ذلك الى صحة النفس وسلامة البدن
وصفوة العيش فيكون ايلامه ايال مرارة الدواء

وجراحه الفصد والحجامة نعمة بالغة في الحقيقة
وبيّنة طاهرة وان كان في صورته مكدرها
بنفر عنه الطبع ويستوحش منه النفس ايت
لحما الذي يولي بك هذا بل يحسن اليه ما امكنك
فكذلك حكم هذه الشدايد اما ترى النبي صلى الله عليه
وسلم كيف حمد الله وشكره على الشدايد وشكره
على المسار حيث قال الحمد لله على ما سا وسر
اما ترى كيف يقول جل جلاله عسى ان تكرهوا شيئا وهو
خير لكم وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله
فيه خيرا كثيرا وما سماه الله تعالى خيرا فهو
اكثر مما يبلغه فهمك تؤكد هذا القول ان النعمة
ليست خيرا عن اللذة وما تشتهيه النفس بمقتضى
الطبع وانما هو تزيد في رفعة الدرجات ولذلك
تسمى نعمة من معنى الزيادة واذا كانت الشدة
تصير سببا في زيادة شرف العبد ورفعة درجته
فتكون نعما بالحقيقة وان كان بعد في الشدايد والحزن
بظاهرها فاعلم ذلك موفقا فان قلت فالمشاكر

وقال في ابرهيم انه كان عبدا شكورا

انفضل الصابر فاعلم انه قيل ان الشاكر افضل بدليل
قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وجعلهم
اخص الخواص وقال في نوح عليه السلم انه كان عبدا شاكرا
لانعمه ولانه في منزلة الانعام والعافية ولذلك
قيل لان انعم فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر
وقيل بل الصابر افضل لانه اعظم مشقة فيكون
اعظم ثوابا وارفع منزلة قال الله تعالى انا وجدناه
صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب وقال تعالى والله يحب
الصابرين قلت ان الشاكر بالحقيقة لا يكون الا
صابرا والصابر بالحقيقة لا يكون الا شاكرا لان
الشاكر في دار المحنة من محنه فيصبر عليها لا محالة
ولا يجزع فان الشكر تعظيم المنعم على حد يمنع من
عصيانه والجزع عصيان والصابر لا يخلو من
نعمة لما ذكرنا ان الشدايد نعم بالحقيقة لا صبر لانه
حبس نفسه عن الجزع تعظيما لله تعالى وهذا هو الشكر
بعينه اذ هو تعظيم يمنع عن العصيان ولان الشاكر

على النعم الظاهرة فانه شاكر في الحقيقة

١٦٢

يمنع نفسه عن الكفران فصبر عن المعصية
وحمل نفسه على الشكر وصبر على الطاعة
فصار صابرا على الحقيقة والصابر عظم الله
تعالى حتى منعه تعظيمه عن الجزع فيما اصابه
وحمله على الصبر فقد شكر الله تعالى فصار شاكرا
بالحقيقة ولان حبس النفس عن الكفران مع قصد
النفس شدة يصبر عليها الشاكر وتوفيق
الصبر والعصمة نعمة يشكر عليها الصابر
فاحدهما لا ينفك عن الاخر ولان البصيرة
الباعثة عليهما واحدة وهي بصيرة الاستقامة
في قول بعض علمائنا فمن هذه الوجوه قلنا احدهما
لا ينفك عن الاخر فاعرف هذه الجملة وبالله التوفيق

فصل فعليك ايها الرجل ببذل المجهود
في قطع هذه العقبة اليسيرة المؤنة الكبيرة
الجليلة العزيزة العظيمة القدر وتامل الحاصل
اصلين احدهما ان النعمة انما تعطى من يعرف قدرها
وانما يعرف قدرها الشاكر ودليل ما قلناه

ان

العنصر

قوله سبحانه وتعالى في الحكاية عن الكفار والرد عليهم
من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين ظن اولئك
الجهال ان النعمة العظيمة والمنة الكريمة
انما تعطى من يكون اكثر مالا واشرف نسبا
وحسبا تعالوا انما ال هولا الفقرا ابرعكم من العبيد والاحرار
اعطوا هذه النعمة العظيمة برعكم دوننا تعالوا
على سبيل الانكار والاستهزا اهولا من الله عليهم من
بيننا فاجابهم الله تعالى بهذه النكتة الزاهرة
فقال سبحانه اليس الله باعلم بالشاكرين تقدير الكلام
ان السيد الحكيم انما يعطي نعمته من يعرف قدرها
وانما يعرف قدرها من اقبل عليها بنفسه وقلبه
فاختارها على غيرها ولا يبعها بما يحتمل من اعبا المونة
في تحصيلها ثم لا يزال قايما بالباب يودي شكرها
وكان في علمنا السابق ان هولا الضعفا يعرفون
قدر هذه النعمة ويقومون بشكرها كانوا الحق
بها لهم هذه النعمة منكم فلا اعتبار بغناكم وجاهكم
وتروتكم في الدنيا وحشمكم ولا بنسبكم في الانساب.

ولا حسبكم انما تحسبون النعمة كلها الدنيا وحطامها
والحسب والنسب وعلوه لا الدين والحق ونعرفته
وانما تعظمون ذلك وتتفاخرون به اما ترون
انكم لا تكادون تقبلون هذا الدين والعلم والحق
الا بمنة على ما اتيكم به ولاستحقاركم ذلك
وقلة مبالاتكم وان هولاء الضعفا يقبلون انفسهم على
ذلك ويبذلون مهجهم فيه ولا يبالون بما فاتهم من
عاداهم مع ذلك لتعلموا انهم هم الذين عرفوا قدر هذه
النعمة ورسخ في قلوبهم تعظيمها وهان عليهم فوت كل
شي دونها وطاب لهم لاجلها كل شدة ويستغرقون
جميع العمر في شكره فلذلك اعتنا هلوا هذه المنة
الكريمة والنعمة في سابق علمنا وخصصناهم بها
دونكم فهذه هذه ثم اقول كذلك فريق من الناس
خصهم الله بنعمة من نعم الدين علم او عبادة فانك تجدهم
بالحقيقة اعرف الناس بقدرها واشدها تعظيما
واجدهم في تحصيلها واعظمهم في اكرامها واقومهم
بشكرها والذين حرمهم ذلك فلقلة حفظهم وتعظيمهم

لحقها بعد وجدان القدر السابق فلو كان تعظيم
العلم والعبادة في قلوب السوقة والعامة ما هو في
قلوب العلماء والمتعبدين لما اثروا شوقهم عليه وهان
عليهم تركها الا ترى ان فقيها اذا ظفر بتعلم مسئلة
كانت ملتبسة عليه كيف ينشرح قلبه ويعظم سروره
ويحل موقعه في قلبه حتى ربما لو وجد الف دينار
ما كان يعدل ذلك وربما يهمه امر مسئلة في باب
الدين فيبقى كم سنة بل عشرا بل عشرين والكثر
لا يستكثر ذلك ولا يمل حتى ربما رزقه الله فهم ذلك فيعده
اعظم نعمة ويرى نفسه بذلك اغنى كل غني واشرف كل
شريف ثم ربما ملت هذه المسئلة لشوقي او متعلم
كان يرى من نفسه انه مثله في الرغبة في العلم
والمحبة لله تعالى ولا يستمع اليه حقه وربما ان طال عليه
الكلام يمل وينام وان تيسر ذلك فلا يعده كثير امر
فكذلك المنيب الى الله تعالى كم يجتهد ويداب بالرياضة
وصيانة النفس عن الشهوات واللذات والتحام الاركان

في الحركات والسكنات عسى ان يتم الله تعالى له ركعتين في ادب
وظاهره وكم تضرع الى الله تعالى عسى ان يرزقه ساعة
مناجات بصفوة وحلاوة فلئن ظفر بذلك في شهر
مرة بل في سنة مرة بل في عمره كله مرة عد ذلك
اكبر منة واعظم نعمة وكم بشر وكم شكر الله
تعالى ولا يكترث بما قاساه من المشقات وكابد من
الليالي وهجر من اللذات فيها ثم يرى الذي يزعم انه راغب في
العبادة يحب ان يحصل له شيء منها او احتاج احدهم في
تحصيل مثل هذه الصيانة الى نقصان لقمة في عشائهم
او ترك كلمة لا تعنيهم او دفع نوم ساعة عن اعينهم فلا
تسامح انفسهم بذلك ولا تطيب قلوبهم بان اتفق لهم في النادر
حصول عبادة في صفوة فلا يعدونه خطيرا ولا
يقيمون فيه كثير شكر انما يعظم سرورهم ويكثر
بالطاعة حمدهم اذا حصل لهم درهم واتفقت لهم كسوة
او طابت لهم مرقة او طالت لهم في سلامة البدن رقدة
فيقولون عند ذلك الحمد لله هذا من فضل الله تعالى فاني بادي

الصابيه

هؤلاء الغافلون العاجزون اولئك السعداء المجدين
المجتهدين ولذلك صار هؤلاء الشاكين عن هذا الخبر
محرومين واولئك المؤيدين به ظافرين فايزين وكذلك
قسم الامر احكم الحاكمين سبحانه وهو اعلم العالمين فهذا
تفصيل قوله تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين فتفهم
وراعه حقه واعلم انك لم تحرم قط خيرا تمناه الآن قبل
النفس فابذل فيه مجهودك لتعرف قدر نعم الله وتعظيمها
فتكون اهلا لها ولاعطايها ثم من عليك بابقايها كما من
عليك بابتدايها على ما نذكره في الاصل الثاني انه الرؤف الرحيم

الاصل ان النعمة انما
تسلب ممن لا يعرف قدرها والذي لا يعرف قدرها
الكفور الذي كفرها ولا يؤدي شكرها ودليل ذلك
قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ
منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا
لرفعناه بها الآية تقدير الكلام انا انعمنا على هذا العبد
بالنعم العظام والايادي الجسام في باب الدين ومكناه
بذلك من تحصيل الرتبة الكبيرة والمنزلة الرفيعة

على بابنا فيصير رفيعا عندنا عظيم القدر كثير الجاه ولكنه
جهل قدر نعمتنا فمال الى الدنيا الخبيثة الحقيرة واثر
شهوته لنفسه الدنية الردية ولم يعلم ان الدنيا
كلها لا تزن عند الله ادنى نعمة من نعم الدين بل جناح
بعوضة فكان ذلك بمنزلة الكلب الذي لا يعرف
الاكرام من الاهانة والرفعة والشرف من الحقارة
وانما الكرامة كلها عنده في كسرة يطعم او ما يلقى [نرمى]
يرق اليه سوا يقعده على سرير معك ويقيمه
على التراب والقذر سوا لديك فهمته ونعمته وكرامته
في ذلك فهذا العبد السوء اذا جهل قدر نعمتنا ولم يعرف
حق ما اتيناه من كرامتنا فكلت بصيرته وتسلى في مقام القربة
آدابه بالالتفات الى غيرنا والاشتغال عن ذكر نعمتنا بدنيا
حقيرة ولذة خسيسة فنظرنا اليه نظر السياسة
واحضرناه ميدان العدل وامرنا فيه بحكم الجبروت
فسلبناه جميع خلعنا وكرامتنا ونزعنا من قلبه معرفتنا
فانسلخ عاريا من جميع ما اتيناه من فضلنا فصار كلبا

طريدًا وشيطانًا رجيمًا نعوذ بالله من سخطه واليم عقابه انه
بنا رؤف رحيم ثم اقنع مثال ملك يكرم عبدًا له
فيخلع عليه خاصة ثيابه ويقربه منه ويجعله
فوق سائر خدامه وحجابه وامره بملازمة بابه ثم
امر يبنى له في موضع اخير القصور ويرفع له الاسرة
وينصب له الموايد ويزين له الجواري ويقام له الغلمان
حتى اذا رجع من الخدمة اجلس هنالك ملكا مخدومًا مكرمًا
وما بين حال خدمته الى ملكه وولايته الا ساعة
من نهار او اقل فان ابصر هذا العبد بجانب باب الملك سايسا
للدواب ياكل رغيفًا او كلبًا يمضغ عظمًا فيشتغل عن خدمة
الملك بنظره اليه واقباله عليه ولا يلتفت الى ماله
من الخلع والكرامة فيسعى الى ذلك السايس ويعذبه ويساله
كسيرة من رغيفه او يزاحم الكلب على عظمه ويغبطهما بعظم
ما هما فيه ليس الملك اذا نظر اليه على هذه الحالة
يقول ان هذا السفيه الهمة لم يعرف حق نعمتنا ولم
يقدر اعزازنا لخلعنا والتقريب الى حضرتنا مع ما صرفنا

اليه من عنايتنا وامرنا له في الذخاير وضروب الايادي بما
هذا الا ساقط الهمة عظيم الجهل قليل التميز اسلبوه
الخلع واطردوه عن بابنا هذا حال العالم اذا مال الى
الدنيا والعابد اذا اتبع الهوى بعد ما اكرمه الله عز
وجل بعبادته ومعرفة اياته وشريعته واحكامه
ثم لم يعرف قدر ذلك فيصير الى احقر شي عند الله تعالى
واهونها عنده ويرغب فيه ويحرص عليه ويكون
في قلبه احب اليه من جميع ما اعطي من تلك النعم العزيزة
من العلم والعبادة والحكم والحقايق ولذلك من خصه الله
تعالى بانواع النبوة والعصمة وزينه بانواع الخدمة
والعبادة ويديم النظر اليه بالرحمة في اكثر اوقاته
ويباهي به ملايكته واعطاه على بابه العبادة والوجاهة
والخلة محل الشفاعة والمنزلة منزلة الاعزة
حتى صار بحيث لو دعاه لاجابه ولباه ولو ساله
لاعطاه واغناه ولو شفع في عالم لشفعه فيهم وارضاه
ولو اقسم عليه لابره واوفاه ولو خطر بباله شي اعطاه

قبل ان يساله بلسانه فمن كانت هذه حالته ثم لم
يعرف قدر هذه النعمة ولم ينظر الى قدر هذه المنة
فيعدل الى شهوة نفس ردية لا حاصل لها ولعقة من الدنيا
الدنية لا بقاء لها ولم ينظر الى تلك الكرامات والخلع
والهدايا والمنن العظايم ثم وعد وعدا في الاخرة
من الثواب العظيم والنعيم المقيم فما احقرها من نفس
وما اشقاه من عبد وما اعظم خطره لو علم وما افحش
صنيعه لو فهم نسال الله تعالى الرءوف الرحيم ان
يصلحنا بعظيم فضله وسعة رحمته انه ارحم الراحمين
فعليك ايها الرجل ببذل المجهود حتى تعرف قدر نعمة نعم خ
الله تعالى عليك فاذا انعم عليك بنعمة الدين فاياك
ان تلتفت الى الدنيا وحطامها فان ذلك مثل لا يكون
الا بضرب من التهاون بما اولاك من نعمة الدين
اما تسمع قوله تعالى لسيد المرسلين صلوات الله وسلامه
عليه ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم
لا تمدن عينيك الى ما متعنا به الاية تقديره ان كل

من اوتي القران العظيم حق له ان لا ينظر الى الدنيا
الحقيرة نظرة باستحلا فضلا عن ان يكون له فيها
رغبة فليداوم الشكر على ذلك فانها الكرامة
التي حرص خليله ابرهيم عليه السلم ان يمن بها على ابيه
فلم يفعل وحرص حبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه
عليه ان يمن بها على عمه ابي طالب فلم يفعل واما
حطام الدنيا فانه يصبه على كل كافر ومخلد
وزنديق وجاهل وفاسق الذين هم اهون عليه حتى
غرقوا فيه ويصرفه عن كل نبي وصفي وصديق وعالم
وعابد الذين هم اعز خلق الله عليه حتى انهم لا يكادون
يصيبون كسرة وخرقه ويمن عليهم بان لا يلطخهم
بقذرها حتى قال تعالى لموسى عليه السلم ولو شئت ان
ازينكما بزينة فرعون حتى يراها انه مقدرته تعجز
عنها لفعلت ولكن ازوي عنكما وارغبكما عنه
وكذلك افعل باوليائي واني لاذودهم نعيمها عن
كما يذود الراعي الشفيق ابله عن مبارك الغرة واني لاجنبهم العزه

شكرنا

سكرنهما وعيشهما وليس ذلك لهوانهم علي ولكن
ليستكملوا حظهم من كرامتي قال الله تعالى ولو
ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن
يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الاية
فانظر الفرق بين الامرين ان كنت تبصر وقل
الحمد لله الذي من علي بمنن اوليائه واصفيائه
وصرف عني فتنة اعدائه لتحظى بالشكر
الاوفر والحمد الاكبر والمنة الكبرى والنعمة
العظمى التي هي الاسلام فانه الاولى والاخرى وبان
لا تفتر ليلك ونهارك عن ذكرها فان كنت
عاجزا عن عرفان قدرها فاعلم بالحقيقة انك لو حلفت
من اول الدنيا وانت في شكر هذا الاسلام من اول
الوقت الى الابد لما كنت تقوم بذلك ولما قضيت
بعض الحق هنا لك من الفضل العظيم قلت فلعلم
ان الموضع لا يحتمل ذكر ما يبلغه فهمي من قدر هذه النعمة علمي
ولو امليت فيه الف ورقة لكان مبلغ علمي فوق
ذلك مع اعترافي بان ما اعلمه في جنب ما لا اعلمه

كتقية في بحار الدنيا باسرها اما تسمع ويحك قوله عز
وجل لسيد المرسلين صلوات الله عليه ما كنت تدري ما
الكتاب ولا الايمان وقوله وعلمك ما لم تكن تعلم وكان
فضل الله عليك عظيما وقال تعالى للقوم بل الله يمن
عليكم ان هداكم للايمان اما تسمع قوله صلى الله
عليه وسلم وقد سمع رجلا يقول الحمد لله على الاسلام
فقال انك لتحمد الله على نعمة عظيمة ولما قدم البشير اي
على يعقوب عليه السلم قال على اي دين تركته قال على الاسلام
قال الان تمت النعمة وقيل ما من كلمة احب الى الله
عز وجل ولا ابلغ عنده في الشكر من ان يقول الحمد
لله الذي انعم علينا وهدانا للاسلام واياك ان تغفل
الشكر وتغتر بما انت عليه في الحال من الاسلام
والمعرفة والتوفيق والعصمة فانه مع ذلك لا موضع للامن
والغفلة فان الامور بالعواقب وكان سفين الثوري
رحمة الله عليه يقول ما امن احد على دينه الا سلب
وكان شيخنا يقول اذا بعضنا بحال الكفار وخلودهم

في النار فلا تامن على نفسك فان الامر على ... لا
يدري ماذا يكون من العاقبة وماذا سبق
في حكم الغيب ولا تغتر بصفاء الاوقات فان
تحتها غوامض الآفات وقال بعضهم
يا اشد المغترين بالعصم ان تحتها انواع النقم زين
الله ابليس بانواع عصمته وهو عنده في حقائق
عداوته وعن علي رضي الله عنه كم من مستدرج
بالاحسان وكم من مفتون بحسن القول فيه وكم
من مغرور بالستر عليه وقيل لذي النون ما اقصى ما
يخدع به العبد قال بالالطاف والكرامات وكذلك
قال سبحانه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قيل
نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر واليه اشار بقوله

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما ياتي به
القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

واعلم انك كلما صرت اقرب فامرك الخوف واصعب والمعاملة
اشد وادق والخطر عليك عظيم فان الشي كلما كان ابلغ
علوا فاذا انقلب كان اصعب وقوعا كما قيل

ما طار طير فارتفع الا كما طار وقع

... لا سبيل الى الامن واغفال الشكر وترك الابتهال
في الحفظ بحال وكان ابرهيم بن ادهم يقول كيف
يامن وابرهيم الخليل عليه السلم يقول واجنبني وبني ان نعبد
الاصنام ويوسف الصديق عليه السلم توفني مسلما والحقني
بالصالحين وكان شقيق الثوري رحمة الله عليه لا يزال
يقول اللهم سلم سلم كانه في سفينة يخشى الغرق
وبلغنا عن محمد بن يوسف انه يقول بت عند سفين الثوري
ليلة فبكى الليل اجمع فقلت ابكاؤك هذا على الذنوب
فقال [illegible] قال الذنب على الله عز وجل اهون من هذا انا اخشى
ان يسلبني الاسلام والعياذ بالله وسمعت ابا بعض
العارفين يقول ان بعض الانبيا عليهم السلم سال
الله تعالى عن امر بلعام وطرده بعد تلك الايات والكرامات
فقال تعالى لم يشكرني يوما من الايام على ما اعطيته
ولو شكرني على ذلك مرة لما سلبته فتيقظ ايها الرجل
واحتفظ بذكر الشكر حمدا احمد الله تعالى
على منته في الدين اعلاها المعرفة والاسلام وادناها

لا نو نبي وتسبيح او عصمة من كلمة لا تغفلك عنه
ان تتم نعمه عليك ولا يتلبك بمرارة الزوال فان
امرّ الامور واصعبها الاهانة بعد الاكرام
والطرد بعد التقريب والفراق بعد الوصال وهو تعالى
الماجد الكريم الرؤف الرحيم جمله الامر انك ان احسنت
النظر في منن الله تعالى العظام عليك واياديه الجسام التي
لا تحصيها اقليك وتحيط بها وهمك حين خلقت
هذه العقبات الصعاب فوجدت العلوم والبصاير
وتطهرت من الاوزار الكباير وسبقت العوايق ودفعت
العوارض وظفرت بالبواعث وسلمت من القوادح فكم
حصل لك فيهما من خصلة شريفة ودرجة منيفة
اولها التبصير والتعريف واخرها التقريب والتشريف
فاقتاملت فيهما بمقدار علمك وعقلك وتوفيقك وشكرت
الله تعالى قدر طاقتك بان شغلت لسانك وثنايه وملا
ذلك بعظمته مبلغا يحول بينك وبين عصيانه وتعتل
على الخدمة له بما امكنك من سعة تنحيه طاقتك معترفا
بالقصور من حق انعامه واحسانه وكلما اغفلت شكره